تاريخ المصريين ٣٢

هؤلاء الرجال من مصر

الجزء الثاني

بقلم

لمعي المطيعي



تاريخ المصريين ٣٢

رئيس التحرير
د . عبد العظيم رمضان

هؤلاء الرجال من مصر

الجزء الثانى

بقلم

لمعى المطيعى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٩

الماكيت والغلاف : أسامة سعيد

الرســــوم : الفنان جمــال قاسم

تقـــديم

يسرني أن أقدم للقــارىء هذا الكتــاب الجديد للأستاذ لمعى المطيعى ، الذى يتناول فيه حياة عشرين شخصية مصرية . وكان قد سبق لهذه السلسلة أن قدمت له كتاب : « هؤلاء الرجال من مصر » ، الذى تناول فيه حياة ثلاث عشرة شخصية مصرية .

وكل هذه الشخصيات سبق للكاتب أن نشرها فى جريدة « الوفد » تحت عنوان : « هذا الرجل من مصر » ، وقد حظيت بتقدير القراء ، ورأينا جمعها فى كتاب تقديرا لقيمتها ، وتسهيلا للقارىء الاطلاع عليها فى مرجع سهل التناول ، بدلا من الرجوع الى مجلدات الجريدة التى يصعب الاطلاع عليها الا فى دار الكتب .

وكان الأستاذ لمعى المطيعى قد اختار لهذا الجزء اسم « هؤلاء الرجال فى الظل » ، ورأيت أن مجرد تناول حيـــاة كل فرد من

هؤلاء يعنى أنه لم يعش فى الظل أبدا ، وأن مجرد خروج الفرد الى الحياة العامة ، سواء على المستوى السياسى أو الاجتماعى أو العلمى أو الفنى ، يعنى أنه خرج من الظل ـ ظل الحياة الخاصة ـ الى الضوء ، أى ضوء الحياة العامة ، ومن هنا اخترت للكتاب نفس العنوان القديم ، باعتباره جزءا ثانيا ٠

ويهمنى هنا أن أبرز أن الأستاذ لمعى المطيعى لم يتبع فى الترجمة للشخصيات التى تضمنها الكتاب ، القواعد التى تحكم عادة كتاب التراجم ، وانما هو يقدم رؤية فكرية تقدمية لهذه الشخصيات ، وهى رؤية قد يتفق معها القارىء أو يختلف ، ولكنها رؤية مطلوبة لما تحتويه من تجديد الصورة ، وتقديم زوايا وجوانب لها لم يسبق تقديمها ٠

وقد اعتمد المؤلف على عدد من المراجع الكافية لاستقاء مادته العلمية ، وقد ألحق بها كل ترجمة لشخصياته ، ليتسنى للقارىء الاطلاع عليها اذا أراد المزيد ٠ وقد إختار بنفسه ترتيب الشخصيات ترتيبا أبجديا ٠

ولما كان قد سبق لهذه السلسلة أن أصدرت للأستاذ شكرى القاضى كتابه « مائة شخصية مصرية وشخصية » ، ثم كتاب ، « خمسون شخصية مصرية وشخصية » الذى صدر فى العدد السابق ـ فلعل هذه الخدمة العلمية التى تهتم بالشخصيات المصرية بقدر اهتمامها بالأحداث التاريخية المصرية ـ أن تنال تقدير المثقف العام كما تنال تقدير المثقف المتخصص ٠

والله الموفق ؟

رئيس التحرير

د٠ عبد العظيم رمضان

هؤلاء الرجال من مصر

- احمد حلمي
- احمد صادق سعد
- المهندس احمد عبده الشرباصي
- الدكتور حسين فوزى
- شهدى عطيه الشافعى
- شريف باشا ابو الدستور
- الدكتور صبرى السربونى
- عبد العزيز الشوربجى
- على شعراوى
- الدكتور على مصطفى مشرفة
- عبد اللطيف المكباتى
- الدكتور محمد بلال
- محمد على علوبة
- محمد عبد الله عنان
- محمد حافظ رمضان
- الدكتور محمد كامل حسين
- محمد فهمي عبد المجيد
- مصطفى مرعى
- محمود ابو الفتح
- محمود حمدى الفلكى



احمد حلمى

● أول صحفي يصف حادث دنشواى ويقـــود مظاهرة ضد قانون المطبوعات ·

● ترك الصـــحافة فزرع ألف فدان وبنى عمـــارة فى شبرا ·

● ٤٩٨ مليمــــا مكافأة عن أشـــغاله سنة كاملة فى السجن ·

غريب امر هذه الدنيا ·· « احمد حلمى » يشقى الى جانب « مصطفى كامل » سبع سنوات كاملة ولكن « على فهمى كامل » شـــقيق مصـــطفى يحاربه ويهزأ به ويسعى الى طرده من جريدة اللـواء ·· يكتب فى اللواء والشعب والعلم » ويصـــدر « القطر المصرى » فيجوع ويأويه « محمـد فريد » فى واحـــد من بيـــوته ، وعندما يترك الصحافة تقبل الدنيا عليه ويزرع الف فدان ويبنى عمارة فى شبرا ·· وبعد ان ارتاح البال يعود الى اصدار مجلة ليس فيها سياسة ومقصورة على (الزراعة) تبدأ أحواله المالية فى التدهور ويصاب (بالبول السكرى) ·· فى ٢٤ أبريل ١٩٠٨ اصدر العدد الأول من المجلة الاسبوعية « القطر المصري » ويوم صدور العدد الأول كان يوما لم يشهد سكان القاهرة يوما ممطرا مثله فى أشد أيام الشتاء مطرا ، ظل المطر ينهمر طوال النهار وطرفا من الليل · فلم يلتفت احد لشراء هذا العدد واشتروه فى أيام تالية ·· رحبت صحف تلك الأيام « بالقطر المصرى » فيما عدا (جريدة اللواء) التى بذل فيها « احمد حلمى » جهوده كلها ·· يكتب فى الصفحة

الاولى من اللواء ، ويصدر « القطر المصرى » ويكتب فى الشعب والعلم ، وعند أول صدام مع رفاقه فى الحزب الوطنى يقــولون : (لم يبق سوى بتاع الهوانم) ٠ والهوانم تلك مجلة باللغة العامية اشترك « احمد حلمى » مع احد الأجانب فى اصدارها « ١٥ ابريل ١٩٠٠ » وهى مجلة نسائية ورد ذكرها فى كتب عن تلك الفترة ٠ ولكنا لم نجدها فى (دار الكتب القومية) حتى « احمد حلمى » نفسه لم يشر اليها فى التحقيق الذى اجرى معه (٥ مارس ١٩٠٩) عندما ساله المحقق عن نشاطه الصحفى قبل « القطر المصرى » سجل انه كان يعمل محررا فى « اللواء » ولم يشر من بعيد او قريب الى (مجلة الهوانم) ٠٠ كتب المقالات الرئيسية فى اللواء ، وهاجم الاحتلال ، واسرة محمد على ، ودافع عن الحزب الوطنى ولكنه لم يجد من رجال الحزب الوطنى سوى الفتور وعدم الاهتمام مما جعل الخديو وسلطات الاحتلال تشـــدد القبضــــة عليه ، ويقـــدم الى المحاكمة بتهمة (التطاول على مسند الخديو) وهنا تعطف الحزب الوطنى عليه وطلب من « ابراهيم الهلباوى » الدفاع عنه ٠

مراسلات مصطفى كامل

ولكن يبدو أن « مصطفى كامل » كان مختلفــــا عن رجال الحزب الوطنى فى معاملة « أحمد حلمى » ، ستة خطابات محفوظة بمتحف مصطفى كامل بالقلعة من « مصطفى كامل الى أحمد حلمى » خمسة منها صادرة من باريس ، وخطاب صادر من الاسكندرية وسوف نلقى نظرة الى أهم هذه الخطابات والى أهم ما فيها ٠

والدراسة التاريخية للخطابات لها مغزى خاص غير دراسة المقالات أو المذكرات أو الذكريات أو الخطب وهذه كلها تحيط بها ملابسات معينة لمراعاة نفسية الجماهير ، وعقلية القراء ، أو الرغبة فى تحسين صورة القائد أو الزعيم عند كتابة مذكراته وذكرياته وهو

يعلم أنها سوف تكون محل دراســـة في مقتبل الأعـــوام ٠ أما الخطابات على الرغم مما يكون فيها من عناصر المجاملة فانهـــا محصورة بين الكاتب والقارىء ، والتعبير قد يكون مبـــاشرا فى أغلب الحالات ٠٠ على أية حال نبدأ بالرسالة الاولى واذا لزم الأمر فسوف نسجل ما نراه من شرح أو تعقيب ٠

باريس فى ٢ سبتمبر ١٩٠٣

عزيزى حلمى حفظه الله

سلاما واحتراما وشوقا جزيلا ٠ وبعد ، فقـــد تشرفت بكتابك العزيز المؤرخ ٢٢ أغسطس الماضى وتأسفت جـدا لما جاء به ٠ مع أنى لما تناولته ورأيت امضاءكم فى آخره سررت وقلت ، سـنرى حلمى فى حوادث مصر ، وما كان يخطر لى على بال أن حلمى غاضب نافر يود ترك اللواء ويضحى صاحبـــه لحادثة من أبسط الحوادث ٠ وانى مع اعجـــابى بما أنت عليه من الشـــمم والأخلاق الفاضلة التى تزيدنى حبا فيـــك يوما عن يوم أراك نسيت أنه لا ارادة لك مادمت أنا حيا لأنى أعتبرك أخا لى ولا وجود بيننا لرئيس ومرءوس وما أراه صالحا لك هو الصـــالح الحقيقى بلا نزاع ٠ ولا معـــنى لمحو ارادتك هنـــا الا اتحـــادها بارادتى واشتراكها معها أو امتزاجها بها ٠ وأنت لا تجهل قول الشـــاعر العربى : « ولأجل عين ألف عين تكرم ! » ٠

فلأجلى تحمل كل شىء فانى أعرف أقابل هذه المروءة بأحسن منها ، وأعرف لك فضلك وهمتك ونشاطك ، وقد أتعبتك فى هذا العام عن رغبة فى جعلك أول صحافى فى مصر ٠ وستكون كذلك رضيت أو لم ترض ، وسترى مرتبك فى قليـــل من الزمن فوق مرتب كل صحافى فلا تيأس وتأكد أن على بك يحبك حبا شديدا ،

ويذكرك فى كل خطاباته لى بمزيد من الثناء والامتنان . وليس هذا الوقت الذى أحوج فيه الى القوة والاتحاد هو وقت الامتزاق !

(...... تأتى هنا سطور لا تتصل بموضوعنا وهى من قبيل المجاملات والتحية ....) .

العنوان :

مصطفى كامل

مصطفى كامل بك

٨ شارع بلزاك ، باريس ٨ ، فرنسا

(ملحوظة من عندنا .. العنوان فى الرسالة المحفوظة مكتوب بالفرنسية)

تحقيق وتعليق

كان هذا هو الخطاب الأول من مصطفى كامل الى أحمد حلمى نقلناه بنصه فيما عدا سطور قليلة لا تتصل بموضوعنا كما أشرنا من قبل . وأسلوب مصطفى كامل حتى فى خطاباته يتميز بالرصانة وسلامة اللغة وهذه ميزة تسجل له . ويتبين من الخطاب أنه رد على خطاب من « أحمد حلمى » يقرر فيه أنه فى سبيل أن يترك العمل بجريدة « اللواء » بسبب مضايقات من « على فهمى كامل » شقيق « مصطفى كامل » . ويبدو أيضا اهتمام « مصطفى كامل » بالابقاء على مشاعر « أحمد حلمى » فى (اللواء) ويحاول فى الخطاب أن يسترضيه بالبقاء فيداعب مشاعره بالعلاقة الحميمة بينهما فضلا عن صورة مشرقة يرسمها له من حيث المستقبل الصحى وزيادة فى المرتب .

المهم هنا هو موقف « على فهمى كامل » من أحمد حلمى والعلاقة بينهما ..

واضح من الوثائق التاريخية أن (اللواء) صدر العدد الأول منها يوم الثلاثاء ٢ يناير ١٩٠٠ ، وكان مقرها المنزل رقم ١٣ شارع فهمى بجوار محطة باب اللوق حاليا . ومنذ الفترة الأولى نجد اسم « أحمد حلمى » بين الأسماء الكثيرة التي تظهر على صفحات اللواء أمثال « محمد فريد ، وأحمد شوقى ، واسماعيل صبرى ، وخليل مطران ، وويصا واصف ، ومحمد فريد وجدى ، وفؤاد سليم ، وعبد القادر حمزة ، ومحمد لطفى جمعة ، وعثمان صبرى ، والشيخ عبد العزيز جاويش » .

هو اذن من أوائل الذين كتبوا فى اللواء ، ونجد مقالات له على الصفحة الأولى وكان يحرر المقالات الهامة ، ويعاون مصطفى كامل فى أعمال كثيرة تتصل بالجريدة . وقد ذكر « الأستاذ عباس محمود العقاد » فى مجلة المصور « يونيه ١٩٥٦ » بصدد الحديث عن حادثة دنشواى (يونيه ١٩٠٦) .. قال العقاد : « لا تعرف فزعا شمل القطر المصرى من أقصاه الى أقصاه كالفزع الذى شمله يوم قرأ الناس أخبار هذه الفاجعة ، ونشرتها احدى الصحف بعنوان يا دافع البلاء) .

والاستاذ العقاد يشير هنا الى التحقيق الصحفى الذى نشره « أحمد حلمى » فى صورة مقال بعنوان (يا دافع البلاء) يصف فيه أحداث (دنشواى) لحظة بلحظة ، وقد كان لمقال « أحمد حلمى » الأساس الذى اعتمد عليه « مصطفى كامل » فى مقالاته وفى حملته ضد بشاعة الاحتلال البريطانى فى مصر .

كان « أحمد حلمى » قريبا من « مصطفى كامل » ولكنه فى

الوقت ذاته قريب من « محمد فريد » وما أن توفى « مصطفى كامل » فى ١٠ فبراير ١٩٠٨ حتى أسفر « على فهمى كامل » فى العداء لمحمد فريد ولأنصار محمد فريد وفى مقدمتهم « أحمد حلمى » • وحاول أن يتولى رئاسة الحزب الوطنى بعد رحيل زعيمه ، وأسند رئاسة تحرير اللواء الى « الشيخ عبد العزيز جاويش » بحجة أن « الشيخ جاويش » يحمل مؤهلا عاليا ، وأن « أحمد حلمى » ـ الذى كان يطمع فى رئاسة التحرير ـ لا يحمل أى مؤهل وان كان قد ثقف نفسه بجهوده الذاتية •

شكوى أحمد حلمى من على فهمى كامل ثابتة ولها ما يبررها ، ومضايقات على فهمى كامل له كانت معروفة ولها دوافعها عنده وانتهت بخروج « أحمد حلمى » من اللواء عقب وفاة « مصطفى » ، وأما كلام « مصطفى كامل » الى أحمد حلمى فى الخطاب المشار اليه حول ثناء على فهمى كامل على أحمد حلمى فهى من قبيل تهدئة الأمور •

الخطابات الأخرى

وقبل أن نتابع مسيرة « أحمد حلمى » الصحفية والكفاحية نقدم موجزا سريعا للخطابات الأخرى من مصطفى كامل الى أحمد حلمى •

الخطاب الثانى من باريس فى ١٧ سبتمبر ١٩٠٣ •

وهو رد على خطاب من أحمد حلمى (٩ سبتمبر) ويردد له أيضا أن « على فهمى كامل » يثنى عليه دائما ويشكره لرده على المؤيد (ارتحت لكل ما كتبتموه ردا على المؤيد ومفترياته

« الصبيانية » وينصحه ألا ينشغل اللواء (خادم الأمة) بجريدة (قوس قزح) . ثم يخبره أنه مسافر الى الاستانة ويرجوه أن يكتب اليه هناك .

والخطاب الثالث من سان ستفانو فى ٧ يونيه ١٩٠٤ .

كان مصطفى كامل قد عاد الى الاسكندرية لالقاء خطابه على مسرح زيزينيا فى ٧ يونيه ١٩٠٤ . وأرسل خطابه هذا لأحمد حلمى يرجوه أن يعتنى بتصحيح الخطبة .

والخطاب الرابع .. الخميس ٨ أغسطس ١٩٠٧ .

ليس مدونا عليه الجهة المرسل منها ولكنه يقول فيه (انى قاصد جبال سان مورينس بعد ثلاثة أيام للاقامة بها أسبوعين وسأعود الى باريس ثم أبحر فى ٥ سبتمبر لأكون عندكم ان شاء الله فى ٩ سبتمبر ..) .

والخطاب الخامس .. باريس فى أول سبتمبر ١٩٠٧ .

يقول لأحمد حلمى فيه .. (صحتى على ما يرام وسأعود ان شاء الله الى الوطن العزيز فى آخر الشهر ، سلامى العاطر لكافة المحررين والعمال والجميعة وكل من يعاون فى اظهار اللواء المنصور ودم بخير لمحبك ... مصطفى كامل) .

والخطاب السادس .. باريس فى ٢٨ سبتمبر .

على المظروف جاء تاريخ مغاير (حضرة الماجد حلمى أفندى المحرر باللواء الغراء وتاريخ البريد ١٩٠٦/٩/١٨) هذا فى حين ان الخطاب السابق عليه كان بتاريخ (أول سبتمبر ١٩٠٧) .

خان الخليلى

نعود الى المسيرة من خان الخليلى السنة ١٨٧٤ ميلادية ٠٠ ودكان صغير لبيع الملابس يملكه ، عبد الغنى سعودى وحسن على المهدى » ٠ حسن يتزوج ابنة عبد الغنى ٠ ويتوفى حسن وطفل صغير فى بطن زوجته ابنة عبد الغنى ٠ وفى الأسبوع الأخير من فبراير ١٨٧٥ ، فى حارة تواجه الباب الأخضر للمسجد الحسينى ، وفى بيت شقيق زوجة « المرحوم حسن » ولد طفل هو « أحمد حلمى » ٠

خرج « أحمد حلمى » الى الحياة وأبوه قد رحل عن الدنيا ، ويرسله خاله الى كتاب ، خان جعفر ، ويتلقى الصبى ثقافة محدودة، ويحدث نزاع بينه وبين خاله لضيق ذات اليد ، فيذهب « حلمى » الى الاسكندرية سيرا على الأقدام من القاهرة ٠ ويعمل عملا متواضعا فى شركة أجنبية ولكنه يتعلم فيها الفرنسية ، ويترك الشركة الى العمل كاتبا صغيرا بمركز دمنهور ، ويذهب للعمل فى مأمورية سيوة ٠ ويعود الى القاهرة وكانت تصدر فى الاسكندرية جريدة تجارية سياسية يومية هى (السلام) وقد صدر العدد الأول منها فى ٥ مايو ١٨٩٨ ميلادية ٠ وأعلنت الجريدة سنة ١٩٠٠ أنها فى حاجة الى (مراسل) لها فى القاهرة ٠٠ وفى ٨ مارس ١٩٠٠م يظهر مقال صغير فى الجريدة لأحمد حلمى يتحدث فيه عن جهوده المقبلة كمراسل لهذه الجريدة ، والمقال مصحوب ببعض أخبار العاصمة ، ثم اشترك فى ١٥ ابريل ١٩٠٠م مع أحد الأجانب فى اصدار مجلة « الهوانم » التى أشرنا اليها ٠ وفى تلك الفترة بدأ يرسل بموضوعات حماسية لجريدة اللواء ٠ ويترك عمله فى مصلحة المساحة ليتفرغ للعمل فى جريدة اللواء من أول أكتوبر ١٩٠١ ميلادية يعمل مصححا للرسائل التى ترد الى الجريدة من

الأقاليم ، ويعاون « مأمون بيومى » المسئول عن الأخبار فى الجريدة. وأصبح بعدها يكتب المقالات الرئيسية ثم المقـالات الافتتاحية . وقد أشرنا من قبل الى مقاله الشهير (يا دافع البلاء – ٢٩ يونيه ١٩٠٦) من حادث دنشواى .

بعد رحيل الزعيم

واستمر « أحمد حلمى » قوة ضاربة على صفحات جريدة اللواء رغم الصراعات الداخلية الى أن رحل« مصطفى كامل » فى ١٠ فبراير ١٩٠٨ ، وتولى رئاسة الحزب الوطنى « محمد فريد » ليواجه مناورات « على فهمى كامل » الذى كان يطمع فى رئاسة الحزب ، والذى جاء بالشيخ عبد العزيز جاويش رئيسا للتحرير ، والذى سار بالجريدة فى سياستها التقليدية مناوئة للاحتلال ، وتميل للخديو حسب الظروف ، وتعتمد على تأييد فرنسا . ويبدأ الجاويش مقالاته فى ٣ مايو ١٩٠٨ . وكان « أحمد حلمى » قد ترك اللواء وبدأ يشن حملة ضد « على فهمى كامل » فينشر فى ٧ ابريل مقالا فى جريدة الأخبار (وهى جريدة أصدرها اللبنانى يوسف الخازن سنة ١٨٩٦ – أى أنها غير الأخبار التى أصـدرها فيما بعد أمين الرافعى) ، قال « أحمد حلمى » فى مقاله ان « على فهمى » بدأ يمالىء الانجليز لينقذوه من ديونه بسبب اسرافه ، وأشار الى خلاف على مع محمد فريد ..

وعندما تولى « محمد فريد » مسـئولية الحزب الوطنى بدأ « على فهمى » يستقطب المعارضين لمحمد فريد ، وأوعز الى العمال بالاضراب عن العمل ، وأرسل الخديو الى العمال المضربين ٦٠ جنيها سرا ، فلجأ محمد فريد الى طباعة اللواء فى مطبعة (الجريدة) بمساعدة « أحمد لطفى السيد » ، ولجأ « على فهمى » ومؤيدوه الى

اصدار صحيفة (مصر الفتاة) . أما « أحمد حلمى » فقد لمس أن « محمد فريد » عاجز أو غير راغب فى مناصرته لمواجهة « على فهمى كامل » فقدم استقالته ولزم داره . وأخذ يعد العدة لاصدار مجلته الأسبوعية (القطر المصرى) .

القطر المصرى

قدم « أحمد حلمى » استقالته كما أشرنا فى ٤ ابريل ١٩٠٨م ولزم داره الى أن أصدر (القطر المصرى) فى ذلك اليوم المطير يوم الجمعة ٢٤ ابريل ١٩٠٨ . بدأ تجربته الجديدة والحزب الوطـــنى لا يهتم به ، ومحمد فريد رغم علاقته الطيبة به الا أنه لا يستطيع أن يناصره في وضعه الذى لا يحسد عليه ، وعلى فهمى كاره له ويتآمر عليه ، وعبد العزيز جاويش رئيس تحرير اللواء حاقد عليه هازىء به .. وأحمد حلمى يعد نفسه واحدا من الأمناء على مبادىء الحزب الوطنى ، وواحدا من الأوفياء للزعيم بعد رحيله . وهكذا هاجم « على فهمى » واتهمه بمحالفة الانجليز ، وهاجم « الشيخ جاويش » واتهمه بالفعل على التفرقة بين عنصرى الأمة .. وفى حماسة يهاجم « أحمد حلمى » الاحتلال وأسرة محمد على ، ويهاجم الحكومة ، وينبه العمال الى حقوقهم ويستجيب عمـــال (الترام) ويقومون باضراب كبير ، ويخاطب الجيش أن ينضم الى صـــفوف الشعب ، وتحس سلطات الاحتـــلال بخطر (القطر المصرى) . وتنشر الأهرام فى ٢١ سبتمبر ١٩٠٨م أن القائم بأعمال المعتمد البريطانى تحدث الى الخديو بأن كل أمر جائز الى (التمحك) فى الجيش ، والا بث روح التمرد فيه ، ويتفق المســـئول الانجليزى والخديو على بعث قانون المطبوعات القديم الذى كان قد صدر سنة ١٨٨١ ، ويخطب فى مظاهرة احتجاجا على اعادة قانون المطبوعات

ويسير على رأس المظاهرة مدافعا عن حرية الصحافة فى ٣١ مارس ١٩٠٩ .

وفى صباح يوم الاثنين ٥ ابريل ١٩٠٩ انعقـــدت المحكمة الخصوصية بمحكمة السيدة زينب لمحاكمة أحمـــد حلمى (لأنه تطاول على مســـــند الخديوية المصرية ، وطعن فى حقوق الحضرة الخديوية ، وعاب فى ذات ولى الأمر) ، وتولى الدفاع عنه ، أحمد لطفى » المحامى شقيق التعـــاونى عمر لطفى ، وحكمت المحكمة بحبسه عشرة شهور وتعطيل جريدة (القطر المصرى) لمدة ستة أشهر واعدام كل ما ضبط ويضبط من العدد ٣٧ . وعدلت محكمة الاستئناف الحكم من عشرة اشهور الى ستة مع الشغل وكان عليه من قبل حكم بالحبس أربعة أشهر . وهكذا صار مجموع ما حكم عليه سنة كاملة مع الشغل وأربعة اشهر حبسا بسيطا . ومضى الصحفي الى سجن مصر ، ونقل فى ١٩ ابريل ١٩١٠ الى ســجن الاستئناف .. ولم يفرج عنه بعد قضاء ثلاثة أرباع المدة .. وأفرج عنه بعد قضاء مدة العقوبة كاملة في ١٤ أغسطس ١٩١٠ ، ويتقاضى عن اشتغاله بصناعة السجاجيد فى السجن طوال مدة العقـــوبة مكافأة قدرها ٤٩٨ مليما فيرسلها الى خزانة الحزب الوطنى .

وكانت « القطر المصرى » قد عادت الى الظهور فى ٢٣ أكتوبر ١٩٠٩ ، وأخذ أحمد حلمى يكتب من الســـجن بتوقيع « أديب ناصح » . كتب مقالا بعنوان « اصلاح الرعية بصلاح ملوكهـــا » (يا كل ملك غشوم ، أو حاكم ظلوم ما ضرك لو تتروى قبل حلول الأجل فلا تحكم فى عباد الله بحكم الجاهلين) ، وبعد أن أفرج عنه كتب مقالا فى ٢٦ نوفمبر ١٩٠٩ بعنوان (فلتسقط حكومة الفرد) ، فانتهى الأمر بتعطيل الجريدة نهائيا فى ٧ يناير ١٩١٠م .

ما بعد السجن

أفرج عنه فى ١٤ أغسطس ١٩١٠ ، وفى ١٨ أغسطس بدأ يكتب سلسلة من المقالات عن (السـجون المصرية) فى جريدة « العلم » وهى من جرائد الحزب الوطنى التى كانت قد صدرت أول مارس ١٩١٠ ومن الطريف أن « الشيخ عبد العزيز جاويش » كان رئيس تحريرها ورحب بمقالات أحمد حلمى التى جمعها بعد ذلك فى كتاب بعنوان (السجون المصرية) ، ثم كتب فى (الشعب) التى أوقفهـا « أمين الرافعى » فى ٢٧ نوفمبر ١٩١٤ ، وكانت مقالات حلمى فى الشعب غالبيتها بدون توقيع · ولفترة قصيرة أصدر فى آخر سنة ١٩١٤ جريدة « المشرق » تحتوى على المقالات الاجتماعية والوطنية ، وفى كل عدد قصة مترجمة أو موضوعة ·

وبعد أن أعلنت الحماية البريطانية على مصر فى ديسـمبر ١٩١٤ اتجه الى العمل فى الزراعة حتى انه كان يزرع ألف فدان وكسب أموالا طائلة واشترى عمارة كبيرة فى شبرا · وفى ٢٥ أغسطس ١٩١٩ عاوده الحنين الى الصحافة فأصدر جريدة (الزراعة) أسبوعية ولم تستمر طويلا ·

بقيت مسألة نسجلها أمانة للسرد التاريخى ، وهى اتصال « أحمد حلمى » بالماسونية منذ عام ١٩٢٦ · كان يقضى وقتا طويلا فى (المحفل) حتى وصل الى درجة الخطيب الأعظم فى الوقت الذى كان فيه « على شوقى باشا » أستاذا أعظم ، والدكتور أحمد ماهر نائبا للاستاذ الأعظم ، ومحمد حافظ رمضان باشا منبهـا أول أعظم ، ومحمد لطفى جمعة منبها ثانيا أعظم ·· وكان « الدكتور محمد مظهر سعيد » السكرتير الأعظم للمحفل الأكبر الوطـنى المصرى · ولهذا قصة أخرى ·

وبعد الثراء العريض الذى أصابه « أحمد حلمى حسن المهدى » نزلت به خسائر مالية فادحة تأثر لها تأثرا بالغا ، وأصيب بمرض البول السكرى .

وفى ١٨ يناير ١٩٣٦ م توفى « أحمد حلمى » بعد رحلة شاقة فى الحياة وشيعت جنازته من منزله بشارع جميل باشا خلف المدرسة التوفيقية بشبرا وكان حفيده « محمد صلاح الدين بهجت » فى السادسة من عمره والذى عرفناه فيما بعد باسم صلاح جاهين ذو المواهب المتعددة والذى رحل هو أيضا منذ سنوات قليلة .

وفى أول شبرا ميدان فسيح هو (موقف أحمد حلمى) على ألسنة الناس .. وفى ٢٠ يناير ١٩٥٧ أزيح الستار عن لوحتين تذكاريتين بنقابة الصحفيين واحدة لعبد الله النديم ، والثانية لصاحب هذه السيرة « أحمد حلمى ، بن حسن ، بن على ، بن عامر ، ابن السيد ، بن جاهين ، بن المهدى » .

أسانيد المقال

● د. أحمد أحمد بدوى	أحمد حلمى الصحفى المكافح
● خلف عبد العظيم	بحث تمهيدى موجز لم ينشر بعد
● د. شوقى الجمل	مراسلات مصطفى كامل
● عبد العظيم رمضان	مذكرات سعد زغلول ج ١
● د. يواقيم رزق	صحافة الحزب الوطنى (١٩٠٧ ـ ١٩١٢)

أحمد صادق سعد

● شارك فى اصدار مجلة الفجر الجديد .

● شارك فى تأسيس تنظيم سرى يتحالف مع الوفد ويعارض الاخوان المسلمين ومصر الفتاة .

● فى عدد من جريدة (الأهالى) وفى ركن خجول من الصفحة الأولى ، رقد خبر رحيل « أحمد صادق سعد » وقليلون جدا من القراء يعرفون شيئا عن « احمد صادق سعد » . وما يعرفونه هو الجزء الظاهر من نشاطه الذى تمثل أساسا فى مجلة (الفجر الجديد) وفى عدد من المقالات والتعليقات هنا وهناك . وعدد محدود يعرف شيئا عن نشاطه السرى فى تشكيل أحد التنظيمات الماركسية فى مصر ، وموقف هذا التنظيم الماركسى من الوفد والاخوان المسلمين ومصر الفتاة .

هذا التنظيم السرى الذى أسهم « أحمد صادق سعد » فى تكوينه تعددت الأسماء له . ولكن اسم الشهرة له والذى عرف به – ربما عن طريق الخطأ – هو اسم (الفجر الجديد) نسبة الى المجلة السياسية الاجتماعية الأدبية التى تميزت بطابع خاص عامى ٤٥ – ١٩٤٦ ، وعلى صفحات تلك المجلة كتب « أحمد رشدى صالح » رئيس تحريرها ، وعبد الرحمن الشرقاوى ، ونعمان عاشور ، وسعد مكاوى ، ومحمد خليل قاسم ، ومصطفى كامل

منيب ومحمد اسماعيل محمد وكثيرون آخرون وأنا أذكر هنا الأسماء التى رحل أصحابها فقط ٠

كان التنظيم الذى يقف خلف مجلة (الفجر الجديد) مغرقا فى السرية ولهذا استسهل الناس أن يطلقوا عليـــه اسم الفجر الجديد وهو اسم المجلة ٠ وفى كتابه (صفحات من اليسار المصرى) الذى كتب له مقدمة تحليلية « الدكتور عبد العظيم رمضان » يضع « أحمد صادق سعد » أمامنا المعلومات الأولى عن نشـــأة تنظيمه والتنظيمات الماركسية الأخرى ٠ وهى بايجاز شـــديد تعود الى (عناصر يهودية) أسست فى أواخر الثلاثينات هيئة علنية فى القاهرة والاسكندرية هى (جماعة أنصار السلام) ٠ وكان النشاط الأساسى لجماعة أنصار السلام تلك موجها ضد ألمانيا وايطاليا ، وضد خطر الفاشية ، وضد اضطهاد « هتلر » لليهود ٠ وداخل هذه الحلقة أو جماعة أنصار السلام حدث صراع بين العناصر الفعالة اليهودية ، وكانت كلها عناصر ذات ثقافة ماركسية ٠ فى البداية بين أنصار « تروتسكى » عدو ستالين اللدود وفى مقدمتهم « راءول كوربيل » « شقيق « هنرى كوربيل » الشيوعى المعروف فى مصر بعد ذلك ، وبين أنصار « ستالين » وهم عديدون أبرزهم ثلاثة هم « يوسف درويش وريمون دويك وأحمد صادق سعد » هم ثلاثة من اليهود المصريين الذين أشهروا اسلامهم ، فى البداية يوســف درويش ١٩٤٧ ثم أحمد صادق سعد وريمـــون دويك فى مرحلة متأخرة سنة ١٩٥٧ ٠ بدأوا حوالى سنة ١٩٤٠ بالاتصـــال ببعض الشبان الذين فتحوا فصولا دراسية لمحو الأمية فى حى السبتية بالقاهرة ٠ وأسسوا جمعية جديدة هى (جماعة الشبان للثقـافة الشعبية) ٠ وسنة ١٩٤٢ وقع هجوم القوات الألمانية والايطـالية على الحدود الغربية لمصر فهاجر الى الخارج غالبية الأعضاء اليهـــود

من (جماعة أنصار السلام) وجماعة (محو الأمية) وجماعة « يوسف وصادق وريمون » كما بقى « هنرى كورييل » وعناصر يهودية أخرى · ومن هنا نشأت حلقات ماركسية منقسمة ومتصارعة ·

ولقد ركز « يوسف درويش وأحمد صادق سعد وريمون دويك » على الاتصال بالعمال المصريين وخاصة فى شبرا الخيمة · وكانت العناصر العمالية الأولى التى اتصلت بها تلك الحلقة الماركسية ، والمعادية لحلقات « هنرى كورييل » وغيره ، هى « محمد يوسف المدرك » ، ومحمود العسكرى ومحمد عبد المقصود وفضالى عبد المجيد . وطه سعد عثمان » وهى عناصر كان لها نشاط معروف بين عمال النسيج (راجع ·· كفاح عمال النسيج ·· طه سعد عثمان) ولقد عاونت مجموعة « يوسف وصادق وريمون » العمال على اصدار عدد من النشرات والمجلات العمالية أهمها (مجلة الضمير) والتى صدرت عن منبر علنى اتخذ اسم (لجنة العمال للتحرير القومى ـ الهيئة السياسية للطبقة العاملة) وكان صاحب المجلة هو « الدكتور عبد الكريم أحمد السكرى » ·

واذا كان « يوسف درويش » المحامى العمالى تفرغ للاتصال بالعمال المصريين والاشراف على اصدار صحف عمالية ، فان أحمد صادق سعد وريمون دويك كانا من مسئولياتهما العمل بين المثقفين المصريين · وقد بدأ هذا النشاط بالاتصال بمصطفى منيبه ، ورمسيس يونان وآخرين ممن واصلوا اصدار مجلة (المجلة الجديدة) التى كان يصدرها « سلامة موسى » ، ثم تأسست (لجنة نشر الثقافة الحديثة) التى اهتمت باعداد الندوات والمحاضرات وقررت المجموعة تأسيس دار نشر باسم

(دار القرن العشرين) أدارها « ريمون دويك » أصدرت ترجمة لكتاب (الاستعمار البريطاني فى مصر) ودراسة عن (كرومر فى مصر) والترجمة والدراسة لأحمد رشدى صالح . ثم أصدرت كتاب (مشكلة الفلاح) لأحمد صادق سعد . الا أن أهم عمل ثقافى لهذه المجموعة هو اصدار مجلة (الفجر الجديد) .

وحصل « أحمد رشدى صالح » على ترخيص باصدار مجلة (الفجر الجديد) بمعاونة والد زوجته الذى كان يعمل بوزارة الداخلية . وفى ١٦ مايو ١٩٤٥ صدر العدد الأول من مجلة الفجر الجديد حتى أغلقها « اسماعيل صدقى » فى يوليو ١٩٤٦ ورأس تحريرها « أحمد رشدى صالح » وعمل « أبو سيف يوسف » سكرتيرا للتحرير وكتب فيها كما أسلفنا « أحمد صادق سعد ، ومحمد اسماعيل محمد ، وسعد مكاوى ، ونعمان عاشور وعبد الرحمن الشرقاوى وعبد القادر التلمسانى ، وأنور المشرى ، ومحمد خليل قاسم ، وكمال عبد الحليم .

وقد كان « أحمد صادق سعد » من أنشط محررى (الفجر الجديد) كتب مقالات كثيرة بتوقيع صادق سعد ، وأحمد سعيد . وبدون توقيع ، وبتوقيع (وطنى) تماما مثلما اتخذت الحلقة التى أسهم فى تكوينها أسماء كثيرة .. الاتحاد الديمقراطى .. جماعة السلام .. الحركة الشعبية للتحرر ..

وأيا كان الاختلاف فى تقييم تنظيم الفجر الجديد فقد عرف هذا التنظيم الماركسى بموقفه التحالفى النقدى من الوفد ، وعرف بنشاطه بين الشباب الوفدى ، وأسهمت عناصره فى تحرير بعض الصحف الوفدية . وعرف هذا التنظيم (متعدد الأسماء) بموقفه الهجومى المتطرف من جماعتى الاخوان المسلمين ومصر الفتاة . وأيا كان الاختلاف فى تقييم الدور الذى قام به « أحمد صادق »

فاننا باستعراض مقالاته التى كتبها فى مجلة (الفجر الجـــديد) تلمس أنه ربط بين الدعوة لالغاء معاهدة ٣٦ ورفع مستوى الطبقات الشعَبية ، ويدعو لرفض المفاوضات الثنائية ، ويدافع عن تعـــدد الأحزاب ، ويدعو الى حماية صـــغار المنتجين ، يطـالب بمكافحة البطالة ٠

قد نختلف أو نتفق حول هذا التنظيم أو ذاك ، وَحول فلان أو علان ونحن هنا نؤرخ للشعب ، ولكل الذين كانت لهم بصمات على حركته السياسية بالايجاب أو بالسلب ٠



المهندس أحمد عبده الشرباصي

● اتهم لجنة عامر لتصفية الاقطاع بالسلب والنه

● ١٩٧٢ .. عريضة للسادات تطالبه بالجبهة الو

● روسيا لم تدعه لزيارتها .. ودعته أمريكا فا

● ثائر هادیء ، مفكر متواضع ، مثقف موســوعی ، عالم ب
واللغة ، سياسي غير محترف ، انسان حين تضير المواقف الان
باصحابها وحين يكون الوفاء متعارضـا مع المنصب ، شجاع حين
أن تطيح الشجاعة باصحابها ، مخلص لديه محب للانسانية
لبلاده ولنيل بلاده ..

قدمته الحياة لنا فی بداية أمره ، على أنه «أحمد عبده الشرب
مهندس الری ، وكان يكفيه هذا .. فمهندس الری فی بلادنا كان
مقدمة موظفی المؤهلات العليـا مرتبـا ووسائل انتقال ومسكنا
النيل ، كان مهندس الری فی مصر محسودا من سائر الموظفين .
على هذه الحال منذ عام ١٩٢٤ عام تخرجه في مدرسة الهندسة ب
القطر المصری من الاسكندرية الى أسوان فعرف النيل نقطة نقطة ، و
قراه قرية قرية، واخشى أن أقول عرف عائلاتها عائلة عائلة. و
ليعمل بالسودان منذ عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٤١ للعمل فی انشـ
خزان جبل الأولياء . والذين عاشوا بالسودان يعرفون أن مهند
الری هناك كانت لهم مكانة وتقدير ورخاء . وخلال تلك الفتر
وفی النادی المصری بالخرطوم تحلق حوله مصريون كثيرون يستم
الى آراء في الدين غاية في الأصالة ، ويستمعون الى شعر وادب وب

غاية فى الرفعة ، ثم يقفون منه على احوال النيـــــل من منبعه الى مصبه •

ولولا انهم يعرفونه لقالوا •• انه ثائر وداعية جاء اليهم متنكرا فى وظيفة مهندس كبير للرى ، تسانده ثقافة عميقة فى المجال الذى تنكر فيه • وسنة ١٩٤١ نزل من السودان ، على حد التعبير الدارج بين الموظفين ، وعادت به عجلة الحياة تنقله من مدينة الى مدينة ، ومن قرية الى قرية ، ومن كفر الى كفر ، حتى جاء ابريل ١٩٥٣ فعاد الى السودان مساعدا للمفتش العام للرى وهى وظيفة مرموقة • نسيت ان اقول انه عندما كان بالسودان (١٩٣٣ ـ ١٩٤١) رآه وجلس اليه « محمد نجيب وجمال عبد الناصر » فى النادى المصرى ، بل ان « محمد نجيب » زاره فى بيته بالسودان سنة ١٩٣٧ •

عاد « الشرباصى » كما قلنا الى السودان فى ابريل عام ١٩٥٣ وفى يوليو اتفق جمال عبد الناصر ومحمد نجيب على استدعاء الشرباصى ليشغل منصب وزير الأشغال • وحضر فى ٩ يوليو ليتسلم وزارة الأشغال ويفاجأ بذاكرة حديدية كما يقولون لدى محمد نجيب وجمال عبد الناصر وعدد آخر من الضباط الذين تعرفوا عليه فى النـــــادى المصرى بالسودان •

دخل الحكم سنة ١٩٥٣ وزيرا للأشغال وبعد الوحـــــدة بين مصر وسوريا ١٩٥٨ أصبح وزيرا مركزيا للأشغال ، وبعد انفصام الوحدة عين عضوا فى مجلس الرياسة ، ثم نائبا لرئيس الوزراء للأوقاف وشئون الأزهر (١٩٦٤) حتى ترك الحكم سنة ١٩٦٦ قبل هزيمة ١٩٦٧ ، ولم يعد للحكم مرة أخرى بعــــد أن رأى الصراع الرهيب داخل مجلس الرياسة وغيره •

وخلال تلك المدة من الحكم وهى ١٣ سنة لم يكن الشرباصى مجرد وزير يؤمر فيأتمر ولم يكن مجرد موظف استدعى ليـــكون

وزيرا فحرص على المنصب ، وكثيرا ما يذل الحرص أعناق الرجال ، وانما كان وطنيا له منهجه وفيا له مواقفه ومفكرا له اتجاهاته ٠٠ ولم يكتب هذه المواقف أو تلك الأفيار ٠

كان وفيا مخلصا شجاعا فى وفائه لزملائه وأصدقائه حتى ولو اعترض السلطان على هذا الوفاء ٠٠ كان شجاعا فى علاقته بالشيخ أحمد حسن الباقورى وكان وفيا فى رثائه لحسين سرى وعثمان محرم ، ونجيب ابراهيم ٠

وكان وزيرا يحترم نفسه وهو يعترض على التجـــاوزات فى قضايا الاقطاع ولم يخش الصدام بشخص كان الجميع يعملون له الف حساب بما فيهم جمال عبد الناصر نفسه وهو المشير عبد الحكيم عامر ٠

وبعد أن ترك الحكم بسنوات ست ، عندما شعر بأن الوطن فى حاجة الى كلمة مخلصة منه ومن بعض أصدقائه كتب تصوره الشـــامل بخط يده فى عريضـــــة ابريل ١٩٧٢ ووقف « أنور السادات » فى مجلس الشعب يصف أصحاب العريضــــة بأنهم « يريدون أن يفرضـــوا وصـــاية على البلد » : وأحسب أن هذه المواقف وغيرها فى حاجة الى تفصيل ٠

كان السلطان قد فرض عزلة على « الشـــــيخ أحمد حسن الباقورى » نتيجة لوشاية أو وشايات ٠ وانصرف عنه الصحاب والأصدقاء ومريدو الحاجات الا أن الشرباصى أصر فى وفاء نادر على أن يزور صديقه وبصفة متصلة ، وأبلغ ذلك للسلطان الذى تظاهر بالموافقة وأثنى على وفاء الشرباصى ٠

وعندما كان وزيرا مركزيا للأشـــغال توفى رئيس الوزراء الأسبق المهندس حسين سرى وعلى الرغم من موقف رجال ٢٣ يوليو

منه ذهب الشرباصي وألقى كلمة رثاء هي قطعة أدبية رفيعة ويذكر له .. (أعز هذه الذكريات ذكرى ترجع الى ثلاثين عاما خلت ، ونحن يومئذ مهندسون ناشئون واذ به يدخل المكتب المتواضع ، ويفجؤني بقوله .. يقولون بأنك امرؤ مغرور ؟! ويلمح انقباضي وازوراري ، فيلتفت الى مخاطبا : ان ما يسمونه غرورا أسميه ثقة بالنفس ، فلا تبال بما يقولون وسر في طريقك) .

وفي رثاء المهندس نجيب ابراهيم قال الشرباصي : (كلنا نعلم أن الانجليز كانوا حريصين أشد الحرص على الاستئثار بوزارة الأشغال .. ولكن نجيب ابراهيم رد للمصريين ثقتهم بأنفسهم . وأعلى من كرامة المواطن وشرفه ، وغسل الاهانة التى ألصقها المستعمر بوطنه ، ومن حوله أنظار انجليز تقدح بشرر الحقد ..)

وأحمد عبده الشرباصي من شباب ثورة ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول وكان عمره ٢٠ سنة (ولد في ابريل ١٨٩٩) وهو في ذلك الوقت في مدرسة المعلمين وقبض عليه ، ولما أفرج عنه سافر لقريته (كفر أبو ذكرى) مركز منية النصر - مديرية الدقهلية يدعو للثورة . وامتنع هو وبعض زملائه عن الامتحان وفصل من مدرسة المعلمين العليا . وظل مخلصا لزعامة سعد الا أنه كان يعتقد أن عبد اللطيف المكباتى ابن خاله (شخص لم يجد التاريخ بمثله) والمكباتي هو أحد الأعضاء المؤسسين للوفد ، واحد البارزين فى تأسيس حزب الأحرار الدستوريين . وقد مال أحمد عبده الشرباصي الى الأحرار الدستوريين وكان يؤمن أنهم الذين أتوا بالدستور للبلاد (يقصد دستور ١٩٢٣) ولذلك كان الشرباصي في شبابه على خلاف مع « عثمان محرم » لاختلاف الميول الحزبية لدى كل منهما . وتوفى عثمان محرم وزير الأشغال الأسبق عندما كان الشرباصي وزيرا للأشغال والرى .. فرثاه الشرباصي وأشاد به

وجاء له البعض وسألوه كيف وهو وزير فى ثورة حاكمت عثمان محرم وكيف وهو من أعضاء الأحرار الدستوريين يقوم برثاء عثمان محرم من قادة الوفد ؟ .. ويقول « الشرباصى » بهدوء وثقة .. هذا لا يمنع أن نذكر آثار الرجل على مصر ، وكانت كلمة الشرباصى فى رثاء عثمان محرم من الكلمات المنصفة والتى أبانت بياض صفحة أحد كبار الوفديين وسجل أن عثمان محرم هو الذى بدأ الاسكان الشعبى قبل أن تبدأه وزارات ٢٣ يوليو ٠

أطلق عليه « عبد الحكيم عامر » لقب حامى حمى الاقطاع ، وقالوا لعبد الناصر ان « الشرباصى » يشنع على لجنة تصفية الاقطاع (فى قلب الوزارة) ، كان « عبد الحكيم » هو رئيس لجنة تصفية الاقطاع ومعه عدد كبير من ذوى الجاه والسلطان ٠ ورأى « الشرباصى » أن هذه اللجنة لا تسير حسب القانون ، ولا حتى قانون الاصلاح الزراعى ، وان اجراءاتها استثنائية ، فطالب بوقف (السلب والنهب) والالتزام بقانون الاصلاح الزراعى ٠ كان الناس الذين تسلب أملاكهم وتنهب يذهبون الى « الشرباصى » ويبحث الشكاوى والمستندات ، ويحدد جوانب الخروج على قانون الاصلاح الزراعى ويرسل نسخة الى « عبد الحكيم » بصفته رئيسا للجنة تصفية الاقطاع ، وصورة « لعبد الناصر » بصفته رئيسا للدولة ، ولكنه لاحظ أن المشكلات قبل أن تصل الى عبد الناصر تعبث بها أياد كثيرة ، فتصل الصورة مشوهة ، وتجىء أحكام عبد الناصر حسب آخر صورة وصلت اليه ، ولكن «عبد الناصر» أنصف حالات كثيرة وصلت اليه مما أثار اللجنة على المهندس الشرباصى ٠

وقد توثقت الصلة بين « عبد الناصر » و « الشرباصى » ونشأ بينهما احترام متبادل لأن الشرباصى له منطق فى تفكيره وليست

له مصـــــالح شخصية أو خاصـــة وقوى الحجة ، ويبـــدو أن « عبد الناصر » كان فى حاجة ـ فى تلك الفترة ـ الى عناصر فى وزن الشرباصى ليواجه عددا من العناصر المحيطة به · وهذا ما حدا بعبد الناصر الى أن يحاول اعادة « الشرباصى » الى الحكم بعد هزيمة ١٩٦٧ · كان الشرباصى قد اعتزل الحكم سنة ١٩٦٦ قبل الهزيمة · ولا نعرف لماذا اعتزل أو أصر على الاعتزال فهو لم يترك كتابا مؤلفا فيما عدا بحثه عن السد العالى ، كما أنه لم يترك مذكرات سوى بعض الخاطرات وبعض الأفكار التى حفظها لنا ـ جزاه الله خيرا ـ الدكتور فرج الشرباصى ، والتى أودعها كتابه عنه (مع المهندس أحمد الشرباصى ـ قبل الرحيل) والذى صدر بعد رحيل الشرباصى بعامين (توفى فى فبراير ١٩٨٤) بعد الهزيمة زاره « عبد الناصر » فى منزله بمصر الجديدة ، ولكنه قد آل على نفسه ألا يعمـــل فى الحكومة بعد خروجه منها ، ولكن اذا استنصحه ولى الأمر فلابد من اسداء النصيحة باخلاص ·

العريضـــة

ثم تأتى العريضة المشهورة أو المغمورة ، والتى قال عنهـــا « أنور السادات » فى مجلس الشعب ان أصحابها (يريدون فرض وصاية على البـلد) وكى نفهم ظروف البـلد التى جـاءت بعـدها العريضة (٤ ابريل ١٩٧٢) نعود الى ما كتبه السادات فى (البحث عن الذات) ·

جاء بودجورنى فى أواخر مايو سنة ١٩٧١ ، وفى اليوم التالى عقدنا المعاهدة ·· وكنت قد أعلنت أن عام ١٩٧١ هو عام الحسم فاما حل سلمى واما معركة · وفى أول يناير ١٩٧٢ أعلن روجرز أن أمريكا ستحتفظ لاسرائيل بالتفوق على العرب مجتمعين وليس

على مصر وحدها .. وفى أواخر ابريل سنة ١٩٧٢ طلبت من موسكو توريد الأسلحة المتأخرة ولم يتم شيء .

وانتشرت اضرابات الشباب طلبا لحل ويأسا من التصريحات العديدة .. و « الشرباصى » يتلخص تفكيره فى أن المخطط الصهيونى يهدف الى أن تنطفىء أى جذوة مشتعلة فاذا خمدت الروح انعدمت الادارة وضاع الهدف . وان أسباب هزيمة ١٩٦٧ هى غيبة القانون وصورية الأجهزة ، وامتهان الانسان فى وطنه .. وتنبغى مراجعة سياسة الاعتماد الكامل على الاتحاد السوفيتى أو على الولايات المتحدة ..

وفى ٤ ابريل ١٩٧٢ كتب « المهندس أحمد عبده الشرباصى » عضو مجلس الرياسة ونائب رئيس الوزراء الأسبق ، كتب عريضة بخط يده ووقع العريضة معه .. « الدكتور مصطفى خليل وعبد اللطيف البغدادى ، وكمال الدين حسين ، وصلاح الدسوقى ، ومدكور أبو العز ، وعصام الدين حسونة ، ورفض « فتحى رضوان » التوقيع معهم طبقا لرواية « موسى صبرى » فى كتابه « السادات .. الحقيقة والأسطورة » وقد سلم المذكرة « عبد اللطيف البغدادى » الى « محمود أبو وافية » فى مظروف مغلق أمام وزارة الزراعة بالدقى كى يقدمها الى « السادات » .

وقد أوضحت العريضة أن مصر لم تعرف محنة كتلك المحنة التى تمر بها . الغزو الاسرائيلى يدنس جزءا غاليا من أرض مصر ، والولايات المتحدة الأمريكية تقدم لاسرائيل من العون القدر الذى يغريها بالمزيد ، والاتحاد السوفييتى يقدم لنا من العون القدر الذى لا يأذن بتحرير الأرض . والدول العربية لم تستجمع بعد قواها ، وأن البناء الداخلى يوشك أن ينقض . وهزيمة يونيه ولدت فى حضن استبداد الفرد بالسلطة . وأن الطريق الى النصر لا يمكن

بمحال أن يكون طريق الهزيمة .. لقد آن الأوان لأن ترسم سياسة التحرير الوطني على أساس أن قوى مصر الذاتية وحدها ـ روحية ومادية ـ هى الركيزة الأولى والأمينة لتلك السياسة .. وانتهت العريضة بدعوة كل الشخصيات الوطنية . التى عرفت بولائها لمصر ولثورة ٢٣ يوليو لمناقشة (شئون الوطن العامة) وتشكيل (جبهة وطنية) تتولى تخطيط سياسة النضال الوطنى من أجل التحرير .

القدوة الحسنة

هذا العقل الموسوعى ، صاحب التماسك الأخلاقى ، واستقامة الفكر والسلوك .. لم ينشأ من فراغ أو فى فراغ .. لعل كلمة الدكتور ابراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية فى جلسة تأبين الشرباصى تلقى بعض الأضواء .. (لا غرابة فقد بدأ تعليمه فى كتاب القرية ، وحفظ فيه نصف القرآن ولم يجاوز السابعة من عمره ، ثم انتقل الى المدرسة الابتدائية والثانوية ، وتتلمذ لأمثال فريد أبو حديد وأحمد رامى فحببا اليه الشعر والنثر ، وكان لالهامه فى ثورة ١٩١٩ ما دفعه الى تجويد القول والخطابة . ويظهر أنه كان أميل الى الدراسات الأدبية فالتحق بمدرسة المعلمين العليا ، ثم قطع الجهاد الوطنى عليه الطريق وسجن زمنا ، وما أن خرج من سجنه حتى اتجه نحو مدرسة المهندسخانة وكانت له مجالس أدبية وعلمية جمعت بين شيوخ الأزهر وكبار العلماء المعاصرين . وفى عام ١٩٦٥ حظى مجمع اللغة العربية بعضويته ، وتشاء الصدف أن يشغل المقعد الذى كان يشغله أحمد لطفى السيد ، وطوال ١٩ سنة حاول ما استطاع أن يسهم فى أعمال المجمع ، فى لجانه ومجلسه ، ومؤتمره) .

وكان له في بيته بمصر الجديدة ندوة أسبوعية يلتقي فيها برجال الفكر والثقافة الرفيعة فهو عالم جليل واسع الأفق يتحدث مع زملائه وأصدقائه وتلاميذه في الشريعة وفي الشعر وفي الأدب وجلسائه حافلة بالحوار مع المتخصصين في الفقه والتفسير والبلاغة والنحو ، وكان من أصدقائه وجلسائه المرحوم الشيخ « عبد الجليل عيسى » والمرحوم « عبد الرحمن الجويلي » .

ولأنه يتمتع بحس انساني رقيق فقد أثر في نفسه رحيل « الشيخ عبد الجليل عيسى » ورآه البعض يبكي كالأطفال عندما توفي « عباس محمود العقاد » .. اذ انه أحب العقاد في شبابه ثم انصرف عنه لملازمة العقاد للوفد وظل على عدائه للعقاد الى أن قرأ له كتابه (مطالعات في الكتب) فعاد يحبه ويؤثره على الكتاب الآخرين .

والى جانب ندوته كانت له أحاديثه المعروفة لطلاب العالم الاسلامي طوال أربعة أعوام (١٩٦٣ ـ ١٩٦٦) وخاصة في معسكر أبي بكر الصديق .

هكذا يفكر

كان يعتقد بأن الوطنية موجودة في دم كل انسان ، والذين يظنون أن الوطنية وقف عليهم انما هم يعبثون .. وتصنيف الناس خاطيء .. ولا نستطيع بل لا يجب أن نتهم أحدا بأنه (غير وطني) (فالوطنية ليست وقفا على فئة أو حكرا على طبقة وكم من وقت أضعناه في فكرة التصنيف هذه ومازلنا نتخبط فيها ، ان مثل هذا الأقوال لا يجني الشعب من ورائها شيئا الا الفرقة والخوف ، ومعناها اما أن تكون وطنيا أي تهز رأسك دائما بالموافقة واما أن تكون غير وطني اذا ما حاولت أن تغاير) .

وكانت له مواقف ازاء الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة .. فالاتحاد السوفييتى لم يرسل له أية دعوة لزيارته فى حين أن كل الوزراء وصلتهم دعوات . أما الولايات المتحدة فكان يرسل وكلاء الوزارة نيابة عنه ، وهو يرى (أن الولايات المتحدة وراء اسرائيل فيما كانت تفعله ، والاتحاد السوفييتى كان يساعدنا بتحفظ شديد ، أما الدول العربية فان القدر الذى قدمته كان تعويضا جزئيا عن خسارتنا فى قناة السويس ولكنه لا يفى بمطالبنا الآخذة فى التزايد) .

أما رأية فى الوحدة العربية فهو يقدم العقيدة والدين على أية أسس أخرى كاللغة ووحدة التاريخ ووحدة الفكر .. فالدين يبنى الانسان نفسه .. والبناء عنده هو (الناس) والأنظمة ينبغى أن تكون حافظة وراعية للبناء والأساس .. ورأيه أن (الدين) هو الملاذ والأمان والطمأنينة .

وعن التصوف الحق فان « الشرباصى » يرى ما يراه « العقاد » فالملكات الانسانية كثيرة وكبيرة لأن ينالها انسان واحد (فالتصوف مسألة يمكن نوالها بالتخصص مثل ملكات أخرى جسدية وروحية .. واستيحاء أصول التصوف الحقيقى هو من خلال القرآن الكريم .. وعلى ذلك فلا يمكن أن يصير الناس كلهم من الصوفيين) .

وفى سنة ١٩٦٦ ترك الحكم ولم يعد له ، وانصرف الى نشاطه بمجمع اللغة العربية ، والى ندوته الاسبوعية ، والى أحاديثه مع مريديه .. وفتح بيته لأبناء السودان وأبناء مصر معا . بدا المرض يهاجمه منذ عام ١٩٨٣ . وقرر الرئيس « محمد حسنى مبارك » علاجه على نفقة الدولة بانجلترا وكان المرض أقوى من كل علاج

فعاد الى القاهرة حيث توفى فى فبراير ١٩٨٤ عن ٨٥ عاما وعن ٤٠ وساما وعن محبين وأصدقاء وعارفين لفضله لا يعرف لهم أحد عددا .

أســـانيد المقال

● احمد الشرباصى	السد العالى وآثاره
● أنور السادات	البحث عن الذات
● د. فرج الشرباصى	مع المهندس أحمد الشرباصى
● د. مهــدى عــلام	المجمعيون فى ٥٠ عاما
● موسى صبرى	السادات الحقيقة والاسطورة



شهدى عطية الشافعى

- كافح ١٨ عاما منها ٩ فى السجون
- طالب بابعاد اليهود عن الحركة الشيوعية فابعدوه عن مجلة الجماهير
- نادى بحزب جديد فعارضه أحمد رشدى صالح

كيف نبدأ ؟ .. ومن اين نبدأ .. بعيدا عن التعظيم ، وبعيدا عن التاثيم ؟ .. كيف نقرأ « شهدى عطية الشـــافعى » احد قادة الحركة الشيوعية فى مصر قراءة صحيحة ؟ احد العناوين البـارزة فى الكتاب الأحمر فى مصر .. لا نقرؤه دون ان نبدأ من الصـفحات الاولى لذلك الكتاب .. وبعد ان نقراه لا نستطيع ان نتوقف عند خطاب مصلحة السجون الى مدير الطب الشرعى ـ مشرحة زينهم ـ ١٧ يونيو ١٩٦٠ (مرسل مع هذا جثة المســـجون تحت التحقيق المتوفى لرحمة الله شهدى عطية الشافعى وذلك كاشارة قسم عابدين بناء على انتداب السيد وكيل نيابة أمن الدولة لكم . رجاء التكرم بالاستلام والتوقيع بما يفيد ذلك) .

اتفقنا .. سوف نقرأ الصفحات الاولى لنرى آثارها فى خطى « شهدى عطية الشافعى » .. وسوف نقرأ « شهدى » لنرى بصماته على الحركة الشيوعية المصرية بعد النعى الذى نشرته جريدة (الأهرام) فى ٢٠ يونيو ١٩٦٠ وقالت الأسرة عن (عزيزها الغالب) :

فتى مات بعد الطعن والضرب ميتــة
تقوم مقـــام النصر ان فاته النصر

البداية أجنبية صرفة ٠٠ « بانكاكس » تاجر اسفنج يونانى ١٩٢٠ ، و « روزنتال » لا أحد يعرف أصله ، غادر مصر بعد ان حل « سعد زغلول » الحزب الشيوعى سنة ١٩٢٤ ٠٠ «افيجدور» زوج بنت روزنتال ٠٠

« روزنتال » اشتراكى روسى ، بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ عاد لروسيا وعمل سكرتيرا خاصا للزعيم لينين ٠٠ « استور » جندى انجليزى جاء أثناء الحرب العالمية الأولى ٠٠ « بوبوفا » بلغارية لقنت الماركس المصرى القديم « عبد الفتاح القاضى » الماركسية فى ألمانيا سنة ١٩٢٠ ٠ أجانب من كل لون عملوا على تأسيس نقابات عمالية ، وتأسيس الحزب الاشتراكى المصرى (١٩٢١) وتحول الى (الحزب الشيوعى المصرى) سنة ١٩٢٢ ٠ وذكر الكاتب « ابراهيم عامر » فى كتابه (ثورة مصر القومية ص ٦٤) قولا للزعيم «لينين» نقلا عن (وثائقه الدولية الشيوعية ١٩١٩ ـ ١٩٢٢ المنشورة فى لندن ١٩٥٦) ٠٠ أعلن لينين (ان الحزب الشيوعى المصرى مؤلف أساسا من الأجانب وأن الأجانب موجودون فى الحزب لا يزيدون على كونهم عملاء للاستعمار ، يسعون الى تضليل العمال المصريين) .

وفى ظل الحماية الأجنبية وامتيازتها نشر « روزنتال » بيانا الى النقابات التى أسسها الأجانب فى مصر يدعوها الى تأسيس (اتحاد عام للعمال) الذى تكون فعلا سنة ١٩٢١ ٠ وانتقل « روزنتال » خطوة أخرى بين الأجانب ذوى الثقافة الماركسية فأسس (حزبا) ، وفى الوقت ذاته كانت بالقاهرة جمعية اشتراكية تكونت من سلامة موسى وعلى العنانى ومحمد عبد الله عنان ومحمود حسنى العرابى ٠

واتفق « روزنتال » مع الجمعية على تكوين (الحزب الاشتراكى المصرى) سنة ١٩٢١ ٠ وصدر بيان بتأسيس الحزب موقع عليه

من هؤلاء المصريين وحرص « روزنتال » على عدم التوقيع معهم مكتفيا بتحريك الأعضاء الأجانب وهم الغالبية الساحقة فى الحزب • وفى منتصف ١٩٢٢ تحول الحزب الى (الحزب الشيوعى المصرى) وانضم الى (الكومنترن) وأصبح « محمود حسنى العرابى » سكرتيره العالم • وشن « سلامة موسى » حملة شعواء على الشيوعية وعلى الاتحاد السوفيتى والكومنترن والحزب ، وتبعه في ذلك باقى الأعضاء المؤسسين المصريين وبدأ العمال الأجانب ، والنقابات ، والحزب الشيوعى حملة اضرابات واعتصامات من فبراير ١٩٢٣ وقبض على « حسنى العرابى » وآخرين ، واشتدت حركة احتلال المصانع فى مارس ١٩٢٤ فأمر « سعد زغلول » بالقبض على قيادات الحزب وترحيل الأجانب • وسنة ١٩٢٥ قبضت حكومة « أحمد زيور » على الباقين ، وتوقف النشاط الشيوعى •

ثم كانت البداية الثانية •• على أيدى الأجانب أيضا فى تيارات متصارعة ••• التيار الأول عرف بتيار (الفجر الجديد) نسبة الى مجلته الشهيرة (الفجر الجديد) ومن عناصره التاريخية « بول جاكو دى كومب » ومعه من اليهود « يوسف درويش وأحمد صادق سعد وريمون دويك » وقد أسلموا بعد ذلك • ومن العناصر المصرية أحمد رشدى صالح وأبو سيف يوسف ، ومحمد يوسف المدرك ومحمود العسكرى وطه سعد عثمان ، وقد مارس هذا التيار نشاطه الثقافى من خلال (لجنة نشر الثقافة الحديثة) و (دار القرن العشرين) ومجلتى (الفجر والضمير) وكان « شهدى » على خلاف مع هذا التيار • هنرى كورييل والتيار الثانى ، وهو تيار صغير وضعيف ، هو التيار التروتسكى المعادى لستالين ولجميع المنظمات الشيوعية الأخرى • من أبرز عناصره « جورج حنين » ولطف الله سليمان ورمسيس يونان ، وكانوا يتجمعون حول (المجلة الجديدة) التى كان يصدرها « سلامة موسى » ••

أما التيار الثالث ، فهو تيار الحركة المصرية للتحرر الوطنى التى أسسها « هنرى كورييل » أشهر شخصية شيوعية فى مصر ، وقد ولد بالقاهرة عام ١٩١٤ ، من أسرة يهودية ايطالية وفدت الى مصر . تلقى تعليمه بالفرنسية الابتدائى والثانوى وكان زميلاه فى تلك الدراسة على صبرى والدكتور أنور عبد الملك .. حسب رواية الدكتور « أنور » لى . وعرف « هنرى كورييل » الماركسية عن طريق اخيه «راءول كورييل» مع بداية الحرب العالمية الثانية . وافتتح (مكتبة الميدان) بميدان مصطفى كامل بالقاهرة لترويج الكتب الماركسية سنة ١٩٤١ . وأصبحت حلقة اتصـال لجنود الحلفاء الماركسيين ومن بينهم جنود الفرقة اليهودية التى كونتهـا (الحركة الصهيونية) للخدمة فى صفوف الحلفاء . وهكذا بقيت علاقة « هنرى كورييل » بالصهيونية موضع جدل داخل الحركة الشيوعية فى مصر وأصدر « كورييل » مجلة أسماها حركة الشعوب ثم أسس منظمة شيوعية أطلق عليها اسم (الحركة المصرية للتحرر الوطنى) سنة ١٩٤٢ وانضم اليها عدد من الأجانب (اليهود) وعدد من (السودانيين) وعدد من المثقفين المصريين التروتسكيين .

واعتقل فى يونيو ١٩٤٢ بمعتقل الزيتون حسنى العرابى » فى المعتقل . وانضم الى (الحركة المصرية) عدد من ابناء البورجوازية اليهودية والمصرية . وفى ليلة ١١ يوليو ١٩٤٦ اعتقال اسماعيل صدقى هنرى كورييل فى القضية التى عرفت بقضية الشيوعية الكبرى . وفى مايو ١٩٤٧ اتحدت (الحركة المصرية للتحرر الوطنى) ومنظمة (اسكرا) وتكونت المنظمة الشهيرة (الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ـ حدتو) وهى المنظمة التى انضمت اليها بعد ذلك منظمات أخرى . وانقسمت عنها منظمات أخرى وتلك قصة أخرى لا يتسع لها المجال الحالى .

المهم (منظمة اسكرا) التى ورد اسمها الآن .. واسكرا كلمة

روسية معناها (الشرارة) أسسها سنة ١٩٤٣ مثقف يهودى هو (شوارتز) كانت له علاقات واسعة بالمثقفين المصريين أمثال «شهدى عطية الشافعي ، وعبد المعبود الجبيلي ، وأنور عبد الملك ، وشريف حتاتة ، ومحمد سيد أحمد » هؤلاء وآخرون انشأوا (دار الأبحاث العلمية) تقدم محاضرات اسبوعية ٠

ومثقف يهودى ماركسى آخر هو « مارسيل اسرائيل » أسس منظمة شيوعية سرية أخرى هى (تحرير الشعب) سنة ١٩٤١ ، وهذه المنظمة انضم منها جزء الى (الحركة المصرية) قبل ان تتحد مع (اسكرا) وانضم جزء آخر الى (الحركة الديموقراطية) وهى نتـــاج وحدة (الحركة المصرية واسكرا) وانفجرت الصراعـات والاتهامات بين المنظمات وبقايا المنظمات وهى دوامة ليس هنا مجال الدخول فيها لأن أقلها الاتهام بالعمل لصالح الامبريالية والصهيونية والبوليس واتهامات أخرى ليس من أخلاقيات هذا القلم أن يدخل فيها ٠ وأثناء حرب فلسطين ١٩٤٨ تم اعتقال الشيوعيين اليهود الذين أفرج عنهم وسافروا الى اسرائيل ٠ وبقى ثلاثة هم « هنرى كورييل وشحاته هارون وجو ماتالون » أفرجت عنهم حكومة الوفد فى مايو ١٩٥٠ وقامت بترحيل « كورييل » فى يوليو ١٩٥٠ ٠ وفى باريس ، فى ٤ مايو ١٩٧٨ ، وهو يهم بمغادرة المصعد اغتيل بشكل غامض لم يكشف عنه حتى اليوم ٠

العودة الى شهدى

عندما تأسست منظمة (اسكرا) ١٩٤٢ كان « شهدى عطية الشافعى » أحد أعضائها البارزين ، وعندما اتحدت (اسكرا) مع (الحركة الوطنية) فى المنظمة الجديدة (الحركة الديموقراطية) أصبح « شهدى » عضوا فى لجنتها المركزية ٠

كان « شهدى » خلال الحرب العالمية الثانية قد عاد من انجلترا بعد ان حصل على الماجستير فى الأدب الانجليزى • تلقى الماركسية على أيدى صديقة انجليزية تمسكت بالزواج منه ، ولكنه أصر على العودة لمصر لمحاربة الوجود الانجليزى (هكذا أكد لى الدكتور أنور عبد الملك) والقى بجهوده هو وزميله « الدكتور عبد المعبود الجبيلى » فى (دار الأبحاث) ومحاضراتها السياسية والاجتماعية كل يوم أحد •

وعام ١٩٤٥ صدر لشهدى عطية الشافعي وعبد المعبود الجبيلى كتاب فى ٩٢ صفحة من القطع الصغير بعنوان (أهدافنا الوطنية) ويبدو ان الكتاب صدر بعد مناقشة مع مجموعة المثقفين فى (دار الأبحاث) وهم عماد تنظيم (اسكرا) وعلى الرغم من الملاحظات عليه الا انه محاولة باكرة لرسم (الأهداف الوطنية) من جانب مجموعة من المثقفين المصريين الشيوعيين •• وطالب الكتاب بالجلاء العسكرى والاقتصادى والسياسى وبالسودان (حرا وقد تخلص من كافة أنواع الاستعمار) وطالب بحركة شعبية تضغط على الاستعمار ، ورفع مستوى الشعب فى ميادين الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة • وطالب بضرورة انضمام مصر الى هيئة الأمم المتحدة ، وبالجلاء التام فورا دون قيد أو شرط ، وبشراء الأسهم البريطانية فى قناة السويس ، وعقد معاهدات تحالف وصداقة مع (أمريكا والاتحاد السوفيتى وفرنسا والصين !) وتأييد قيام الجامعة العربية على الا تأخذ صفة دينية وضرورة انضمام مصر اليها ، وأوضح الكتاب خطر الصهيونية مع التفرقة بين الصهيونية واليهودية • وطالب الكتاب بتصنيع البلاد تصنيعا شاملا والارتفاع بمستوى معيشة الجماهير ، وملكية الدولة للصناعات الكبرى ، واشتراك مندوبى العمال فى ادارة هذه المصانع ، وتوزيع الملكيات الزراعية الكبيرة والأراضى الحكومية وأراضى الأوقاف على فقراء الفلاحين والعمال

الزراعيين . وركز الكتاب على الكفاح ضد (الاتجاهات الفاشية) فى مصر التى تعادى الاسلوب الديموقراطى فى الحكم وتتستر وراء الدين والنعرة القومية المتطرفة وتعادى الأقليات . وطالب بأن تحول الحكومة دون (الفاشيين) والترشيح للانتخابات . ثم طالب بتأميم الطب والغاء العيادات الخاصة .

هذه هى لمحات سريعة من كتاب (أهدافنا الوطنية) الذى وضعه شهدى عطية الشافعى فى فترة باكرة (١٩٤٥) ورغم الملاحظات عليه فانه (برنامج) تفصيلى يلزم أصحابه بدلا من الشعارات المرسلة دون تحديد ..

وفى أوائل عام ١٩٤٧ نزل تنظيم (اسكرا) المعركة بمجلة اسبوعية هى (الجماهير) صاحبها ورئيس تحريرها أحد أعضاء التنظيم « محمود النبوى المحامى » والمسئول السياسى لها هو « شهدى عطية الشافعى » يعاونه « عبد المعبود الجبيلى وأنور عبد الملك ومحمد سيد أحمد » وكان « شهدى » يكتب افتتاحية المجلة وقد صدر العدد الأول فى ٧ ابريل ١٩٤٧ . وقدم شهدى تلميذه فى مدرسة التجارة المتوسطة الرسام « طوغان » ، ليكون رسام الكاريكاتير فى (الجماهير) .

على أن أهم ما كتبه « شهدى » فى (الجماهير) هو مقالة بعنوان (يريد الشعب .. حزبا من نوع جديد) يدعو الى حق الطبقة العاملة والجماهير الكادحة فى تأسيس حزب لها . وقد اعتبر باحثون كثيرون أن هذا المقال هو نقطة تحول فى موقف المنظمات الشيوعية ، ودعوتهـا الى (حزب مستقل) عن الأحزاب القائمة وخاصة (الوفد) ... ولكن التيار الأول الذى أشرنا اليه من قبل (تيار الفجر الجديد) كان له رأى آخر .. وتصدى « أحمد رشدى صالح » أحد قادة تيار الفجر الجديد لهذه الدعوة . وكتب مقالا فى (رابطة

الشباب) مجلة الشباب الوفدى ووصف اتجاه « شهدى » بأنه لا يقوم على خطة سياسية واضحة ، وليست هناك عناصر قيادية لهذا الحزب ، وليس هناك برنامج يقوم عليه الحزب . وانفجر الصراع التقليدى بين تيار الفجر الجديد من جانب وتيار (الحركة المصرية واسكرا ومن بعدهما الحركة الديموقراطية) من جانب آخر

شهدى وكوربيل وشوارتز

تكونت الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى كما عرفنا فى مايو ١٩٤٧ من تنظيمى (الحركة المصرية ـ كوربيل) و (اسكرا ـ شوارتز) وأصبح « شهدى » عضـوا فى اللجنة المركزية . وفى سبتمبر ١٩٤٧ طالب « شهدى » باستبعاد كل من كوربيل وشوارتز فهما يهوديان مثقفان ثقافة أجنبية ، وطالب بتمصير قيادة الحركة الشيوعية فى مصر (يلاحظ ان جميع المنظمـات فى تلك الفترة أسستها عناصر يهودية) . وكان الرد هو ابعاد « شهدى » عن مجلة (الجماهير) . وحدث صراع عنيف داخل التنظيم الجديد ، ونشأت تكتلات مختلفة وازداد الخـلاف فى فبراير ١٩٤٨ وقررت اللجنة المركزية طرد « شهدى عطية الشافعى وأنور عبد الملك وحسين كاظم » الذين اتجهوا الى تشكيل تنظيم جديد ، ووقف « عبد المعبود الجبيلى » ضد « شهدى » ثم انشق « عبد المعبود » بدوره بعد ذلك . وفى ابريل ١٩٤٨ أغلق البوليس مجلة (الجماهير) وباعلان حرب فلسطين (١٥ مايو ١٩٤٨) القت السلطات القبض على عدد كبير من الشيوعيين اليهود والمصريين وفى آخر عام ١٩٤٨ قبض على « شهدى » وصدر الحكم ضده بالأشغال الشاقة سبع سنوات . ومن السجن أرسل « شهدى » يساند (الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ـ حدتو) ويعترف بأنه كان على خطأ وخرج من السجن عام ١٩٥٥ ليقف مع « جمال عبد الناصر » وثورة ٢٣ يوليو فى

المعركة ضد الأحلاف وظل على موقفه هذا حتى يوم رحيله فى ١٥ يونيه ١٩٦٠ . وشارك عام ١٩٥٦ فى تحرير جريدة (المساء) التى أصدرها « خالد محيى الدين » وافتتح مكتب مصر للترجمة والنشر . ونشر كتابه الشهير (تطور الحركة الوطنية المصرية ـ ١٩٥٧) وبعض الأفكار التى وردت به موضع خلاف ..

شهدى وعبد الناصر

ومنذ عام ١٩٥٥ حتى أول يناير ١٩٥٩ و « شهدى عطيه الشافعى » يدعو لمساندة « جمال عبد الناصر » وفى أول يناير كان البوليس المصرى بتعليمات مباشرة من عبد الناصر يعتقل الغالبية الساحقة من الشيوعيين المصريين . وداخل المعتقل ظل « شهدى » يردد ان ثورة ٢٣ يوليو بقيادة « الرئيس جمال عبد الناصر » ثورة وطنية تتطور نحو آفاق الثورة الوطنية الديموقراطية . ويقنع جميع المعتقلين الشيوعيين بهذه المقولة . ثم وجه « شهدى » رسالة من داخل السجن الى « جمال عبد الناصر » .. أوضح فيها : (ان القوى الرجعية من مصلحتها ان تشعل نار الخلافات .. وكل ما لاقيناه من عنت وارهاق لم يزحزحنا قيد أنملة عن الثقة بوطنيتك .. لسنا اليوم ولا فى السنين العشر القادمة بصدد تطبيق الاشتراكية .. نحن اليوم بصدد استكمال ما بدأته ثورة ٢٣ يوليو .. وهل لى يا سيادة الرئيس ان أطمع فى ان تبعث بمندوب تطمئن اليه أستطيع ان أفضى اليه بمكنون قلبى .. سبتمبر ١٩٥٩) .

ولم يرسل « عبد الناصر » مندوبا الى « شهدى » وقدم ومعه مئات الشيوعيين أمام محكمة أمن الدولة العليا فى مارس ١٩٦٠ ووقف « شهدى » أمام المحكمة فى تلك الفترة . ورغم ظروف الاعتقال فان المتهمين كانوا يسجلون أمام المجلس العسكرى العالى

الذى يرأسه « هلال عبد الله هلال » تأييدهم لعبد الناصر .. وان استمرار الأزمة وتصاعدها لن تفيد منه سوى الرجعية التى تريد ان توقف التحول الاشتراكى وتدمره ! وفى التحقيق الذى أجرته النيابة حول مقتل « شهدى » فى ١٥ يونيه ١٩٦٠ حرص كل واحد على أن يختتم أقواله بعبـارة لا صلة لها بالتحقيق .. (انني أؤيد الرئيس جمال عبد الناصر) مما يؤكد أنها عبارة متفق عليها بين الشيوعيين .

كان « شهدى » فى سبتمبر ١٩٥٩ قد طلب من «عبد الناصر» ان يرسل مندوبا ليفضى اليه بمكنون قلبه .. وتأخر عبد الناصر فى الرد خمس سنوات .. وبدلا من مندوب واحد كان هناك ثلاثة مندوبين .. وانقل الستار الطويلة ص ١٥٢ : (تمسك عبد الناصر مع أولئك الذين كانوا يفاوضون فى التحالف مع الشيوعيين بحل الحزب وكان أبرز تلك العناصر التى تقوم بدور المكوك .. السادة أحمد حمروش وأحمد فؤاد والمرحوم كمال الدين رفعت وكانت هى المرة الأولى فى تاريخ الشيوعية فى العالم ان يحل حزب شيوعى سرى نفسه ويدخل تنظيما يرأسه جلادوه . ولله فى خلقه شئون .

أســـانيد المقال

● ابراهيم عامر — ثورة مصر القومية
● احمد صادق سعد — اليسار المصرى (٤٥ ــ ١٩٤٦)
● د. رفعت السعيد — (الحركة الاشـــتراكية فى مصر والصحافة اليسارية فى مصر)
● د. رءوف عباس — (الحركة العمـــالية فى مصر ودراسة لأوراق كوربيل)
● شهدى عطية الشافعى — (تطور الحركة الوطنية المصرية)
● د. عبد العظيم رمضان — (الفكر الثورى قبل ٢٣ يوليو)
● هنرى كوربيل — (اوراق) ترجمة عزة رياض

الدكتور حسين فوزي

- ولد فى ١١ يوليو ١٩٠٠ بحى الحسين
- تحول من عمله طبيبا بمستشفى الرمد الى دراسة علوم البحار
- رفض الغاء اسم مصر وتسميتها بالاقليم الجنوبى

فى مارس ١٩٦٧ كتب « الدكتور حسين فوزى » مقالا فى مجلة (الطليعة) التى كانت تصدر فى القاهرة تحت عنوان (الفن فى المجتمع الاشتراكى) قال فيه : — يطيب لى أن اذكر يوما قضيته ببلد صغير من بلاد الجمهورية الديموقراطية الشعبية للمجر ، بل قضيت اكثره على عمق مئات الأمتار تحت سطح أرضه ، داخل منجم فحم . فلما خرجنا من باطن الأرض قضيت ساعة فى حمام ساخن لأعود بنى آدم . وقالت مرافقتى الليبية الحسناء : لقد رأيتنا فى ظروف العمل القاسى ، تعال بنا لنشــــهد كيف يقضى العمال أوقات فراغهم .. ويممنا شطر (بيت الثقافة واستمعنا مع أعضائه الى .. رباعيات بيتهوفن) وفى هذا المقال أراد (الدكتور حسين فوزى) ان يقول « ان الانسان » عمل وفن .. او عمل وثقافة . ورأيت « حسين فوزى » فى هذا المقال بثقافته الواسعة ليؤكد رأيه .. ينتقل بنا من الكاتب السوفيتى « ايليا اهرنبورج » الى مؤتمر الكتاب السوفيت الأول عام ١٩٣٤ ، الى كتاب (الفن والمجتمع) للشــاعر والناقد الفنى العظيم « هربرت ريد » الى مطالعاته أيام الشباب ، الى ان يشير الى أخطر ما يهدد مجتمعنـــا المصرى الا وهو التخنث والطراوة والاستسلام للمؤثرات الحسية ، والمخدرات الفنيــــة الى أن يختم مقاله ذاك بقوله .. (واجبنا قبلما أن نطهر أدوات الاتصــال

بالجماهير من الفن الرخو والعابث ، وان تطارد فى المسرح والسينما والمطابع كل آثار التقسيم وكما ان الشعب الجاد ينتج الفن الجاد ، فان الجدية فى الفن تخلق الشعب خلقا جديدا) ٠

وأحسب أن الجدية التى أشار اليها المثقف الراحل العظيم ، كانت هى طابع حياته كلها ٠٠ فى الثقافة ، والفن ، والسلوك ٠٠ وها نحن نصحبه فى مسيرته الطيبة من ١١ يوليو ١٩٠٠ الى ٢٠ أغسطس ١٩٨٨ ٠

حى الحسين الذى يعبق بأريجه الشعبى والدينى والوطنى ، كان قد مضى على ضرب الأسطول البريطانى للأسكندرية ١٨ عاما كاملة . فى ١١ يوليو سنة ١٩٠٠ جاء الى الدنيا « حسين فوزى » فى أسرة متوسطة . وتسمى باسم « الحسين » والده على قدر من المعرفة ، وأمه لا تعرف القراءة أو الكتابة ٠ على غير رغبته ألحقه أبوه بكتاب « الشيخ سليمان جاويش » وكانت الأسرة قد انتقلت الى حى باب الشعرية . وبقى يتردد على الكتاب من عام ١٩٠٥ حتى عام ١٩٠٧ وبين حى الحسين وحى باب الشعرية وحى السيدة زينب كانت حركة الطفل والصبى والشاب ، يصحبه أبوه ، أو بصحبة أقرانه ، أو متفردا وتتأصل مصريته ٠ ومع والده يرى الأهرامات وأبا الهول فينبهر الصبى أيما انبهار ٠ وأحسبنى على صواب اذ قلت ان (مصريته) قد رسخت فى وجدانه منذ صباه حتى آخر عمره ٠ لم أزل أذكر منذ بداية الستينات دعوة ذكية تلقيتها من الصديق الراحل « عبد الرحمن صـــالح » ، المذيع باذاعة ركن السودان ، كنت هناك فى مكتب رئيس تلك الاذاعة الزميل والصديق « الدكتور المعتصم سيد » رحمه الله ، وحان وقت تسجيل للدكتور حسـين فوزى ، ورحبت بدعوة « عبد الرحمـن » لى بأن أحضر التسجيل لأكون أول من يستمع حديث المفكر العظيم ٠ وفى

الاستوديو كنت صامتا بالطبع ودون أى حركة تفسد التسجيل ، ولكن الدكتور بدأ كالسيل المنهمر ، الفكرة واضحة وناصعة لديه .. قال ، ما نصه ومعناه .. انه مصرى ، وعمره أكثر من خمسة آلاف عام .. الأهرامات ومعابد مصر القديمة ميراثه وأرضه وبيته ، وكنائس الأقباط وأديرتهم ميراثه وأرضه وبيته ، والأزهر والمساجد ميراثه وأرضه وبيته . وانتفخت أوداج الرجل وكأنه يفاخر الدنيا كلها وهو يكمل حديثه .. أنا مصرى .. أنا أصيل .. أعرف أصلى وفصلى .. جذورى تمتد فى أعماق التاريخ لأكثر من خمسة آلاف عام . ومنذ تلك اللحظة وأنا أضع هذا المفكر المصرى العظيم موضع التقدير .

مصرى هو ، تنمو مصريته معه وهو يتدرج فى الدراسة من التعليم الابتدائى ويحصل على الابتدائيـة عام ١٩١٢ ، والتعليم الثانوى ويحصـــل على التوجيهية عام ١٩١٧ ، والتعليم الجامعى ويحصل على بكالوريوس الطب فى مطلع عام ١٩٢٣ . ويعين طبيبا فى مستشفى الرمد بمدينة طنطا ، ويصدر قـرار تعيينه طبيبا بمصلحة الصحة عام ١٩٢٤ فى عهد وزارة « سعد زغلول » التى عرفت بوزارة الشعب الأولى .

فى حدائق القاهرة ، وحول الأكشاك الموسيقية ، ينسى الصبى نفسه ، وتهتز أصابعه ، وتتحرك أقدامه على أنغام الموسيقى التى عشقها لآخر عمره وكان له مع الموسيقى قصة . ومع عصر كل يوم جمعة كان الصبى ينطلق من المنزل الى كشك الموسيقى بالحديقة القريبة . ومن يرده فليبحث عنه أولا هناك . وهكذا عندنا فى سنواته الأخيرة ، من كان يريده فليبحث عنه فى البرنامج الثانى باذاعة جمهورية مصر العربية .

اذن فقد حصل على الشهادة المتخصصة فى طب العيون ، وعمل بمستشفى الرمد عام ١٩٢٣ ، وصدر القرار بتعيين الطبيب « حسين

فوزى » بمصلحة الصحة عام ١٩٢٤ • والتحق بالبعثة التى أعلنت عنها الحكومة المصرية للتخصص فى علوم البحار وذلك عام ١٩٢٥ بفرنسا • وهناك يجد « حسين فوزى » نفسه •• يحصل على دبلوم الدراسات العليا فى الأحياء المائية ومصائد الأسماك من جامعة تولوز بفرنسا ، •• ويحصل على بكالوريوس العلوم من السوربون ، ويترك نفسه على سجيتها ليشبع من الموسيقى وألوان الفنون الأخرى •

وفى باريس تزوج من زميلة فرنسية كانت تدرس الآداب بالسوربون وهى التى سعد فى حياته معها على امتداد ثلاثين عاما حتى توفيت بالقاهرة • وعاش هو بعدها وحيدا دون ولد ، ويبدو أنهما كانا على اتفاق فى عدم الانجاب • ومن فرنسا بدأ يرسل ببعض مقالاته الى الصحف المصرية ليصل ما انقطع عندما كان يكتب فى مجلة (السفور) وهو طالب فى الطب الى حين سفره فى بعثته الفرنسية •• ومجلة السفور صدرت عام ١٩١٥ م بعد أن توقفت (الجريدة) • وكان صاحب السفور « أحمد حمدى » من أعضاء حزب الأمة ، ووضع السفور تحت تصرف مجموعة من المثقفين الشبان فى ذلك الحين تضم ذوى ثقافة انجليزية وذوى ثقافة فرنسية وذوى ثقافة قانونية وذوى ثقافة عربية •• نذكر منهم الآن الشيخ أحمد أمين والشيخ مصطفى عبد الرازق وعزيز ميرهم ويوسف الجندى ومحمد صبرى أبو علم ومحمد حسين هيكل ومنصور فهمى ومحمود عزمى •• ووجدت مقالات « حسين فوزى » بين مقالات هؤلاء جميعا والذين أصبح لهم شأن بعد ذلك •

وفى فرنسا رضع من ألبان الثقافة الغربية حتى شبع وارتوى وتشكل عقله ووجدانه وسلوكه •• وأصبح له تفكيره الخاص به ، وأصبح له أسلوبه المتميز أيضا •• الفصحى السهلة المطعمة بعبارات لها وقعها ولها وظيفتها من اللهجة العامية •

وعاد ليصبح عالما من كبار البحار والأحياء المائية ، وفى عام ١٩٤٢ اختير كأول عميد لكلية العلوم بجامعة الاسكندرية والتى اختير مديرا لها أيضا عام ١٩٤٥ · وظل يبدع فى الكتاب والمقال ، فى الثقافة والفنون ، كذلك ظل يترك بصماته فى معهد الأحياء المائيـــة ، وخرج الى البحر الأحمر والمحيط الهندى ، وعكف على الدراسات الخاصة بعلوم البحار واضافة الى عطائه المتميز فى علوم الفن والموسيقى · كما كانت له انجازته فى كلية العلوم وجامعة فاروق الأول (الاسكندرية حاليا) · ثم اختير وكيلا لوزارة الثقافة ليسجل أروع انجازاته فى تلك الوزارة ، بل أروع انجازات تلك الوزارة بأسرها مما جعل طابور الحقد يتحرك ليزيحه عن الطريق ·

فى مذكراته السياسـية والثقافيـة كتب الدكتور « ثروت عكاشة » نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة ، والذى تولى وزارة الثقافة مرتين ·· الأولى من أكتوبر ١٩٥٨ الى سبتمبر ١٩٦٢ ، والثانية من سبتمبر ١٩٦٦ الى نوفمبر ١٩٧٠ يقول : ان الدكتور حسين فوزى قدم استقالته كوكيل لوزارة الثقافة فى الفترة الأولى · وسجل الدكتور عكاشة أنه كان يود لو استمر العمل بينه وبين هذا المثقف العظيم · على أية حال البركة فى « أولاد الحلال » على حد تعبير الأستاذ رجاء النقاش فى مقاله الممتاز عن « الدكتور حسين فوزى » فى مجلة المصور (٢ سبتمبر ١٩٨٨) ·· وأولاد الحلال هؤلاء عملة رديئة عملت على طرد العملة الجيدة من السوق طبقا للقاعدة الاقتصادية المعروفة ·

وقدر للعملة الجيدة ، ونقصد بها « الدكتور حسين فوزى » أن تترك من الأعمال بوزارة الثقافة مما يعد سجلا مشرفا ابان عمله وكيلا للوزارة حتى يوم اختلافه مع الدكتور ثروت عكاشة واستقالته من عمله الحكومى · وما نسجله له هنا مرجعنا فيه هو ما سجله « الدكتور ثروت » فى مذكراته ·

أقامت حكومة الثورة وزارة الارشاد القومى ، وفى ٢٢ فبراير ١٩٥٨ أضافت الى مهامها الاعلامية مهمة ثقافية حملت من أجلها اسم (وزارة الثقافة والارشاد القومى) فأنشأت مصلحة الفنون ، وادارة للثقافة والنشر ، ومركزا للفنون الشعبية ، وبرنامجا اذاعيا سمى (بالبرنامج الثانى) يهدف الى الارتفاع بذوق الجماهير فى مجالات الأدب والفن والموسيقى الرفيعة . وقد كان للعالم الفنان الدكتور حسين فوزى فضل المشاركة بالجهد الأساسى الواعى فى هذا العمل الطليعى الجليل .

وكان مشروع (الألف كتاب) الذى صدر بالادارة العامة للثقافة حين كانت تابعة لوزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٥ من بين المشروعات الأولى الثقافية فى عهد الثورة .

وبهذا الصدد فان آخر ميزانية لهذا المشروع كانت عام ٦٨/ ١٩٦٩ . وقد أعاد « الدكتور سمير سرحان » النشاط لهذا المشروع بعد أن تولى رياسة الهيئة المصرية العامة للكتاب فى أغسطس ١٩٨٥ ، وبدأ (المشروع الثانى) للألف كتاب الذى يشرف صاحب هذا المقال بأن يكون رئيسا لتحريره . ثم كانت (المكتبة العربية) و (المكتبة الثقافية) وسلسلة (تراث الانسانية) وسلسلة (أعلام العرب) وسلسلة (مسرحيات عالمية) وغيرها من المشروعات التى كان للدكتور حسين فوزى وكيل الوزارة المثقف دورا هاما منذ عهد « الأستاذ فتحى رضوان » وأعطاها « الدكتور ثروت عكاشة » دفعة قوية . ولقد آمنت وزارة الثقافة بأن من أهم واجبات الدولة فى ميدان النشر احتضان المشروعات الضخمة مثل دوائر المعارف والمعاجم ، فبدأت عام ١٩٥٩ بمشروع (دائرة المعارف الاسلامية) . وكانت وزارة الثقافة قد أصدرت فى عهد « الأستاذ فتحى رضوان » مجلة (المجلة) فى يناير ١٩٥٧ وتولى رياسة تحريرها بالتعاقب الدكتور « محمد عوض محمد » ثم الدكتور « حسين فوزى »

والدكتـور « على الراعى » والأستـاذ « يحيى حقى » فالدكتـور « عبد القادر القط » ومع حلول عام ١٩٥٩ ارتفعت مقتنيات دار الكتب بمبنى باب الخلق الى نصف مليون مجلد مكدسة بطريقة لا يسهل معها تنظيفها ولا صيانتها ولا الانتفاع منها وأصبح التلف يتربص بأكثر الكتب قيمة وندرة ، فكانت أول الحلول انشاء عشرة فروع لدار الكتب فى احياء القـاهرة تتيح خدمة مكتبية يسيرة ومريحة • وظهر أول عرض لمسرح القـاهرة للعرائس فى مارس ١٩٥٩ ، واستفاد من الزيارات المتبادلة مع أشهر المسارح المتخصصة فى أنحاء العالم حتى فاز فى عام ١٩٦٠ بالجائزة الثانية فى مهرجان بوخارست العالمى لفن العرائس • وفى هذه المرحلة شرعت الوزارة فى انشاء (الفرقة القومية للفنون الشعبية) • وقدمت فرقة رضا أول عروضها على المسرح فى أغسطس ١٩٥٩ ، وما لبثت أن انضمت الى فرق الدولة فى عام ١٩٦١ •• ومنذ عام ١٩٥٩ اهتمت الوزارة بانشاء مسارح جديدة • وبادرت اذاعة القاهرة بانشاء اوركسترا الاذاعة عام ١٩٥٦ ، وأوصى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عام ١٩٥٧ بنقل تبعية الاوركسترا من الاذاعة الى دار الأوبرا • ويقول الدكتور « ثروت عكاشة « صفحة ٥١٦ من الجزء الأول (ومن هذه البداية جهاد نفر من المثقفين يأتى على رأسهم الدكتور حسن فوزى فى الارتقاء ، به مضى اوركسترا الاذاعة ليحتل مكانه بين أجهزة وزارة الثقافة والارشاد القومى مع بداية عام ١٩٥٩ تحت اسم اوركسترا القاهرة السيمفونى •

وضمن اطار وزارة الارشـاد القومى عام ١٩٥٧ نشأ جهاز خدمات تحت اسم (مؤسسة دعم السينما) بدأ نشاطه الفعلى عام ١٩٥٩ ، ونشأ (المعهد العالى للسينما) فى أغسطس ١٩٥٩ • وفى عهد وكالته لوزارة الثقافة بدأ انشاء معاهد الفنون المختلفة على أسس أكاديمية ، وبعدها رأى أن تتجمع هـذه المعاهد وتستكمل تطورها فى أكاديمية الفنون) •

لقد تمكنت العملة الرديئة من طرد العملة الجيدة من وكالة وزارة الثقافة غير أن المسئول عن الثقافة « الدكتور ثروت عكاشة » كان عارفا لقدر الرجل وأثنى عليه فى أكثر من موضع فى مذكراته الهامة عن السياسة والثقافة • واستمرت الصلة بينهما حتى بعد احالة الدكتور حسين فوزى الى التقاعد ، وبعد التحاقه للعمل بالصفحة الأدبية بجريدة الأهرام عام ١٩٦١ • ونقرأ فى مذكرات الدكتور ثروت عكاشة على صفحة ٣٩٢ تبين له أن (المعهد العالى للموسيقى) تدهورت أحواله فأوفد الدكتور حسين فوزى » الى وزيرة الثقافة فى الاتحاد السوفيتى لاختبار عميد جديد للمعهد • وعلى صفحة ٣٩٨ (الجزء الثانى) نقرأ للدكتور ثروت •• (أنشأت فى ١٩٦٨ مجلسا للمعاهد برياستى توطئة لتجميع هذه المعاهد فى أكاديمية للفنون • ولقد كنت أتوق الى أن يرأس هذه الأكاديمية حسين فوزى بأستاذيته التى لا تنكر فرشحته لرياستها فى الفترة التى كنت أشرف بنفسى على الاعداد لها وأوفدته فى مهمة علمية الى فرنسا والاتحاد السوفيتى على نفقة وزارة الثقافة •• وبعد عودته الى مصر اشترط لقبول المنصب أن يحتفظ بمكانه فى صحيفة الأهرام • غير أنى رأيت أن رياسة الأكاديمية تستوجب فيمن يتولاها أن يتفرغ لها تفرغا تاما ، وتركت له أن يختار ما يشاء : الأهرام أو الأكاديمية ، فاختار الأهرام •

لقد كان الدكتور ثروت عكاشة على حق لأن رياسة الأكاديمية لا يجوز أنه تكون الى جانب عمل آخر ، وكان الدكتور حسين فوزى على حق لأنه لم يزل يزكر(أولاد الحلال) الذين نجحوا فى الايقاع بينه وبين الدكتور ثروت • لم يكن الدكتور حسين فوزى يجيد السير فى الدهاليز مثلما فعل الذين مارسوا العمل السياسى ، ولعبوا بالبيضة والحجر ، كان الدكتور حسين فوزى يعبر عن أفكاره باستقامة ووضوح حتى لو اختلف معه الكثيرون •

والدكتور حسين فوزى جزء لا يتجزأ ، مصريته التى ملكت عليه كل حركة من حركاته جعلته يحرص على مصر لا يريد لها أن تتحد مع هذا البلد العربى أو ذاك . ثقافته الغربية سيطرت على نشـــاطه الفكرى بأسره ، وظل يعتقد أن التقدم والفكر والثقافة والتطور .. من هناك .. من الغرب . حرية الفكر وحرية العقيدة وحرية التعبير لم يتراجع عنها قيد أنملة وظل فى صدام مع أية قيود يحاول البعض أن يفرضها عليه أو يفرضها على غيره .

سأله مرة زميلنا « محمد شلبى » فى حديث معه لمجلة الجديد عام ١٩٧٥ .. ما هو تصورك للحياة الفكرية والثقافية والفنية عام ٢٠٠٠ ؟ كانت اجابة « الرجل » ... لا أستطيع تصورها الا بعد أن أعرف اليوم مستقبل الحرية والديموقراطية فى بلادنا ، ومتى تشرق شمسها ، الحرية كانت عنده كل شىء .. الحرية هى الأساس لبناء الانسان..والانسان هو كل شىء لبناء الوطن . وعلى مسئولية الزميل « ابراهيم عبد العزيز » فى حديث نشره بمجلة الاذاعة بعد رحيل السندباد انه أجراه معه عام ١٩٨٣ .. تحدث السندباد « حسين فوزى » أنه قال لعبد الناصر فى زيارة للأهرام ... كان أهلنا وأصدقاء أهلنا ومدرسونا يقولون لنا ثقوا بأنفسكم وأحبوا بلدكم لأنها أصل الحضارات ، والأجانب يعرفون ويعترفون بذلك ، ويقولون لنا أيضـــا اذا أردتم أن تحبوا بلدكم انظروا الى أوربا واعملوا على تقدم بلدكم ، فقال عبد الناصر .. طبعا لا توجد بلد تستطيع أن تفعل شيئا من غير التكنولوجيا ..) .

.. وسكت « حسين فـوزى » ولم يتكلم لأن عبد النـاصر حصر الموضوع فى (التكنولوجيا) أما « حسين فوزى » فيقول : ــ لقد قصدت بكلامى أن نبنى الفرد فى بلدنا ونعطيه الثقة بنفسه أمنا من الخوف لأن الخائف لن يحب الا نفسه ولن يكون همه أن يبنى بلده بقدر ما يكون همه ضمان لقمة عيشه .. التكنولوجيا تشترى

بالمال ، وسوف يأتى يوم ينتهى فيه المال ·· فماذا بعد ؟ ان الضمان هو الانسان نفسه ·· عبد الناصر رجل له طاقة جبارة ولكنه شتت هذه الطاقة فى حروبه الخارجية ·· خرج بنا عبد الناصر من حكم فاروق الفاسد الى نظام حكم معقول ولكنه ألغى دستور ١٩٢٣ ·· وما الحاجة الى الدستور اذا كان سيتغير كلما جاء حاكم من الحكام ·· فمن الضرورى ألا يتغير الدستور الا باستفتاء الشعب حقيقيا لا صوريا) ·

لقد كان « حسين فوزى » مصريا بلا حدود ·· كان يخجل من الغاء اسم مصر ليسمى الاقليم الجنوبى كمديرية من المديريات فى ظل الوحدة المصرية السورية ١٩٥٨ ·· كان يكتب أمام توقيعه فى سجل الزيارات فى الدول الأجنبية « د· حسين فوزى ـ القاهرة » كان يؤمن بالوحدة العربية الفاتحة فعلا بفعل الاسلام واللغة العربية ، ولكنه رفض الوحدة السياسية لأنها تتحول الى مطابع أنظمة الحكم ـ فى نظره ـ زائلة ، ولن تبقى الا الشعوب تجسد رمز الوحدة العربية ·· وعلى هذا ـ فى نظره أيضا ـ لا يوجد شىء اسمه تكامل مصرى سودانى لأن مصر والسودان دائما قلب واحد وشريان حياة واحد ·· وهو يرى دائما أن تتكتل جهود الشعوب العربية لاستثمار امكانياتهم المادية والبشرية لخيرهم وخير أجيالهم القادمة ·

والسادات ـ فى رأى حسين فوزى ـ فى غاية الذكاء والنباهة و (العيان) كبير ·· يسمح بابراز أخطاء وسلبيات عبد الناصر ، ويظهر على أنه غير موافق على أسلوب الحديث عن أخطاء وسلبيات عبد الناصر ·· والسادات رجل كتوم وأغواره عميقة ولا تستطيع أن تتبين من خلال ملامح وجهه اذا كان موافقا على الموضوع الذى تطرحه أمامه أولا ·

وحسين فوزى هو أول وأكبر مفكر عربى يزور اسرائيل ٠٠ زارها مرتين الأولى فى ديسمبر ١٩٧٩ ، والثانية فى ابريل ١٩٨٠ ، وألقى المحاضرات فى الجامعة العبرية ، وقدموا له الدكتوراه الفخرية ٠٠ وهذا الموقف أيده فيه السياسيون وصحفيو السادات والكتاب الذين يؤيدون الصلح مع اسرائيل ويؤيدون اتفاقية السلام و (كامب دافيد) ٠٠ ويهاجمه فيه كل أعداء الصلح مع اسرائيل والرافضون للتطبيع بين مصر واسرائيل ٠

ان « حسين فوزى » واحد من شباب ثورة ١٩١٩ ، وجيله أيد الثورة تأييدا واضحا ، أبناء الحزب الوطنى ، وأبناء قادة حزب الأمة ، وقد أيد هو الثورة وأيد سعد زغلول ولا تنظيمات ما بعد ثورة ١٩١٩ وفى ثورة ١٩ انضم الى مجموعة منهم ابراهيم عبد الهادى ومحمد كامل حسين ومحمود عز العرب ، ولم ينضم الى أى تشكيل من تشكيلات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ رغم الفرصة المواتية لانضمام المثقفين كمستشارين أو دعاة للثورة ٠ كانت له أفكار سياسية وأراد أن يكون حرا فى التعبير عن هذه الأفكار بعيدا عن قيود هذه التنظيمات والتزاماتها ٠ ومن هنا كانت نزاهته وأمانته وصدقه فى التعبير عن أفكاره الذاتية حتى ولو رفضها الكثيرون ٠

لقد أراد لنفسه أن يكون كما (السندباد) ذلك الرحالة الذى أبدعته قريحة عربية مجهولة ٠٠ يذهب من هنا لهناك ٠٠ لا تحده حدود ولا عوائق من نظم ، ولا ارادة من بشر ٠٠ رحلة الى الشرق ٠٠ ورحلة الى الغرب ٠٠ ورحلة الى داخل النفس المصرية ٠٠ وهكذا كانت أعماله ٠

صدر له (سندباد عصرى) عام ١٩٣٨ طاف معه فى عدد من بلدان أوربا ٠ و (حديث السندباد القديم) عام ١٩٤٣ طاف معه

فى أزمنة مختلفة وكتب عربية مختلفة ، و (سندباد الى الغرب) عام ١٩٥٠ وطاف معه فى عالم القطط التى تعيش معه فى منزله ، أما (سندباد مصرى) فقد أصدره عام ١٩٦١ يطوف معه فى الحضارة المصرية منذ نشأتها ، وسندباد فى رحلة الحياة سنة ١٩٦٨ ، وسندباد فى سيارة سنة ١٩٧٣ •

وكتب أخرى كثيرة نذكر منها (الموسيقى السيمفونية) سنة ١٩٥٠ ، وكتاب عن (بيتهوفن) ١٩٧١ ، وكتابه عن (سان جوست ملاك الارهاق) فقد أصدره عام ١٩٧٥ • وله أيضا (رحلة تاريخية فى البحار السبعة) و (لندن تطفىء الأنوار) و (المرأة كتاب) •

وفى دراسته لعلوم البحار ، ولدت لديه فكرة الكتابة مستصفيا بالسندباد وقصص (السندباد) قصص بحرية خيالية ، والسندباد القديم رحلة عبر التاريخ فى الزمان والمكان ، أما سندباد الغرب فهو سندباد حقيقى هو « حسين فوزى » ذاته فى بلاد الغرب فعلا •

والدكتور حسين فوزى فى كتبه ومقالاته يستوعب ثقافة الغرب ولكنه استوعب أيضا ثقافة بلاده القومية ، ومصريته لم تفارقه لحظة واحدة فى كل ما كتب •

لقد منحت الدولة جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٦ للدكتور حسين فوزى ، سلمها له (جمال عبد الناصر) •• وأوصى هو بمكتبته الأدبية لجامعة القاهرة ، وأوصى بمكتبته الفنية لأكاديمية الفنون •• فهل تتحرك جامعة القاهرة وأكاديمية الفنون بأسرع مما يتحرك السائق والخدم والورثة الذين لا يعرفون قيمة هذه المكتبة ؟

تلكم مختزلات تصور جهود مؤسسة ثقافية وفكرية ، اسم الشهرة لتلك المؤسسة هو « الدكتور حسين فوزى » أقصى ما وصل

اليه فى السلم الوظيفى هو درجة (وكيل وزارة) ووكلاء الوزارة أصبحوا بعد « الدكتور حسين فوزى » واذا استخدمت اسلوبه (فى التطجين العامى ـ على حد تعبير الزميل خيرى شلبى) لقلت انهم أصبحوا ـ كنت أنا واحدا منهم ـ أكثر من الهم على القلب .. ولكن ليس كل من ركب الحصان خيال .. وليس كل وكيل وزارة حسين فوزى .. رحم الله الدكتور حسين فوزى ابن حى الحسين وباب الشعرية والسيدة زينب .. ابن مصر .



شريف باشا أبو الدستور

- ١٨٧٩ قدم أول دستور وبعد خلع اسماعيل رفضه توفيق
- قام بدور رئيسى فى تأسيس الحزب الوطنى الأول
- الانقسام فى الثورة بين عرابى وشريف

محمد شريف باشا الذى نتحدث عنه اليوم تولى رئاسة النظارة (رئاسة الوزارة) أربع مرات ٠٠ المرة الاولى شهدت خلع الخديو اسماعيل (٢٦ يونيه ١٨٧٩) ٠ وكان « شريف » قد جاء فى (٧ ابريل - ٥ يوليو ١٨٧٩) ليواجه النفوذ الأجنبى وليمصر النظارة التى وضع فيها « نوبار باشا » وزيرين من الأجانب ٠٠ وقدم « شريف » ما عرف ب « اللائحة الأساسية » التى يعدها المؤرخون أول دستور فى تاريخ مصر ؟

والنظارة الرابعة أسندت اليه فى ٢٨ اغسطس ١٨٨٢ وجيش الغزو الانجليزى يزحف نحو القاهرة ٠ وفى تلك الفترة كانت الثورة المهدية فى السودان وطلب الانجليز من « الخديو توفيق » اخلاء السودان ووافق توفيق ٠ ورفض « شريف باشا » اخلاء السودان ، واحتج على موافقة الخديو وهو عمل سياسى من صميم اختصاص الوزارة ، وقدم استقالته فى ١٠ يناير ١٨٨٤ ٠

التفت الحركة الوطنية المصرية التى تمثلت فى الأعيان والعلماء والمشايخ والعمد حول « محمد شريف باشا » الذى قام بدور كبير فى (جمعية حلوان) وبعدها (الحزب الوطنى الأول) واصدر

منشورا سريا طبع منه ۲۰٫۰۰۰ نسخة فی ٤ نوفمبر ۱۸۷۹ ويعلن أن الحزب حزب سياسى لا دينى ، لا ينظر الى اختلاف المعتقـدات ، ويعضده مشايخ الأزهر الذين يعتقدون أن الاسلام ينهى عن البغضاء ويعتبر الناس فى المعاملة سواء ٠

قبل وفاة « محمد على » فى (۲ أغسطس ۱۸٤۹) كان قد ترك الأمور لابنه ابراهيم باشا من ابريل ۱۸٤۸ حتى توفى فى ۱۰ نوفمبر ۱۸٤۸ ٠ وجاء « عباس الأول » من ۱۸٤۹ ـ ۱۸٥٤ الذى قضى على كل ما فعله محمد على خوفا من النفوذ الأجنبى ، وقضى على كل تقدم فى الداخل خوفا من التمرد الداخلى ٠ وفى عهد سعيد (۱۸٥٤ ـ ۱۸٦۳) بدأ رأس المال الأوروبى يدخـل الى مصر ، وبدأت الخطوات التمهيـدية لقنـاة السويس ووضـح العجز فى الميزانية ، وزادت أعمال السخرة ، وسياسـة القروض من الدول الأجنبية ٠ وهنا نجد اسم « شريف باشا » وزيرا للخارجية فى عهد « سعيد » من بين أسماء الوزراء ٠

وفى ۱۸ يناير ۱۹٦۳ توفى سعيد وتولى اسماعيل وصاحبنا « شريف باشا » قد وصل الى رتبة الفريق ٠ وعمره ۳۷ عاما اذ انه ولد بالقاهرة فى نوفمبر عام ۱۸۲٦ ٠ جاء اسماعيل والحال فى مصر كما أوجزنا ولكنه للحقيقة أعلن عزمه على الغاء السخرة ، وأعلن بعد يومين من توليه (۱۸٦۳) وأمام الدبلوماسيين الأجانب (أريد ان تكون القناة تابعة لمصر لا أن تكون مصر تابعة للقناة) ومن يومها وضع الأجانب فى أذهانهم ان الخديو اسماعيل لا يرتاح للنفوذ الأجنبى ، فهو يريد الافادة من الأجانب ٠٠ نعم ٠٠ ولكنه يريد ان تكون الكلمة له ٠٠ وهو موقف الارستقراطية المصرية فى ذلك الحين وعلى رأسها « شريف باشا » ، ولكن واقع الحال لم يسر هكـذا ، فقد غرق اسماعيل الى ذقنه فى الديوان وازداد النفوذ

الأجنبى حتى فرضوا عليه الأرمنى « نوبار باشا » رئيسا للنظار وفرضـوا على وزارته وزيرين من الأجانب • فترة غامضـة مليئة بالتناقضات •• اسماعيل يريد المال لا يريد أصحابه ، اسماعيل يغمض عينيه عن حركات التمرد فى الجيش ضد نوبار وضد النفوذ التركى والشركسى ويغمض عينيه عن الحركات السرية والعلنية ويرغب فى قيام أشكال نيابية ولكنه يريد ان تكون الكلمة له فى النهاية • ويفتح الباب للصحافة ولكنه يريدها ان تكون صحافة موجهة •

الأجانب أدركوا أنه ليس رجلهم تماما ، والباب العالى لا يرتاح لهذا الانفتاح على أوروبا ، والميزانية أثقلت بالديون • والمثقفون من أبناء مصر لا يريدونه وخلفهم أو أمامهم « جمال الدين الأفغانى » الذى وقع فريسة للمخادع الماكر « توفيق » • كان الأفغانى وتوفيق فى محفل ماسونى واحد ومعهما قسم عظيم من رجال البلاد من وطنيين وأجانب ويقول « توفيق » للسيد جمال الدين الأفغـانى (انت موضع أملى فى مصر أيها السيد ••) ويدبر الأفغانى مع تلميذه « محمد عبده » خطة لاغتيال اسماعيل وهو يمر على كوبرى قصر النيل ولكن الخطة لم تنفذ ويشكل الأفغانى جماعة سرية باسم مصر الفتاة ويذكر محمد عبده ان أغلب أعضائها كان من الشبان اليهود ! ويجتمع الأعيان وأعضاء مجلس شورى النواب ويطالبون بعزل نوبار وتشكيل وزارة برياسة « شريف باشا » • ويذهب « الأفغانى » على رأس وفد من المصريين الى قنصل فرنسا بمصر ويبلغه أن حزبا بمصر قد تشكل ويطالب بأن يتنازل « اسماعيل » عن الحـكم لولده « توفيـق » • وفى ٢٦ يونيـو ١٨٧٩ يتنازل « الخديو اسماعيل » عن العرش ويتولى « الخديو توفيق » ولكن فى ٢٤ أغسطس سنة ١٨٧٩ ذهبت قوة بأمر « توفيق زميل الأفغانى فى المحفـل الماسونى ! » تقبض على « الأفغـانى » وعلى خادمه

« أبو غراب » وتودعهما باخرة عند السويس سارت بهما الى « بومباى » وكان هذا اليوم آخر العهد « بالسيد جمال الدين » فى مصر . وبعدها كان الصراع بين توفيق والأجانب من ناحية وبين الحركة الوطنية المصرية بشقيها العسكرى والمدنى من ناحية أخرى ثم صراع خفى بين القسم العسكرى من ناحية والقسم المدنى من ناحية أخرى .. وصراعات جانبية كثيرة قدر لشريف باشا ان يشهدها وان يكون له دور فيها . وقدر له ان يرأس نظارة فى عهد اسماعيل ، ونظارات ثلاث فى عهد توفيق ، وان يقود حركة الأعيان من أجل الدستور والديمقراطية بكل تعقيداتها وتراجعها وتقدمها .

تمصير الوزارة

قام فى عهد « اسماعيل » أول برلمان مصرى باسم (مجلس شورى النواب) سنة ١٨٦٦ وله سلطة محدودة وحق الانتخاب محصور فى العمد والمشايخ وأعيان البلاد بحيث يكون من الصواب ان نطلق على هذا البرلمان (مجلس الاعيان) وكان « اسماعيل » يعتزم اعلان استقلال مصر عن الدولة العثمانية مع افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ وهو يريد من المجلس ان يقف الى جواره فى مواجهة الباب العالى . وفى أوائل ١٨٧٠ أجريت الانتخابات للمجلس الثانى وكان اسماعيل يغرق ويغرق فى الديون يريد من البرلمان الثانى ان يعاونه فى قوانين جباية الضرائب ، ويقع نوع من الفتور بين اسماعيل والمجلس .

وطوال سنوات المجلسين الأول والثانى نجد « شريف باشا » ابا الديمقراطية وزيرا للداخلية تحت رئاسة « اسماعيل » ولكن فى الدورة الثالثة للمجلس الثانى من (يناير ١٨٧٣ ـ مارس ١٨٧٣) نجد ان « شريف باشا » أصبح وزيرا للحقانية وان

« اسماعيل صديق المفتش » أصبح وزيرا للداخلية ومعنى هـذا ان الخديو اسماعيل رأى جباية الضرائب بالكرباج انقاذا لورطته فى الديون ، ثم جاء البرلمان الثالث من ١٨٧٦ ـ ١٨٧٩ وهـذا البرلمان شهد أخطر الأحداث ..

الحدث الأول ـ وزارة نوبار باشا الأرمنى والتى عرفت بالوزارة الأوروبية (٢٨ أغسطس ١٨٧٨ ـ ٢٣ فبراير ١٨٧٩) وهى نتيجة لتزايد النفوذ الأجنبى استغلالا لديون الخديو اسماعيل . ودخل هذه الوزارة وزيران من الأجانب ومعهما رياض باشـا ، وراتب باشا ، وعلى مبارك ولم يشترك فيها « شريف باشا » .

الحدث الثانى ـ المظاهرة العسكرية من الضباط فى ١٨ فبراير ١٨٧٩ أحاطت بعربة نوبار باشـا وجر الضباط رئيس الوزراء ووزير المالية الى وزارة المالية وحبسوهما مع رياض باشا فى غرفة بالدور العلوى وجاء « الخديو اسماعيل » وأنقذ رئيس الوزراء والوزيرين . والكلام كثير حول هذه المظاهرة هل هى بترتيب من الخديو أم بترتيب من « راتب باشا » وزير الحربيـة وهو وثيق الصلة بشريف باشا ؟ المهم أن وزارة نوبار سقطت بعدها بأيام .

الحدث الثالث ـ نظارة محمد شريف باشا الأولى (٧ ابريل ـ ٥ يوليو ١٨٧٩) وكان واجبها الأساسى المعروف مواجهة النفوذ الأجنبى الذى أذل « الخديو اسماعيل » عندما أغرق مصر بالديون . وتخلى « شريف باشا » عن الوزيرين الأجنبيين وقام بتمصير الوزارة . وهنا قرر الأجانب ان يذهب شريف ولكن بعد ان يذهب الخديو اسماعيل نفسه .

الحدث الرابع ـ فى ١٩ مارس ١٨٧٩ ، كان مجلس شـورى النـواب قد طـالب بتخفيض الضرائب ولكن وزارة « الأمير محمد توفيق » أعلنت فض الدورة البرلمانية . ورفض الأعضاء وطالبوا

بحضور وزير المالية لمناقشته ، وفى ٢ ابريل ١٨٧٩ اجتمعوا وفى مقدمتهم « شريف باشا » ووقع المجتمعون من الأعيان والنواب والعلماء (اللائحة الوطنية) مطالبين فيها بالاصلاح الدستورى على أساس مبدأ المسئولية الوزارية • ووافق الخديو اسماعيل على اللائحة • وعلى أثر ذلك شكل شريف نظارته الأولى •

الحدث الخامس — فى ١٠ ابريل ١٨٧٩ بعد ثلاثة أيام من نظارة شريف اعلن مجلس النظار الغاء قرار فض الدورة البرلمانية ، وفى ١٧ مايو ١٨٧٩ قدم « شريف باشا » مشروع (اللائحة الأساسية) وهى أول دستور عرفته البلاد بالمعنى الكامل • ولكن قبل ان يصدر بالدستور المرسوم الخديوى كان قد وقع حادث هام هو :

الحدث السادس — خلع الخديو اسماعيل فى ٢٦ يونيه ١٨٧٩ وحل برلمان اسماعيل الثالث ، وتأجيل النظر فى اصدار دستور ١٨٧٩ ، واستقالة نظارة شريف باشا ولكن « الخديو توفيق » الماكر المخادع كلف شريف باشا بتأليف نظارته الثانية •

ارهاصات الثورة

وهكذا سقط « اسماعيل » بفعل السهام التى وجهت اليه من الجوانب المختلفة ، وبفعل مواقفه الازدواجية •• فى عملية معقدة وغامضة سقط « اسماعيل » الذى أراد ان يجعل مصر قطعة من أوروبا تآمر عليه الأجانب طمعا فى زيادة نفوذهم ، والاعيان أملا فى تخفيض الضرائب ، وقطاعات من الجيش رغبة فى تمصير المواقع القيادية ، والجمعيات السياسية بتأثير الأفغانى توهما فى الاستيلاء على السلطة • ولعب على هذه الحبال كلها المخادع الماكر « توفيق » الذى دخل المحفل الماسونى مع الأفغانى ، اتصل بعناصر الجمعيات السياسية ، وهادن بعض عناصر الجيش ، وقرب اليه بعض العناصر الفعالة من الاعيان وكبار الملاك ، ووثق علاقاته مع الدول الألجنبية ،

فسقط اسماعيل وجاء توفيق لتدخل مصر فى أخطر مراحل تاريخها ، ونتوقف عند أمرين :

الأول ـ انتفاضة الضباط فى ١٨ فبراير ١٨٧٩ والتى انتهت باستقالة نوبار باشا والتى تعد تجربة لثورة أحمد عرابى ، وتعبر عن اشتراك الجيش المصرى فى السياسة المصرية ضد النفوذ الأجنبى ، وفى وزارة شريف تخلص من الوزيرين الأجنبيين فلو اتحدت جبهة الأعيان والجيش والخديو ربما أمكن محاصرة النفوذ الأجنبى وعمل تسوية معينة لديون اسماعيل وربما لم يسر تاريخ مصر فى مساره المعروف ٠

الثانى ـ استقالة نظارة شريف الثانية فى ١٨ أغسطس ١٨٧٩ بعد شهر ونصف من تشكيلها لأن « توفيق » رفض مشروع دستور ١٨٧٩ حين قدمه له « شريف باشا » ٠ وقام « توفيق » بتشكيل النظارة بنفسه ، وبطرد « الأفغانى » ، من مصر ، ولم يلبث ان أسند رئاسة النظارة الى رجل الانجليز « رياض باشا » فى ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ ٠ وبدأت تركيا تستعيد نفوذها على مصر الذى كانت قد فقدته أيام محمد على واسماعيل ، وتم تحديد عدد الجيش ، بـ ١٨ ألف جندى ٠ ووضح تماما التنسيق بين « توفيق » والسلطان « عبد الحميد » وتزايد نفوذ العناصر التركية والشركسية على جيش مصر ٠

الحزب الوطنى

فى الفترة المعقدة والغامضة ، التى سبقت خلع اسماعيل وتولى توفيق نجد تنظيمين تجدر الاشارة اليهما وكلاهما قام « جمال الدين الأفغانى » بدور منه ٠٠ الأول هو المحفل الماسونى ٠ قام الأفغانى بدور مؤثر فى هذا المحفل وضم اليه « محمود سامى البارودى » ، وعبد السلام المويلحى ، وابراهيم المويلحى ، والشيخ محمد عبده ، وابراهيم اللقانى ، وعلى مظهر ، وأبو الوفا العونى ،

وسليم النقاش ، وأديب اسحق ، وعبد الله النديم ، وفرع المحفل بالاسكندرية ضم قائدى التمرد العسكرى الذى وقع فى ١٨ ، ١٩ فبراير ١٨٧٨ « لطيف سليم وسعيد نصر » • والتنظيم السرى الثانى هو (جمعية مصر الفتاة) التى ضمت « الأفغانى وسليم النقاش وعبد الله النديم ونيقولا توما » ونلاحظ هنا ان « سعد زغلول » على الرغم من اتصالاته بالأفغانى وصلته القوية بالشيخ محمد عبده لم ينضم الى أحد هذين التنظيمين السريين كما ان الشيخ محمد عبده ذكر ان أغلب أعضاء جمعية مصر الفتاة كانت من اليهود ولعل هذا يفسر انسحاب « عبد الله النديم » من هذه الجمعية •

ونحن الآن فى ٤ نوفمبر ١٨٧٩ مع أول بيان يحمل توقيع (الحزب الوطنى) وهو منشور سرى طبع منه ٢٠٫٠٠٠ نسخة نعرف منه ان الخديو اسماعيل طلب تدخل الحزب الوطنى وان الحزب الوطنى يسعى لانتزاع البلاد من الهوة السحيقة التى دفعها اليها الاستبداد •

الحزب العسكرى

قدم « شريف باشا » استقالة نظارته الثانية ــ كما عرفنا ــ فى ١٨ أغسطس ١٨٧٩ وشكل « الخديو توفيق » النظارة برئاسته •• وبعدها سلم الحكومة لمصطفى رياض من (٢١ سبتمبر ١٨٧٩ ــ ١٠ سبتمبر ١٨٨١) وخلال تلك الفترة ظهر الأعيان كقوة سياسية متمثلة فى (الحزب الوطنى) وتظاهر طلاب الأزهر ومارس « رياض » أعمال القمع ضد هذا المد الوطنى فألغى الصحف التى ظهرت أيام الخديو اسماعيل ونفى الكثيرين وشدد الرقابة على الزعماء وفى مقدمتهم « شريف باشا » ووجد المد الوطنى متنفسا له فى الجيش المصرى أو ما يمكن أن نسميه بالحزب العسكرى الذى بدأه « أحمد عرابى » ومحمد عبيد ، وخضر خضر وعبد العال

حلمى ، وألفى يوسف ، وأحمد عبد الغفار ، وعلى فهمى واسماعيل صبرى واستطاعت مجموعة عرابى أن تجبر الخديو على عزل « عثمان رفقى » ناظر الجهادية والبحرية وان يحل محله « محمود سامى البارودى » من أصدقاء « شريف باشا » والذى انضم للعرابيين بعد ذلك • وكان هـذا فى أول فبـراير ١٨٨١ • وينضم النديم الى العرابيين وأيده أعيـان الريف وقام « عرابى » عـلاقة وثيقة مع « شريف باشا » و « سلطان باشا » •

وتمضى الأحـداث بسرعة ، ويستقيل البـارودى من وزارة رياض ، ويشعر العرابيون بمؤامرة الخديو ضدهم وتصل الى اليوم التاريخى ٩ سبتمبر ١٨٨١ ، يوم المظـاهرة العسكرية أمام قصر عابدين لمواجهة الخديو توفيق بمطالب الجيش والأمة • وكتب الضباط عريضة الى « شريف باشـا » ــ نلتمس من دولتكم قبـول مسند الوزارة • ووقع حـولى ١٦٠٠ من كبـار المصريين عريضـــة الى « شريف » ــ نحن الواضعين اسماءنا علماء ومشايخ وأعيان وعمد مصر واسكندرية والثغور والوجهين البحرى والقبلى •• التمسنا ان تتسلم ادارة وأشغال ورئاسة مجلس النظار •

وقدم « شريف باشا » شرطين •• الأول على الخديو وهو ان يضمن سلامة الثوار الشخصية ، والثانى على الثوار وهو انسحاب القوات الثائرة الى المعسكرات •

وفى تقديرنا ان هذا الذى حدث هو الانقســام الأول فى صفوف الثورة ويعبر عن تخوف (الأعيان) من الحكم العسكرى • وقد تردد الكثيرون من قادة الفكر والأعيان فى تأييد أحمد عرابى وتخوفوا من مغبة الصدام غير المحسوب ، ونجد عددا منهم قد انحاز للخديو توفيق بعد انكسار الثورة وفى مقدمتهم « سلطان باشا » •

وشكل « شريف باشا » نظارته الثالثة (١٤ سبتمبر ١٨٨١ ــ

٤ فبراير ١٨٨٢) ولكن الحرص والحذر كانا يحكمان العلاقة بين الجناح المدنى بقيادة « شريف » ، وبين الجناح العسكرى بقيادة « عرابى » وانتهى الموقف بانحياز غالبية مجلس الشورى لأحمد عرابى الذى تزايـد نفوذه فسقطت وزارة شريف وفرض الجيش « محمود سامى البارودى » ٠

الثورة والانقسام

فى ٤ فبراير ١٨٨٢ تولى اللـواء والشـاعر محمود سامى البارودى رئاسة النظارة ، وتولى أحمد عرابى منصب ناظر الجهادية والبحرية وهو المنصب الذى كان يشغله البارودى فى وزارة شريف ٠ وتولى الضابط « محمود فهمى » منصب ناظر المالية ٠ وبدأ تحول « سلطان باشا » رئيس مجلس شورى النواب الذى سحب الثقة من شريف ، بدأ يتحول ضد الوزارة العسكرية ، وأخذ شريف موقفا متشددا من سيطرة العرابيين على الحكم فاستقال « محمود سامى البارودى » وشكل « اسماعيل راغب » أحد رؤساء مجلس شورى النواب أيام اسماعيل ، شكل نظارة جديدة فى ١٧ يونيه ١٨٨٢ ٠ وانحسر نفوذ العرابيين داخل الوزارة فى شخص « أحمد عرابى » الذى بقى ناظرا للجهادية ٠

وكانت وزارة « اسماعيل راغب » فى اعقاب المؤامرة التى دبرها « توفيق » ومحافظ الاسكندرية « عمر لطفى » فى ١١ يونيه والتى تمثلت فى هجوم البدو وغيرهم على الأجانب ٠ وكان الهدف منها اظهار « أحمد عرابى » بمظهر العاجز عن حفظ الأمن فاقيل من نظارة الجهادية ٠ وخرج أحمد عرابى ينظم صفوفه بعيدا عن السلطة فى ٢٥ يوليو ١٨٨٢ وكان الأسطول البريطانى قد ضرب الاسكندرية فى ١١ يوليو ونزلت القوات البريطانية الى أرض مصر لتبقى فيها ٧٤ عاما ٠

خرج أحمد عرابى من الوزارة ليواجه قوات الغزو .. والخريطة هكذا .. انجلترا ودول أوروبا تزيد مزيدا من النفوذ فى مصر ، وتركيا تريد مزيدا من استرداد النفوذ والخديو « توفيق » يريد النفوذ فى ظل الأجانب وتركيا . وجيش مصر يعتمد على حماسته أكثر مما يعتمد على عدته وعتاده . والجناح المدنى يأخذ على عرابى مغامرته بعضه يؤيده ما دامت الثورة قد اشتعلت ، وبعضه يخذله لأنه لم يحسب حساباته بدقة .

وفى ٢٨ أغسطس ١٨٨٢ وجيش الغزو يقترب من القاهرة يسند « توفيق » ، رئاسة النظارة الى « محمد شريف باشا » ، وفى ظل هذه النظارة دخل الجيش البريطانى القاهرة فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ ، واندلعت الثورة المهدية فى السودان ، وحدث التراجع الشامل فى صفوف العرابيين ومؤيديهم ، الا ان شريف باشا أراد أن يختم وزارته الرابعة بموقف مشرف فرفض تدخل «الخديوى» فى أعمال الوزارة ، ورفض طلب الانجليز باخلاء السودان واستقال فى ١٠ يناير ١٨٨٤ . وانتهت بذلك وزارته الرابعة وكان الله غفورا رحيما .

أسانيد المقال :

- د. انور عبد الملك — نهضة مصر
- د. رفعت السعيد — الأساس الاجتماعى للثورة العرابية
- د. لويس عوض — تاريخ الفكر المصرى الحديث
- مركز الدراسات السياسية ـ الأهرام — ١٠٠ عام على الثورة العرابية
- د. يونان لبيب رزق — تاريخ الوزارات المصرية



الدكتور صبرى السربونى

● مؤرخ مفكر يشيع جثمانه أقل من عشرة أشخاص !

● أصدر ٣٣ كتابا بالفرنسية والعربية .. وأخرجته الثورة في التطهير .

● دكتوراه الدولة من السوربون ويرفضون ترقيته مديرا عاما .

آه يا بلد .. الدكتور محمد صبرى السربونى توافيه المنية يوم الأربعاء ١٨ يناير ١٩٧٨ ، وتشيع جنازته يوم الخميس ١٩ يناير فلا يسير في جنازته أكثر من عشرة أشخاص حسب وصف « الاستاذ فتحي رضوان » للجنازة هم أربعة من مقدريه لشخصه ومكانتــه ، ومجموعة من الضباط جاءوا لمواساة أحد أفراد اسرته حسب وصف « الاستاذ بدر الدين أبو غازى » رحمه الله .

آه يا بلد .. الدكتور محمد صبرى السربونى الذى عمل مع الزعيم « سعد زغلول » سكرتيرا للوفد في باريس ، وقال عنه « سعد » ـ هذا شاب أحب الاحتفاظ به .. لا يسير في جنازته أكثر من عشرة .

آه يا بلد .. الدكتور محمد صبرى السربونى الذى نشرت عن أعماله ما يقرب من ٦٠ مقالا ، ونشر هو ما يقرب من ٤٠ مقالا في الأدب والاجتماع والفن والتاريخ والسياسة ، وكتب ٢٣ عملا في الثورة المصرية ، وفى التاريخ الحديث ، وفى الأدب ، وفى السياسة .. ولا يسير وراء نعشه سوى أربعة من عارفى فضله ، ومثــل هذا العدد أو يزيد جاءوا لمواساة زميل لهم من أفراد الأسرة .

لماذا هذا الجحود ؟ نقول ان الرجل كان لديه قدر من خشونة الحق ٠٠ لا يداهن ولا ينافق ولا يطرق باب احد ٠٠ كان نائبا لمدير عام دار الكتب المصرية ، والدار تابعة لوزارة المعارف وقت ذاك ٠ ويخلو منصب مدير دار الكتب فى ديسمبر ١٩٤٦ ٠ ولكن الرجل على خلاف مع « الدكتور عبد الرزاق السنهورى » وزير المعارف فيعين مديرا جديدا للدار متخطيا السربونى ويقدم استقالته ٠ وفى ديسمبر ١٩٥٠ يقوم بتدريس التاريخ الحديث بالجامعة ، ويعين فى ١٩٥١ مديرا لمعهد الوثائق والمكتبات بجامعة فؤاد الأول ٠ ويظل على خشونة فى الطبع فيخرج فيما سمى بالتطهير فى ديسمبر ١٩٥٢ ولجأ الرجل الى القضاء ولكن أى قضاء كان يمكنه أن يجاهر بالعداء للثورة ويناصر السربونى ؟

ولماذا السربونى يقول أنه دأب أن ينشر اسمه على أعماله مقرونا بعبارة (دكتوراه الدولة من السربون) فعرف بالسربونى فى الأوساط الثقافية ٠٠ وهكذا أصبح اسمه وشهرته « الدكتور محمد صبرى السربونى »

محمد ابراهيم صبرى

واسمه الأصلى ٠ محمد ابراهيم صبرى وموطن الأسرة مدينة بلبيس مديرية الشرقية ٠ وعمل والده مفتشا للزراعة وكثرت تنقلاته من الوجه البحرى الى الوجه القبلى ٠

ولد « محمد ابراهيم صبرى » فى (المرج) التابعة لمديرية القليوبية أما تاريخ مولده فحوله خلاف ويرجح « الأستاذ فتحى رضوان » أنه ولد عام ١٨٩٠ ٠ تعلم القراءة والكتابة فى المرج ٠ وتلقى تعليمه الابتدائى فى مدرسة النحاسين الابتدائية بالقاهرة ٠

وبسبب انصرافه الى حفظ الشعر فشل كطالب منتظم فى الدراسة. ولكنه حصل على البكالوريا (الثانوية العامة) من المنازل سنة ١٩١٣ وهى سن متأخرة للحصول على مثل هذه الشهادة • توفيت والدته وهو يؤدى امتحان الشهادة الابتدائية مما أصابه بالحزن الشديد • وانصرف الى التعرف لشعراء تلك الفترة ورواية ما يحفظه لهم وكاد الشعر يجنى على مستقبله • وسوف تعرف بعد قليل أن الشعر احتل مساحة هامة فى شخصيته وفى نشاطه الثقافى •

وسافر الى فرنسا سنة ١٩١٣ عام حصوله على البكالوريا ليكمل تعليمه على نفقته الخاصة • وهناك عكف على شعر لامارتين وفيكتور هيجو ، وجذبته الطبيعة الخلابة فساح فيها وجال وعاد الى مصر سنة ١٩١٤ مع مقدمات الحرب العالمية الأولى وسافر ثانية الى باريس سنة ١٩١٥ • وعقد العزم على أن يحصل على الليسانس فحصل عليه سنة ١٩١٩ وكان زميلا للدكتور طه حسين الذى حصل على الليسانس سنة ١٩١٨ ••

وتحدث عنه الدكتور « طه حسين » ••

(•• لم يعرف يأسا أو قنوطا • ولم يذعن لعقبة أو صعوبة وانما حاول وطاول وألح فى المحاولة والمطاولة حتى تقدم للامتحان ذات يوم • وقدم الى الممتحنين صحفا أتاحت له الفوز والنجاح) •

أما « محمد صبرى » فيروى رواية طريفة •• (دخلت أنا والدكتور طه حسين امتحان الليسانس فى عام واحد • وعندما أعلنت النتيجة ذهبت فلم أجد اسمى ولا اسمه ــ كان ذلك عام ١٩١٨ ــ وفى اليوم التالى وجدت اسمه محشورا بين السطور فتوجهت اليه وأخبرته ••) •

المهم ان « طه حسين » حصل على الليسانس عام ١٩١٨ ، وان (محمد ابراهيم صبرى » حصـــل عليه عام ١٩١٩ ٠ وفى ابريل ١٩١٩ سافر أعضاء الوفد المصرى الى باريس ٠ وهنــاك التقى « محمد صبرى » وأعضاء الوفد وعمل فى سكرتارية الوفد واتصل برئيس الوفد « سعد زغلول » وتلك حكاية طويلة نؤجل الحديث عنها الى ان نفرغ من حكاية « الدكتور صبرى » مع الشعر الذى كاد الانصراف اليه يؤدى به الى الفشل فى الدراسة ٠

شـيطان الشعر

ويبدو ان شيطان الشعر اقترب من « محمد صبرى » وهو صبى صغير وظل يحوم حوله الى فترة متأخرة من حياته ٠ فى مرحلة التعليم الثانوية وانصرف الصبى الى حفظ أشعار المعاصرين والقدامى حتى كاد يفشل فى دراسته ٠ وصدر له الجزء الأول من كتابه (شعراء العصر) ســـنة ١٩١٠ وقدم له « مصطفى لطفى المنفلوطى » وصـــدر الجزء الثـــانى ســـنة ١٩١٢ وقدم له « جميل صدقى الزهاوى » الشاعر العراقى المعروف ٠

والكتاب به تراجم لعدد من شعراء العرب المعاصرين الذين التقى بهم الفتى مما يدل على حركة نشطة له فى الحركة الأدبيـة ويدل على نبوغ مبكر فى حفظ الشعر وروايته ٠ وهذا الكتــاب جعل « الأستاذ أحمد حسين الطمــاوى » لايعتمد تاريـــخ مولد « محمد صبرى » الذى ورد فى بطاقته العائليـة وهو (٩ يوليـو ١٨٩٤) ويجعلنا نعتمد التاريخ الذى أورده «الأستاذ فتحى رضوان» فى كتابه (افكار الكبار) وهو ١٨٩٠ وان كان لم يذكر مصدره ٠

وقد عثر « الأســـتاذ الطماوى » على قصيدة له نظمهـــا عام ١٩١٢ ٠ ويبدو ان الحظ العاثر بدأ معه مبكرا فحين نشرت

له الأهرام عام ١٩١١ قصيدة عن الحرب الايطاليـة فى طرابلس نسبتها الى « اسماعيل صبرى » بدلا من « محمد صبرى » وعلى الرغم مما أن الأهرام صوبت الاسم فى اليوم التالى الا أن القصيدة ظلت تنشر فى (ديوان اسماعيل صبرى) • وسنة ١٩٢٣ ينشر دراستين عن الشاعر « محمـود سـامى البارودى » والشـاعر « اسماعيل صبرى » • فيكون بذلك قد قدم فى (شعراء العصر) بجزءيه وفي هاتين الدراستين ، ترجمة للبارودى واسماعيل صبرى وشوقى وحافظ وأحمد نسـيم وبطرس كرامة وحفنى ناصف ومطران وعائشة التيمورية والمنفلوطى والزهاوى وأحمد الكاشف وحسن القاياني وخير الهنداوى والكاظمى وعثمان زناتى وكاظم الرجبلى وناصف اليازجى ونقولا رزق الله •

ثم يجىء عام ١٩٤٤ فيبدأ فى اصدار سلسلة (الشوامخ) ويستهلها بـ « امرؤ القيس » ثم دراسة بعنوان (الشعر الجاهلى أعلامه وخصائصه) و « ذو الرمة » سنة ١٩٤٦ و « البحترى » فى العام ذاته •

وبدافع من الوفاء لشاعرين صديقين له هما « خليل مطران وأحمد شوقى » ، راح « الدكتور صبرى السربونى » يجمع ما تناثر من أدبهما فى الدوريات • وأصدر سنة ١٩٦٠ كتاب (خليل مطران أروع ما كتب) • وتقف الحركة الأدبيـة فى مصر وفى البـلاد العربيـة مبهـورة عامى ١٩٦١ ، ١٩٦٢ عنـدما يصـدر « صبرى السربونى » الشوقيات المجهولة التى جمع فيها عشرات القصائد التى لم تنشر فى ديوان شوقى بأجزائه الأربعة • وعكف « الدكتور صبرى » على تاريخ القصائد وكان يحمل اسم شوقى والكثير منها يحمل توقيعات رمزية • ثم يعود فى سنة ١٩٦٨ ليقدم لنا شوقيات مجهولة أخرى لم ترد فى الكتاب الذى سبق

نشره وكان « السربونى » يرى ان « أحمد شوقى » أكبر شعراء العربية على الاطلاق •

فى ظلال سعد

كان « محمد صبرى » كما عرفنا من قبل فى فرنسا منذ عام ١٩١٤ فيما عدا شهور قليلة قضاها فى مصر ثم سافر الى باريس ، وفى ١١ ابريل ١٩١٩ سافر أعضاء الوفد المصرى • الى باريس • وفى تلك السنة حصل « صبرى » على الليسانس من (السوربون) وأغلب الظن انه اتصل بالوفد فى تلك السنة ، وأغلب الظن أن معرفة سابقة كانت تربطه بالأستاذ « محمد كامل سليم » ، السكرتير الخاص لسعد زغلول •

وتحت تاريخ ١٢ يناير سنة ١٩٢١ وهو يتحدث عن آخر جلسة للوفد فى باريس وجو الانقسام قد خيم على الجميع يقول « محمد كامل سليم » ـ كنت أول من وصل الى مقر الوفد فأشرفت على اعداد قاعة الجلسة مع صديقى الدكتور محمد صبرى(السربونى) ثم توافد الأعضاء وهم متجهمون عابسون الا حمد الباسل وسينوت حنا فهما باسمان مشرقان ، دخل حمد الباسل قاعة الجلسة وكأنه داخل الى حجرة الطعام ، وكذلك كان صاحبه الرشيق الهندام ، ودخل عبد العزيز فهمى قاعة الجلسة وكأنه داخل قاعة محكمة للمرافعة فى جريمة قتل عقوبتها الاعدام • ودخل الرئيس سعد وعلى وجهه ملامح الأسد ونظراته وكأنه داخل لمصارعة الثيران •• الخ •

وفى موضع آخر تحت تاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٢١ •• يقول •• دخل صديقى الدكتور محمد صبرى (السربونى) ومعه جريدة (الأوفر) الفرنسية وأطلعنا على برقية مطولة نشرتها

الجريدة لمراسلها في القاهرة واستأذنت من الدكتور صبرى في أن يعطيني هذا العدد من جريدة الأوفر لأطلع الرئيس على برقية مراسلها .

وفى ٢٠ يناير سنة ١٩٢١ يسجل السكرتير الخاص لسعد زغلول ـ كنت فى مكتبى بمقر الوفد فى صبيحة هذا اليوم أتصفح الجرائد الانجليزية كالعادة وكان معى الدكتور حامد محمود والدكتور محمد صبرى (السربونى) وأحمد نجيب مراسل الأخبار ، وكانوا يتحدثون فى أمر المنشقين الذين سافروا الى مصر أمس ، ويتنبأ كل منهم بما عسى أن يعملوه فى مصر ..

ولنا ملاحظة على النص الذى أورده « الأستاذ أحمد حسين الطماوى » فى كتابه الممتاز (صبرى السربونى) على صفحة ٥٣ نقلا عن مذكرات محمد كامل سليم (٢١ نوفمبر سنة ١٩٢١ حضر لزيارة سعد ، مصطفى النحاس ، وويصا واصف ، وحافظ عفيفى ، وأبلغوه أنهم عائدون الى مصر .. وقال سعد هل تستطيع البقاء معى أم تؤثر العودة الى مصر ؟ فقلت انى معك هنا ، وأشعر بأننا فى حاجة الى آخرين مثل الدكتور صبرى (السربونى) .. الخ .

الملاحظة الأولى أن مصطفى النحاس وويصا واصف وحافظ عفيفى عادوا من باريس فى ٢١ نوفمبر ١٩٢٠ بعد أيام قضوها هناك لابلاغ الرئيس سعد أحوال مصر (ولعل رقم ٢١ من قبيل الأخطاء المطبعية) والمؤكد أيضا ان سعد باشا عاد من باريس الى مصر فى ابريل ١٩٢١ أى قبل نوفمبر ١٩٢١ .

ويسجل « الأستاذ الطماوى » ان « محمد صبرى » سجل فى مذكرات له ـ لم تنشر بعد ـ اعجابه بوطنية سعد ورفضه

لقبول التحفظات التى تعنى الحماية ويذكر ان سعد باشا شجعه على كتابة تاريخ مصر ٠

تاريخ مصر

فى باريس بدأ كتاباته التاريخية ، فأصـــدر ســنة ١٩١٩ الجزء الأول من (الثورة المصرية) باللغـــة الفرنسية ، وأصدر الجزء الثانى سنة ١٩٢١ بالفرنسية أيضا ، وكان سنة ١٩٢٠ قد أصدر فى باريس كذلك كتاب (المسألة المصرية) بالفرنســية وفى هذه الأعمال الثلاثة أفاد من وثائق الوفد ومباحثاته فى باريس ولندن ، وأفاد من معلومات قادة الوفد وقد عاش معهم واقترب منهم ٠ و « الدكتور صبرى » وان كان يميل الى التوفيق بين جناحى الثورة ويأسف للانقسام الذى وقع فى الوفد الا أنه بقى على وفائه وتقديره لسعد زغلول ٠

أما رسالته للدكتوراه فقد كانت عن (نشأة الروح القومية فى مصر) وصدرت فى باريس بالفرنسية ٠ ســنة ١٩٢٤ وهى تتناول تاريخ مصر الحديث من عصر محمـــد على الى الثـــورة العرابيـــة ٠

وكان كثير التنقل بين مصر وفرنسا ، ونجده ســنة ١٩٢٦ يصدر كتابه باللغة العربية (تاريخ مصر الحديث من محمـد على الى اليوم) وكان قد عاد الى مصر سنة ١٩٢٤ ليعمـل بمدرســة المعلمين العليا أستاذا للتاريخ ، ويعمل بالجامعـــة ، وينقل الى دار العلوم ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨ ، ويعـود ليكتب بالفرنســـية ، سنة ١٩٣٠ كتابه (الامبراطورية المصرية فى عهـد محمـــد على والمسألة الشرقية) ٠ وبالفرنسية أيضـــا أصـدر سنة ١٩٣٣ (الامبراطورية المصرية فى عهد اســـماعيل والتدخـل الانجليزى

الفرنسى) وسنة ١٩٣٤ عين مديرا للبعثة التعليمية المصرية فى جنيف حتى عام ١٩٣٧ . وبعد عودته الى مصر أصدر باللغـــة العربية عام ١٩٣٩ كتابه (مصر فى افريقيا الشرقية) .

وسنة ١٩٤٧ كلفه « محمود فهمى النقراشى » ، بوضــع دراسة عن مسألة السودان فكتب بالفرنسية (السودان المصرى ـ ١٨٢١ ـ ١٨٩٨) وطور الدراسة الى كتاب كبير ترجمه الى العربية تحت عنوان (الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر) وصدر بالعربية سنة ١٩٤٨ . أخرجته الثورة المباركة فى التطهير سنة ١٩٥٢ . ولكن بعد ان أممت مصر قناة السويس فى يوليـــو ١٩٥٦ ووقع العدوان الثلاثى على مصر فى أكتوبر ١٩٥٦ بادر الى اصدار كتاب دفاعا عن حق مصر فى تأميم القناة بعنوان (أسرار قضية التدويل واتفاقية ١٨٨٨) كان ذلك عام ١٩٥٧ أعقبه كتاب آخر بعنوان (فضيحة السويس) سنة ١٩٥٨ وفيه ادانة للغرب .

ظلمـــوه

وقد لقيت أعمال « الدكتور محمد صبرى السربونى » تقدير العدد القليــل من أهل الفكر والثقافة فى بلادنا ، فقـــد روى « فتحى رضوان » فى كتابه (أفكار الكبار) انه سمع من الفقيه المصرى الكبير « عبد الحميد بدوى باشـــا » يقول عن كتـــاب (الامبراطورية المصرية فى أفريقيا) .. حسب محمـــد صبرى هذا الأثر النفيس والعظيم لينال من أمته مظاهر التبجيل والتوقير .

وقال عنه « فتحى رضوان » ـ محمد صبرى ، كان يتمتع بموهبة المؤرخ الذى يطيل صبرى على الوثيقة ، ويجرى لاهثا وراء الفهم الصحيح والتاريخ المحقق والورقة الضائعة والكتاب المندثر ، ليحصل بعد العناء والجهد ، على حقيقة صغيرة .

ولكن هل نعود في النهاية لنفسر الأمور بالقسمة ..
والنصيب .. ؟

نظم القصائد الكثيرة ، ولم يدخله النقاد في زمرة الشعراء ..
اتصل بشعراء عصره المصريين والعرب وكتب عنهم وترجم لهم
وأرسلوا له يقرظونه ويمتدحون أعماله ولم يدخله أحد في عداد
الأدباء أو في عداد مؤرخي الأدب ! اتصل بقادة الوفد جميعا في
باريس واتصل بجناح سعد وجناح عدلى على السواء ، وهو واحد
من كتاب عصر النهضة الثقافية ومن جيل طه حسين ومحمد
حسين هيكل وعباس محمود العقاد وبعضهم كتب عنه في كتبه
ولكنه لم يصل الى شهرة أحد منهم . كتب تاريخ مصر والمسألة
المصرية والثورة المصرية فلم يلق اهتماما كبيرا بأعماله التى أصدرها
باللغة العربية ، ولم يلتفت أحد لترجمة أعماله التى أصدرها
باللغة الفرنسية . كتب التاريخ من زاوية الشعب وليس من
زاوية السلطان فلم يعترف به السلطان ولم ينصفه كتاب الشعب
سوى بعض الدموع على سطور بعد رحيله ، أفنى سنوات من
عمره بين دهاليز دار الكتب بحثا عن الشوقيات المجهولة فأصابه
من بعض النقاد اتهامات بالتزييف والانتحال ! كتب في الاجتماع
والحضارة فالتفت اليه قليلون ! أنفق ما كان لديه من مال على
دراسته في الخارج ، وعلى أسفاره ، وعلى أعماله الفكرية والتاريخية
حتى لم يعد لديه ما يكفيه في هذه الحياة ، وأضاع سنوات من
عمره في ساحات القضاء مطالبا بحق في ترقية ، وبحق في تعويض
ولم يصل الا الى الدرجة الأولى دون المدير العام والدرجة الأولى الآن
يصل اليها كثيرون من صغار الموظفين .

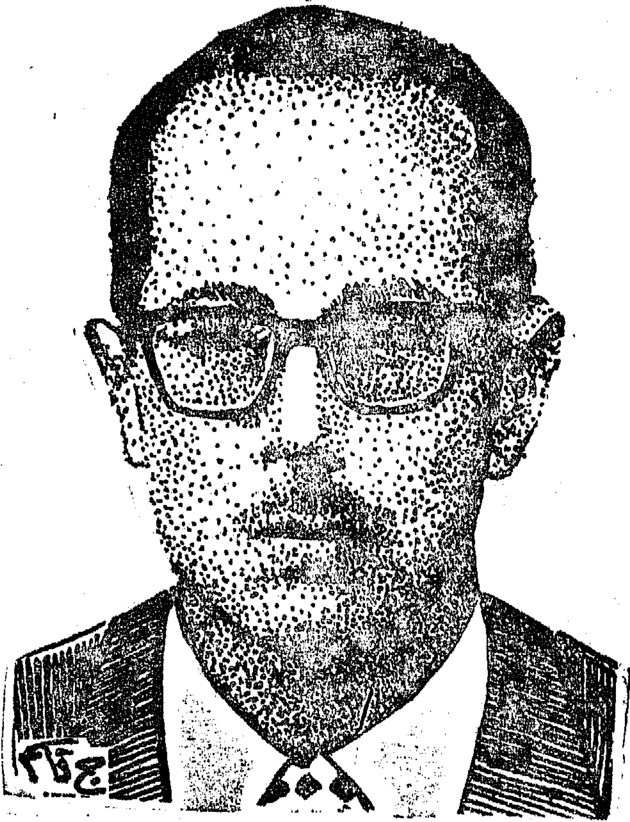
كان معتزا بكرامته وبذاته لا ينافق ولا يداهن يريد ان يأخذ
الدنيا غلابا ولكن بالحق .. وهجرته زوجته الفرنسية عام ١٩٥١

والتي كان قد تزوجهـــا عـام ١٩٣٧ بعـد ان تركت له « اسماعيل وعلى ومنى » ·

وقد وصف « الأستاذ أحمد حسين الطماوى » ، وهو صديقه وكاتب سيرته ، وصف حاله في آخريات أيامه ·· (فى أخريات أيامه تبرم بالناس ، وضاق صدره بهم ، وساء ظنه فيهم ، فلا جرم أن رأيناه يكتئب نفسيا ، وتسهل اثارته لأوهى الأسباب) ·· رحم الله الدكتور محمد صبرى السربونى ·

اسـانيد المقال

● احمد حسين الطماوى	صبرى السربوني
● د· طه حسين	الأيام جـ ٣
● فتحى رضوان	افكار الكبار
● محمد كامل سليم	سعد وعدلي



عبد العزيز الشوربجي

● أسماء أعضاء لجنة الطلبة التنفيذية العليا سنة ١٩٣٥ .

● شهداء ثورة الشباب :

الخالع ومرسى والجراحي وعفيفى وعبد المقصود .

بالوفاء للأستاذ النقيب « عبد العزيز الشوربجى » اقترح الصديق الأستاذ عبد العزيز محمد » المحامى ، الذى تعرفه الساحة الوطنية مدافعا عن الحريات ، ويعرفه القراء بحسه القومى العربى ، اقترح ان تخصص حلقة عن « عبد العزيز الشوربجى » وفى لحظات وضع الصديق « الاستاذ جمال بدوى » دينامو التحرير ـ وكنا فى مكتبه ـ وضع امامى رقم تليفون « الاستاذة مواهب الشوربجى » كريمة المرحوم « عبد العزيز الشوربجى » وخلال أيام كان أمامى ما تصورت « الاستاذة مواهب » أن يكون مفيدا لى فى كتابة هذه الحلقة .

وجدت نفسى أمام شخصية محيرة بكل ما تحمل الكلمة من معان . محام يشتعل حماسة لكل قضية وطنية يؤمن بها ، وينفعل اخلاصا لكل جانب يميل اليه .

..

بدأ حياته السياسية وفديا ، وفى لجنة الطلبة التنفيذية العليا (١٩٣٥) يرى غير ما يرى الوفد فى المطالبة بالدستور والاستقلال فيقف مع (أقلية) تقدم الاستقلال على الدستور ، وسنة ١٩٤٣ يقف مع « مكرم عبيد » فى الانقسام الذى عرف بالكتلة الوفدية بل انه يشرف على تحرير جريدة (الكتلة) فترة ما وعندما يتجه « مكرم

عبيد » الى المصالحة مع الحزب الأم (الوفد) يخاصم « عبد العزيز الشوربجى » الوفد والكتلة الوفدية ، ومصطفى النحاس ومكرم عبيد ، وتمضى السنوات ويستولى الضباط الأحرار على السلطة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وسنة ١٩٥٤ يطالب المحامون بأن يعود الجيش الى ثكناته ، وتخرج المظاهرات تعبر عن رغبة قطاعات كثيرة من الشعب فى عودة الحكم النيابى ، ولكن « عبد العزيز الشوربجى » يرى غير هذا الراى ، ويقف الى جانب جناح « عبد الناصر » ويشكل من بعض المحامين ما عرف بجماعة « انصار الثورة أو المحامين الأحرار » .

ويتم حل مجلس النقابة ، ويحكم « عبد الناصر » قبضته على السلطة وتمضى الأيام ويكتشف الشوربجى ان الجناح الذى أيده لم يسر فى المسار الذى يرتضيه وينزل « عبد العزيز الشوربجى » يدافع فى بسالة عن عائلة « الفقى » فى أحداث « كمشيش » المعروفة ويصطدم بقيادات التنظيم السياسى الواحد ويصدر قرار بحرمان الشوربجى من حق الترشيح لانتخابات مجلس الأمة .. ويبقى هكذا على خصومة شديدة حتى ١٥ مايو ١٩٧١ فيهنىء « السادات » ويؤيده ولكنه يهاجم بعد ذلك السياسة الخارجية للسادات والاتجاه الى الصلح مع اسرائيل ، ويشن حملة على (كامب دافيد) وعلى تدخل الحكومة فى الانتخابات ، ويرشح نفسه نقيبا للمحامين ويصفه السادات بأنه (وفدى عتيق) يؤيده الاخوان المسلمون والشيوعيون والانتهازيون ويقف « الشوربجى » يقول بأعلى الصوت .. نعم ياريس هؤلاء يؤيدوننى .. فمن الذى يؤيدك أنت ياريس ؟ دخل (الوفد الجديد) وتحمس له ، ولكنه عارض الموقف من (تجميده) .. وفى مقر حزب العمل فى يونيه ١٩٨١ صاح بأن الصلح مع اسرائيل مقبرة لكل الآمال المصرية واستدعاه (المدعى الاشتراكى) للتحقيق فقال (الشوربجى) لو أننى أستطيع أن أحمل السلاح لذهبت

أحارب اسرائيل .. وفى ٥ سبتمبر ١٩٨١ كان عبد العزيز الشوربجى واحدا ضمن ١٥٣٦ من قادة الرأى والعمل السياسى المعتقلين .

سياسى بالصدفة

شخصية مثيرة محيرة قلقة لها زوايا مدببة كثيرة تبحر فى مياه صعبة وأنت تكتب عنها ، المواقف متعددة تبدو أنها متناقضة ولكن لها قاسما مشتركا أعظم هو الرأى المستقل والتعبير الحر عن هذا الرأى ، ثم الاندفاع الى آخر الشوط دفاعا عما يعتقد أنه صواب .

فى مطلع الثلاثينات ، كان طالبا فى نهاية المرحلة الثانوية واسماعيل صدقى رئيس للوزراء ، حل البرلمان والغى الدستور ، والمظاهرات ضد صدقى تجتاح القاهرة والمدن الرئيسية الأخرى والطالب « عبد العزيز الشوربجى » .. يذهب من البيت الى المدرسة ويعود من المدرسة الى البيت بعربة « حانطور » والسائق يتجنب المظاهرات حتى يعود فى سلام . و « الشوربجى » على كرسى رئاسة بهذه المظاهرات ، ولا بأصحابها ، ولا بالجالس على كرسى رئاسة الوزارة هو فى (حاله) كما يقولون .. آماله ان يجتاز المرحلة الثانوية وأن يدخل كلية الحقوق ويخرج منها أو فيها ويعمل محاميا مشهورا ..

وذات يوم وهو ذاهب من البيت الى المدرسة وواحدة من المظاهرات ضد صدقى باشا مشتعلة والبوليس يتصدى للطلاب بوحشية وقسوة أثارتا الطالب « عبد العزيز الشوربجى » ويهاجم البوليس فيما يهاجم (عربة الحانطور) وانقلبت العربة ، وثار الطالب « الشوربجى » وبأعلى صوته ، وبكل حماسته يردد هتافات

الطلاب ضد الحكومة ويطالب بالدستور وينضم الى لجنة الطلبة الوفديين ..

وينتهي عهد « اسماعيل صدقي » الذى بدأ فى ٢٠ يونيه ١٩٣٠ حتى ٢٧ سبتمبر ١٩٣٣ . وتجيء وزارة « عبد الفتاح يحيى باشا » من ٢٧ سبتمبر ١٩٣٣ حتى ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ ودستور ١٩٢٣ لم يزل معطلا وتعقبها وزارة محمد توفيق نسيم فى ١٤ نوفمبر ١٩٣٥ وأعلن عدم رضائه على دستور صدقى مما يشير الى انه يعتزم اعادة دستور ١٩٢٣ فأيده الوفد وبدأ توفيق نسيم وزارته بالغاء دستور صدقي (دستور ١٩٣٠) ولكنه لم يبادر باعادة دستور ١٩٢٣ وفي ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ فى احتفال الأحرار الدستوريين بعيد الجهاد الوطني خطب « محمد محمود » وطالب باعادة دستور ١٩٢٣ ، وخرج الشباب من سرادق الأحرار الدستوريين الى سرادق الوفد حيث « مصطفى النحاس » يطالب بمقاطعة الانجليز وباستقالة الوزارة وبسحب الثقة منها . وتدفقت جموع الشباب من مختلف الأحزاب في مظاهرات عارمة نحو بيت الأمة ، ووقع الصدام المعروف بين المتظاهرين وجنود الاحتلال .. وهنا نجد الطالب عبد العزيز الشوربجي بارادته وبعزمه عضوا بلجنة الطلبة التنفيذية العليا التى قادت ما عرف بثورة الشباب ١٩٣٥ أو بثورة الدستور . ولنا مع شبابنا اليوم حديث عن هذه الثورة وعن لجنة الطلبة التنفيذية العليا .

لجنة الطلبة العليا

حفظت لنا وثائق تلك الفترة بيانات ثلاثة أو أربعة عن أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للطلبة التى قادت ثورة الشباب من أجل الدستور ١٩٣٥ وجهود الشباب من أجل وحدة الزعماء ومن

أجل تحقيق المطالب الوطنية ويبدو أن اللجنة لم يكن لها تشكيل ثابت تماما ، وانها كانت تتكون بفعل واقع الأحداث وان كانت هناك عناصر تشكل غالبية اللجنة نجدها فى البيانات المتباينة ..

التشكيل الأول .. نقرأه على النحو التالى :

كلية الطب : محمد بلال ، نور الدين طراف ، أحمد لطفى ، حافظ حسنى .

كلية الحقوق : عبد العزيز الشوربجى ، الطاهر حسن أحمد ، فريد زعلوك ، زكى علام ، على كريم ، نصيف مرقس ، أحمد عبد النبى .

كلية الآداب : مصطفى السعدنى ، أحمد بشر ، عبد القادر حجاب ، فتحية الكابلى ، عبد العزيز يونس .

كلية العلوم : محمود لاشين ، سعد الدين الشيشينى .

الأزهر : أحمد حسن الباقورى ، عبد المجيد الغايش ، سليمان النمكى .

كلية التجارة : عبد المنعم البيه ، كامل الدماطى ، فتحى عمر ، أحمد طلبة صقر .

كلية الزراعة : أحمد الدمرداش قرنى ، أبو المجد التونى ، حسن سالم ، عبد السلام حسن .

كلية الهندسة : جلال الدين الحمامصى ، جمال صادق ، ابراهيم عثمان ، محمود يونس حسين الشايب (الهندسة التطبيقية) .

دار العلوم : أحمد الحوفى ، أحمد حجاب ، فؤاد رحمو ، سيد العجان ، محمد برهام ، عبد الرافع الشافعي ؟

الفنون الجميلة : محمد شبل الحضرى •

وهذا البيان حسبما وعته ذاكرة المناضل القديم « دكتـــور محمد بلال » وأرسل به الى الأستاذ « صبرى أبو المجد » ليضمنه الجزء الأول من كتابه « سنوات ما قبل الثورة » •

وفى البيان الذى أصدرته اللجنة فى ٦ ديسمبر ١٩٣٥ وهو البيان الذى عبرت فيه اللجنة عن وحدة صفوفها بعد خلاف سوف نعرض له فى فقرة قادمة نجد أســـماء جديدة الى جانب الأسماء السابق ذكرها ونجد ان بعض الأسماء التى وقعت البيان السابق لم يرد ذكرها فى هذا البيان الجديد •• فمثلا ••

كلية الطب أضيفت أسماء ابراهيم عبود ، أحمد عبد الله ، حسن توفيق ؛ قاسم فرحات ، محمود لبيب الشاهد ، عبد اللطيف جوهر ، ولم يرد اسم « آحمد لطفى » •

كلية الحقوق : أضيف اسم « فكتور مكرم عبيد » وبهذه المناسبة فهو نفسه فكرى مكرم عبيد وغاب اسم نصيف مرقس وأحمد عبد النبى •

كلية الآداب : أضيف اسم سهير القلماوى ومحمود أبو رحاب وغاب اسم فتحية الكابلى •

كلية العلوم : أضيف اسم فؤاد ســـالم ، حبيب المصرى ، عماد الدين الشيشينى •

كلية التجارة : أضيف اسم الفونس زكى ، عبد الله أباظة ، أحمد حلمى •

كلية الزراعة : أضيف اسم حسن الابيارى ، مصطفى كامل منصور ، حسين عزت ٠

دار العلوم : غابت أسماء أحمد الحوفى وأحمد حجاب ، وفؤاد رحمو ، وسيد العجان ٠

وبعودة دستور ١٩٢٣ ، تكوين الجبهة الوطنية أصدرت (لجنة الطلبة التنفيذية العليا) بيانا توضح فيه اتجاهاتها وتطالب المظاهرات بالبعد عن التخريب ولاحظنا عليه :

كلية الطب ٠٠ ظهر لأول مرة اسم حسنى العامرى ٠٠ كلية الحقوق انتظام ظهور اسم « عبد العزيز الشوربجي » وأضيفت أسماء حمادة الناحل ، ومحمود فهمى أبو عزيز ، وعبد الغفار متولى وخليل جمال الدين وأحمد شرف الدين ومراد يس لأول مرة ٠٠

وبالنسبة لموضوعنا الراهن نلاحظ ان اسم « عبد العزيز الشوربجى » انتظم ظهوره فى البيانات المختلفة مما يوضح أن مساهمته فى العمل الوطني كان بارادة واعية وبموقف محدد لاسيما أن كفاح اللجنة كان شاقا ومحفوفا بالمخاطر ولا بأس ان تقدم فكره عن جهود الشباب تلك ٠٠

ثورة الشباب

كان شباب مصر فى عامي ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ يواجه مشكلات اعادة العمل بدستور ١٩٢٣ الذى ألغاه « اسماعيل صدقى » والذى لم يكن مقنعا به « توفيق نسيم » فاذا به يلغى دستور ١٩٣٠ « دستور صدقى » ولايبادر باعادة العمل بدستور ١٩٢٣ ، ثم مشكلة توحيد جهود زعماء مصر ، ومشكلة تحقيق الاستقلال الوطنى ٠

وتحرك شباب مصر فى سبيل تحقيق هذه المطالب الثلاثة وتشكلت (لجنة الطلبة التنفيذية العليا) وعند أول موقف ظهرت أقلية داخل اللجنة تنادى بأن يكون (الاستقلال) هو المطلب الرئيسى أو المطلب الوحيد ، وأغلبية تنادى بضرورة عودة دستور ١٩٢٣ والحريات مع المطالبة بالاستقلال الوطنى وانحصرت الأقلية فى عدد محدود من أعضاء اللجنة هم : (عبد العزيز الشوربجى ، ونور الدين طراف ، وحسن أحمد ، ومصطفى السعدنى ؛ وأحمد حسن الباقورى) .

ومضت أغلبية اللجنة فى طريقها الذى رسمته لنفسها وكانت اجتماعات اللجنة بنقابة المحامى ثم بالنادى السعدى وانصهرت مع الأحداث ، وتقدمت الشعب بأسره وتوحدت صفوفها واتحدت جهود الطلبة مع جهود العمال وكان أول شهداء ثورة الشباب فى نوفمبر ١٩٣٥ عاملين هما : اسماعيل الخالع وأخوه عبد السميع الخالع واستشهد برصاص الانجليز أيضا بطل كلية الزراعة محمد عبد المجيد مرسى وبطل كلية الآداب « عبد الحكم الجراحى وبطل المعهد الأزهرى بطنطا محمد عبد المقصود وهم بلديات عبد العزيز الشوربجى من طنطا وبطل دار العلوم على طه عفيفى ، وأصيب فى تلك الأحداث « ابراهيم شكرى » من كلية الزراعة « رئيس حزب العمل حاليا » ، وأصيب «عبد القادر زيادة» من كلية الحقوق ووحدت دماء الشهداء صفوف الطلبة فأصدرت اللجنة التنفيذية بيانها الشهير فى ٦ ديسمبر ١٩٣٥ يعلن وحدة الجهود من أجل الدستور واتفاق الزعماء والاستقلال وفى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ صدر قرار عودة دستور ١٩٢٣ وأعلن الزعماء فى اليوم نفسه اتفاقهم من أجل مواجهة الانجليز جبهة واحدة فى المفاوضات وأصدرت اللجنة بيانا فى ٣ يناير ١٩٣٦ تشكر فيه

الطلبة حسن تقديرهم للموقف وعودتهم الى الدراسة استجابة منهم لزعيم البلاد دولة الرئيس « مصطفى النحاس باشا » واستقالت وزارة « نسيم » فى ٣٠ يناير ١٩٣٦ وشكل على ماهر وزارته من (٣٠ يناير ٣٦ ـ ٩ مايو ١٩٣٦) على أساس ان يتكون وفد المفاوضات برياسة مصطفى النحاس وأن يجرى الانتخابات فى ٢ مايو ١٩٣٦ وفى ٢٨ ابريل توفى الملك فؤاد وأجريت الانتخابات التى فاز فيها الوفد بأغلبية ساحقة فشكل مصطفى النحاس وزارته فى ٩ مايو ـ ٣١ يوليو ١٩٣٧ ، وهى الوزارة التى جرت خلالها المفاوضات وعقدت المعاهدة فى أغسطس ١٩٣٦ هذه هى الفترة التى تشكلت فيها شخصية « عبد العزيز الشوربجى »٠

صورة سريعة

وفى أواخر الثلاثينات تخرج عبد العزيز الشوربجى فى كلية الحقوق وعمل بالمحاماة وكان أقرب الناس اليه الشباب الثائر فى بلده (طنطا) ولد فى محلة مرحوم مركز طنطا ١٩١١ وكان يدافع عن المقبوض عليهم بدون مقابل فى كل العهود وخاصة فى فترة وزارة ابراهيم عبد الهادى سنة ١٩٤٩ ٠

وانضم الى انقسام (الكتلة الوفدية) خطيبا وكاتبا ٠ وفى الأربعينات كان من أبرز محامى الحريات ٠ وأشرنا من قبل الى تأييده لحركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الى درجة أنه شكل ما أسماه « أنصار الثورة » واشتدت خصومته للحركة عندما أهدرت حقوق الانسان ودافع عن أسرة الفقى التى تعرض أفرادها للتعذيب والمهانة ويذكر الأستاذ ابراهيم يونس ان « الأستاذ عبد العزيز الشوربجى عندما كان نقيبا للمحامين فى أوائل الستينات حدث ان قتل أحد المحامين فى شبرا ، ولم يعثر على جثته ونقلت

الاشاعات أن أحد الأجهزة هي التي قتلته عقـد اجتمـاعا لمجلس النقابة واتصل بوزير الداخلية أمام جمع من الحاضرين وأخبره ان مجلس النقابة سيظل فى حالة انعقـاد الى حين العثور على جثـة المحامى ، والقبض على القاتل ٠

وعلى الرغم من محاربة جناح عبد الناصر له الا أنه تقـدم يدافع عن الذين تعرضوا للسجن أو الاعتقال فى عهد السادات ومن بينهم « فريد عبد الكريم » السياسى الناصرى المعروف ورأس اتحاد المحامين العرب وعنى بقضايا الأمة العربية ٠

الافراج والرحيل

وعنى أيضا بوحدة الكلمة بين النقابات المهنية المختلفة ٠٠ قال الأستاذ « حافظ محمود » نقيب الصحفيين الأسبق وهو يرثيه « تذكرت يوم انتخابى نقيبا للصحفيين ٠٠ كان أول زائر لى بدار النقابة هو عبد العزيز الشوربجى نقيب المحامين ، وقد جاء مهنئا وكانت تهنئته صورة من شخصيته فقد دخـل غـرفة مكتبى مهللا يقول ٠٠ ياحافظ جاءت المناسبة التى نتخذ فيها قرارا مشتركا بازالة السور الذى يفصل بين نقابتينا) ٠

وقال « الشوربجى » يصف لحظات الافراج عنه بعد رحيل السـادات :

(كنت موجودا فى مستشفى معهد القلب بامبابة بعد ان أصبت بأزمة قلبية فى ليمان طره ٠٠ ويوم الافراج اعتقدت اننى مطلوب للتحقيق ٠٠ وطلبت منى مديرة مكتب كبير الأطباء ان أرتدى ملابسى الكاملة ، وفى الطريق الى قصر العروبة اعتقدت بأننى متوجه الى مكتب المدعى الاشتراكى ٠٠ ووصلت الى صالون

القصر قبل ان يصله باقى زملائى بحوالى ساعة ونصف • واجتمع بنا الرئيس •• وقد لمست شخصيا كرم الرئيس محمد حسنى مبارك عندما سألنى عن صحتى فأخبرته بأننى قادم من معهد القلب •• فقال الرئيس لو علمت ذلك لذهبت اليك بنفسى •• وأجلسنى الى جواره) •

ولكن لكل أجل كتاب •• ففى يوم الأحد ٧ فبراير ١٩٨٢ توفى الأستاذ النقيب عبد العزيز الشوربجى وفى الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الاثنين ٨ فبراير شيعت جنازته من مقر نقابة المحامين وأقيم سرادق العزاء بالنقابة أيضا •

أسانيد المقال

● ابراهيم يونس	جريدة الأخبار ١٩٨٢/٢/٩
● حافظ محمود	جريدة الجمهورية ١٩٨٢/٢/١٢
● شكرى القاضى	مائة شخصية وشخصية
● صبرى ابو المجد	سنوات ما قبل الثورة
● عبد العزيز الشوربجى	حديث لجريدة الهدف ١٩٨١/١٢/٢٤
● عبد العزيز الشوربجى	ندوة فى ١٩٨١/١٢/٢٨



علــــى شعـــــراوى

● عبد العزيز فهمى :
على شعراوى من أخلص رجال مصر .

● لماذا اختير شعراوى مع سعد زغلول وعبد العزيز فهمى لمقابلة المعتمد البريطانى .

● ماذا بعد أن تزوج شعراوى هدى محمد سلطان ؟

● على سطور التاريخ نسير من الوجه البحرى الى صعيد مصر . من محافظة المنوفية اخصب محافظات وجه بحرى الى محافظة المنيا اخصب محافظات وجه قبلى ، من قرية (كفر المصيلحة) الى قرية (المطاهرة) وان شئت الدقة الى قرية (بنى محمد شعراوى) اذ أن كلمة (المطاهرة) تطلق على اربع عشرة قرية صغيرة منها (بنى محمد شعراوى) نسبة الى « حسن آغا شعراوى » والى « شعراوى » الجد الكبير .

على سطور التاريخ نسير من « عبد العزيز فهمى » الى « على شعراوى » أو من ثانى الثلاثة الذين قابلوا المعتمد البريطانى فى تمام الساعة الحادية عشرة من يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ . الى ثالث الثلاثة « على شعراوى » وان شئت فبدل المواقع بين الثانى والثالث ويبقى المركز الأول دائما لسعد زغلول العظيم .

لم يكن « سـعد زغلول » ألمع رجل قانونى فتلك صـفة « عبد العزيز فهمى » ولا أكثرهم فتلك صفة « على شعراوى » ولا أكثرهم دهاء فتلك صفة « اسماعيل صدقى » ولا أعمقهم ثقافة

فتلك صفة « أحمد لطفى السيد » ولا أشدهم مناورة فتلك صفة « على ماهر » ولكن كانت لديه القدرة على القيادة وجعل الآخرين يسيرون خلفه ، كانت لديه الزعامة التى تولدت من شعوره بنبض الشارع ، كان كجهاز (السيسموجراف) الذى ينبىء بحركات الأرض قبل أن يشعر بها الناس ، ووجد فيه الشارع المصرى والحقل المصرى المعبر الحقيقى عن آمالهم فأولوه ثقتهم كزعيم لهم لا ينازعه فى ذلك احد ، كان كل عضو فى الوفد الأول يتميز بميزة جزئية وان تكن هامة ، ولكن « سعد زغلول » كان الزعيم وكان القائد ٠

ميزات شخصية

وقد ثقلت موازين على شعراوى طوال حياته بميزاته الشخصية التى لم يختلف حولها أحد ٠ وقد سجلت الباحثة المصرية الأمريكية « عفاف لطفى السيد » وهى ابنة شقيق « أحمد لطفى السيد » تزوجت فى أمريكا واستقر بها المقام هناك وتعنى بدراسة تاريخ مصر الحديث ، سجلت فى كتابها (تجربة مصر الليبرالية) وهو كتاب لنا على بعض مادته ملاحظات أشرنا اليها فى مقال لنا منذ سنوات ٠ سجلت أن « على شعراوى » كان طاهرا فى سلوكه ومحافظا على تقاليد بيئته التى نشأ فيها ، وقد ظل الى أن رحل متمسكا بلهجته الصعيدية ، وأشار « محمد السوادى » فى كتابه (أقطاب مصر بين ثورتين) والسوادى من قرية قريبة من قرية على شعراوى ، أشار الى ان « على شعراوى» كان رجلا مهيب الطلعة جليل المشية تقيا صالحا ٠٠ عرف فيه معاصروه صفات الطهارة والاستقامة من بدء حياته حتى نهايتها ويروون عنه أقاصيص تكاد تلحقه بركب العارفين بالله ٠٠

وفى حديثه عنه ، فى كتابه (هذه حياتى) قال « عبد العزيز فهمى » : (أما على شعراوى فكان من خيرة الوطنيين

المخلصين ، بل من أخلص رجال مصر ، وأكثرهم حبـا لوطنه ، وكان جريئا فى الحق ، يقول ما يعتقد ، ويحافظ على كرامته ، ولا يمتهنها مهما كانت الظروف • وكان فى الجمعية التشريعية من العاملين لخدمة البلاد) •

هكذا قال عنه القاضى الفاضل « عبد العزيز فهمى » •

أين كان ؟

بعض الباحثين ومعهم بعض الكتـاب يتناولون شخصـية « على شعراوى » وكأنه ظهر لأول مرة فى الساعة الحادية عشر من يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ وفى هذا ظلم للرجـل وظلم للكتـابة التاريخية معـا •

ففى ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٦٦ م ، أجريت الانتخابات الأولى لمجلس شورى النواب ، وانعقد المجلس فى القلعة برياسـة ، اسماعيل باشا راغب » وتقول أوراق هذا المجلس ان الأعضـاء الذين انتخبوا عن (المنيا وبنى مزار) على الوجه التالى ابراهيم أفندى الشريعى عمدة سمالوط ، حسن أفندى شعراوى عمدة المطاهرة ، واسماعيل أحمد عمدة بنى أحمد ، وأحمـد على عمدة الزاوية ، وأحمد حبيب عمدة الصف ، وميخائيل اثنايوس عمدة اشرومة •

(والمطاهرة) كمـا أسلفنا هى القرية الكبرى ـ اذا صح هذا التعبير ـ لعدة قرى صغيرة جدا منها (قرية بنى شعراوى) التى منها « على شعراوى » وحسين أفندى شعراوى عمدة المطاهرة والذى ورد اسمه ضـمن أعضـاء مجلس شورى النـواب هو «حسن أغا شعراوى » والد « على شعراوى » •

ولكن مجلس شورى النواب (٧٦ ـ ٧٩) الذى شهد بخلع

الخديو « اسماعيل باشــا » يغيب عنه « حسن شــــعراوى » ، وليس فى أعضاء (المنيا وبنى مزار) أحد من أسرة شعراوى • ويتولى « توفيق » فى ٢٦ يونيه ١٨٧٩ • وفى (الوقائع المصرية) عدد أكتوبر ١٨٨١ اشارة الى ان شريف باشا أرسل منشــورا انتخابيا الى المحافظات والمديريات بوجوب احترام الادارة لحرية الانتخابات • ونجد ان أعضاء (المنيا) فى هذا المجلس الجديد على النحو التالى : (محمد سلطان باشا ، وعلى أفندى شعراوى ، وحسن باشا الشريعي ، ويوسف أفندى عبد الشهيد ، ومحمد أفندى جلال ، ومحمد أفندى مصطفى عميرة) • وفى ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ افتتح الخديو توفيق الدورة الأولى من برلمانه الأول والذى يطلق عليه « الدكتور لويس عوض » عبارة « برلمان توفيق ــ عرابى » •

ويظهر أمامنا فى برلمان توفيق ــ عرابى اسمان •• الأول هو « محمد سلطان باشا » والثانى هو « على أفندى شعراوى » وسوف يكون لنا مع « محمد سلطان باشا » و « على أفندى شعراوى » حكاية لأن الأول كانت له حكاية مع الثورة العرابية ، والثانى هو الذى نكتب عنه هذا المقال •

سلطان وشعراوى

على شــعراوى هو ابن شــقيقة محمــد ســلطان • ويروى « محمد السوادى » الناقد البرلمانى المعروف لجريدة البلاغ • وهو من أبناء اقليم المنيا ومن قرية قريبة الى قرية المطاهرة ، ويروى فى كتابه (أقطاب مصر بين ثورتين) أن « محمد سلطان » كان فى نشأته جمالا ، ويحمل الأحجار التى تقطع من المحاجر فوق جمله أو فوق جماله لقاء أجر معين واستطاع أن يصبح شيخا للبلد ، ثم عمدة لها واتصــل باسره « الشريعى » المعروفة فى المنيا ، فأخذ الشريعى

باشا بيده الى المناصب الرفيعة بسبب كفاءته وذكائه رغم أنه يجهل القراءة والكتابة •

مهما يكن من أوامر فان « محمد سلطان » هذا هو أخيرا « محمد سلطان باشا » رئيس المجلس امنيابى فى عهد الخديو توفيق • وهو الخصم اللدود للعرابيين وللثورة العرابية والذى أثرى بسبب هذه الخصومة •

المهم أن « حسن شعراوى » وهو فلاح ثرى ذكى تزوج شقيقة لمحمد سلطان ، وأنجب منها « على شعراوى » الذى شب معتمدا على ثروة أبيه وعلى سلطان خاله « محمد سلطان » الذى كان يصعد بخطى نحو المناصب ونحو الثروة معا •

على شعراوى اذن هو ابن « حسن أغا شعراوى » عمدة المطاهرة ، وابن « أمنة » أو « يامنة » بلغة المنيا ، شقيقة « محمد سلطان باشا » وتزوج « على » فى فترة باكرة وأنجب ولده الأكبر حسن « حسن باشا شعراوى » فيما بعد • وكان الخديو « توفيق » قد أهدى لصديقه المخلص « محمد سلطان » جارية بيضاء أنجب منها « عمر » الذى أصبح فيما بعد « عمر سلطان باشا » وأنجب منها أيضا « هدى محمد سلطان » •

وتقدم « على بك شعراوى » ليتزوج الفتاة المثقفة نزيلة القاهرة ، والتى أصبحت فيما بعد الزعيمة النسائية المعروفة « هدى شعراوى » وقيل ان الزواج لم يكن على رغبتها على أية حال فقد مات أبوها وترك لها هى وشقيقها « عمر » أثنى عشر ألف فدان فى أرض خصبة ، ووضع « على شعراوى ثروته أيضا ـ رغم حرصه الذى عرف به ـ تحت تصرفها ومضت فى نشاطها الاجتماعى المعروف واتخذت لها هى الأخرى فيما بعد نشاطا ملحوظا فى الحركة النسائية وأرسلت « هدى شعراوى » على حسابها الخاص وكجزء

من نشاطها الاجتماعي أرسلت « أحمد الصاوى محمد » الى السربون فى باريس ليتعلم ويصبح فيما بعد الكاتب الصحفى الكبير صاحب (ماقل ودل) ٠

الطريق الى الجهاد

وفى النصف الثانى من العقد الأول للقرن العشرين نلمح متوازيا لهدى شعراوى ولعلى شعراوى فهل كان الزواج « هدى » بـ « شعراوى » هو الدافع لها للتفرغ للأعمال العامة والنشاط الاجتماعى الذى امتد بعد ذلك الى نشاط سياسى فى ثورة ١٩١٩؟ ام أن شخصية هدى شعراوى الثائرة النشطة انعكست على زوجها؟ على أية حال نلمس نشاطا مبكرا لهدى شعراوى فى المجال الاجتماعى سنة ١٩٠٧ بأن دعت نساء مصر لجمع تبرعات لانشاء جمعية لرعاية الطفل واقتنع الناس بالفكرة وتم جمع التبرعات لكن الحكومة تدخلت فتوقف المشروع فى مهده ٠ وفى سنة ١٩٠٨ دعت هدى شعراوى الكاتبة الفرنسية ٠٠ « مارجريت كليمان » لالقاء محاضرة ثقافية على السيدات فى قاعة من قاعات الجامعة ونجحت المحاضرة نجاحا عظيما مما شجع « الأمير أحمد فؤاد » ـ الملك فؤاد فيما بعد ـ على تخصيص قاعة للسيدات فى يوم الجمعة من كل أسبوع ٠ وبعدها نشأت فكرة (أميرة محمد على) التى بدأت كجمعية خيرية لتعليم الفتيات الحياكة ومستوصف لرعاية الأطفال صحيا ٠ وكان لهدى شعراوى دور ملحوظ فى ذلك ٠

على الجانب الآخر من الأسرة ٠ نرى الزوج « على شعراوى » من بين مؤسسى الجريدة التى أنشأها صديقه « أحمد لطفى السيد» فى ٩ مارس ١٩٠٧ والتى توقفت فى ٣٠ يوليو ١٩١٥ ٠ ونجد اسم « على شعراوى » الى جانب اسم شقيق زوجته وابن خاله « عمر سلطان » والى جانب زميله فيما بعد يوم ١٣ نوفمبر وأعنى

به « عبد العزيز فهمى » ونحن لا نعرف على وجه الدقة دور « على شعراوى » بعد ذلك فى (حزب الأمة) الذى شكلته فى ٢١ سبتمبر ١٩٠٧ مجموعة الجريدة أيضا ونحن اذ لم يكن له دور ملحوظ فهذه هى طبيعة الرجل البعيدة عن النشاط والمثابرة ومواصلة العمل السياسى بمتاعبه المعروفة ٠

الاعتدال

والى جانب التقوى والصلاح كانت هناك سمة أخرى اتصف بها « على شعراوى » هى الاعتدال ٠ ولعل هذه الصفة هى التى دفعته للمشاركة فى (الجريدة) والتى قدمها رئيس تحريرها « احمد لطفى السيد » بعبارات واضحة ٠ محددة « ما الجريدة الا صحيفة مصرية شعارها الاعتدال الصريح ٠ وربما يكون (الاعتدال) ايضا هو الذى جمع فى صداقة قوية بين على شعراوى وعبد العزيز فهمى وأحمد لطفى السيد الذى كان فى فترة ما من حياته رئيسا لنيابة المنيا (مديرية على شعراوى) ٠

وفى كتاب (هذه حياتى) يحكى لنا « عبد العزيز فهمى » رواية طريفة كانت سببا فى أن يكره « أحمد لطفى » العمل بالمحاماة ويعمل بالسياسة ٠٠ والرواية موجزها ان «على شعراوى»، ذهب يوما الى مكتب المحاماة بالعتبة الخضراء والذى يعمل به « عبد العزيز فهمى وعزيز منسى وأحمد لطفى السيد ، ذهب ومعه رجل هرم اسمه « عم عزام » كان بعض الناس قد زوروا عليه سندا بمبلغ كبير ، وقد حكم عليه ابتدائيا واستئنافيا ولم يعد هناك وجه قانونى للالتماس ، ولكن « شعراوى » يعلن أن الحكم ظالم وان « عم عزام » مظلوم فقد ألح على « لطفى » أن يقدم هذا الالتماس ٠ ورفضت المحكمة الالتماس فما كان من «عم عزام» الا أن

عسكر فى مكتب المحاماة على أمل ان يقوم « لطفى » بعمل أى شىء لتبرئته .. ومن وقتها هرب « أحمد لطفى السيد » من المحاماة واشتغل بالسياسة ، وسارت حياته كما نعرف . وبعد ان تم ادماج مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية فى (الجمعية التشريعية) فى ظل حكم الخديو عباس حلمى الثانى ، جرت انتخابات الجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ وكان الأعضاء عن المنيا هم : المصرى السعدى بك ، حسنين الشريعى بك ، زايد جلال بك ، وعلى شعراوى باشا .

وقد حصل « على شعراوى » على لقب باشا بفضل خاله ووالد زوجته « محمد سلطان باشا « وبفصل ثروة الأسرتين . ويلاحظ ان أسرة سلطان وأسرة شعراوى بفضل الدور الذى قام « محمد سلطان باشا » ضد الثورة العرابية ولصالح الخديو توفيق لم يصب هاتين الأسرتين أى أذى بعد انكسار الثورة العرابية . ومن بين مئات الذين قبض عليهم وقدموا للمحاكمة كان هناك ٨٠ شخصا من العمد وأعيان الأرياف ليس من بينهم أحد من أسرة سلطان أو أسرة شعراوى على خلاف أسرة الشريعى التى نالها بعض الأذى .

تكون الوفد فى بداية الأمر من : سعد زغلول ، وعلى شعراوى، وعبد العزيز فهمى ، ومحمد على علوبة ، وعبد اللطيف المكباتى ، ومحمد محمود ؛ وأحمد لطفى السيد .

وذهب الثلاثة الأول على نحو ماهو معروف فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ بعد يومين من اعلان الهدنة الى المعتمد البريطانى « ونجت » اما لماذا اختير وفد (المقابلة) على هذا النحو فالروايات تختلف .. سعد زغلول ليس حوله خلاف فهو وكيل الجمعية التشريعية التى أوقف الانجليز أعمالها بعد اعلان الحماية سنة ١٩١٤ ، وهو الذى

كان يدعو القادة الآخرين للاجتماع عنده سرا فى عزبته بمسجد وصيف ·· الخ ·· ويقول « عبد العزيز فهمى » تفسيرا للاختيار انهم حرصوا على من كان عضوا بالجمعية التشريعيــة ·· وكان سعد وكيلا للمعية وعبد العزيز شــعراوى عضوين ، وقيــل ان « سعدا » حرص على اختيار « عبد العزيز » ممثلا للوجه البحرى ، وعلى اختيار « شعراوى » ممثلا للوجه القبلى وأيا كان التفســير الصحيح فان « على شعراوى » قام بدور هام فى الدعاية للوفد ، والدعاية لجمع التوكيلات للوفد ، والدعوة لمقاطعة لجنة ملنر فى الصعيد عامة وفى اقليم المنيا خاصة لما تتمتع به الأسرة من جاه وسلطان · وشهدت مديرية المنيا أثناء ثورة ١٩١٩ أحداث عنف هامة ضد قوات الاحتلال الانجليزى ·

الثورة والانقسام

ويرى البعض ان « على شعراوى » قد نال شهرته ودخل اسمه تاريخ مصر الحديثة الى جانب « سعد زغلول ، وعبد العزيز فهمى»، بفضل المشوار الذى صاحبهما فيه الى المعتمد البريطانى · ولكنه كما قلنا أدى دورا هاما للوفد وللثورة فى الصعيد ، وعندما اشتد الصراع بعد ذلك بين سعد وعدلى وانقســم الوفد الى متشددين ومعتدلين انحاز « على شعراوى » حسب طبيعته الى فريق المعتدلين، وكما كان لعلى شعراوى دوره فى حدود طبيعته وطاقته فى الثورة ، كان لزوجته وابنة خاله « هدى شعراوى » دورها أيضا وقد سجل هذا الدور الكتاب الأجانب و « عبد الرحمن فهمى » فى مذكرته وتولت « هدى » بمساعدة زوجات الوفديين (لجنة الوفد المركزية للسيدات) · شاركت فى كل المواقف الســياسية · وخرجت مظاهرات النساء ضد قوات الاحتلال · وكما خرج زوجهـــا على « سعد » خرجت هى أيضا سنة ١٩٢٢ وتركت (لجنة الوفد المركزية

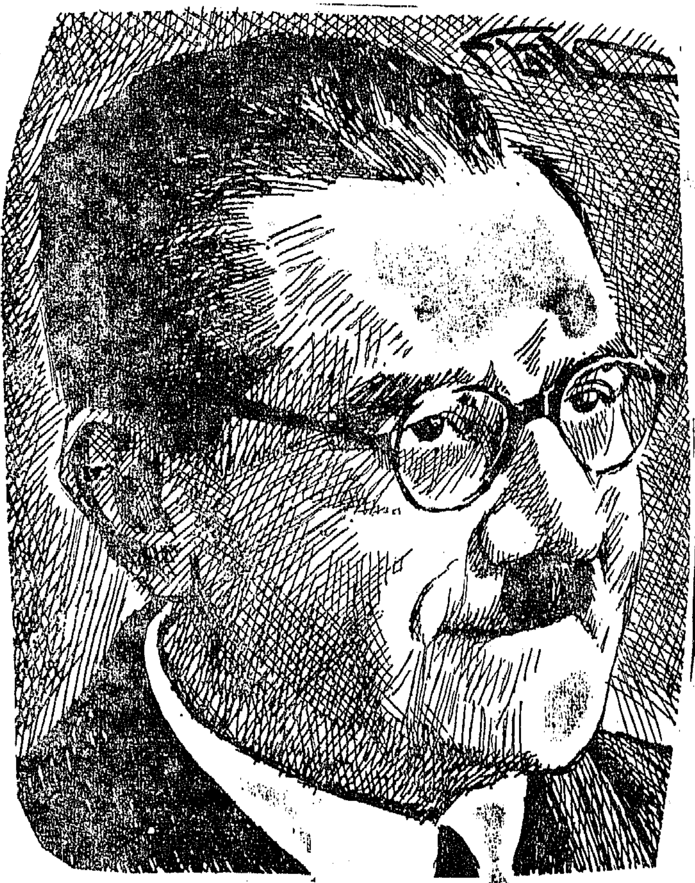
للسيدات) وكونت فى ١٦ مارس سنة ١٩٢٣ (الاتحاد النسائى المصرى (وتولت « السيدة شريفة رياض » رئاسة لجنة الوفد للسيدات • وكان « على شعراوى » بعد انسحابه من تيار سعد الى تيار الاعتدال انسحب من العمل السياسى كله ولجأ الى مزرعته المريحة واستمرت زوجته « هدى » فى العمل الاجتماعى وان تركت السياسة لأهل السياسة •

آثر الرجل السكينة والهدوء والراحة دون ان يدخل فى جدل أو فى صخب مع هذا التيار أو ذاك ، ولا مع هذا السياسى أو ذاك ، وترك ولدين الأول « حسن شعراوى » من زوجته الأولى ، والثانى « محمد شعراوى » من زوجته الثانية « هدى » ، وارتبط « محمد شعراوى » بالوفد حتى أصبح عضوا بمجلس الشيوخ ثم انعزل عن العمل السياسى وانصرف الى شئونه الخاصة التى اغرقته بمشاكلها •

وهذه هى سيرة رجل من مصر بكل مافيها من تقدم وتراجع، ومن ايجابيات وسلبيات •• ومنذ متى كانت الحياة تسير فى خط مستقيم ؟ !

أسانيد المقال

● آمال السبكى	الحركة النسائية فى مصر
● د• عفاف لطفى السيد	تجربة مصر الليبرالية (ترجمة عبد الحميد سليم)
● عبد العزيز فهمى	هذه حياتى
● د• لويس عوض	تاريخ الفكر المصرى الحديث
● محمد السوادى	اقطاب مصر بين ثورتين



الدكتور مصطفى مشرفة

● ما حقيقة الحزب السرى الذى شكله مشرفه ؟

● ١٩٣٢ مشرفه عضـوا باللجنـة التنفيذية لمشروع القرش ٠

● ١٩٣٦ اختـارته حـكومة الـوفد أول عميد مصرى لكلية العلوم ٠

شائعة ٠٠ تجاوز عمرها ثمانية وثلاثين عاما ٠٠ سرت صباح يوم الاثنين السادس عشر من يناير عام ١٩٥٠ ، بعد أن ارتشف الدكتور « على مصطفى مشرفة » ما شاء الله له أن يرتشف من شاى الصباح وصعدت روحه الى بارئها واقبل على بيته زملاؤه وتلاميذه من الجامعة ، واقبل أعضاء من مجلس النواب وقرروا ان يكون تشييع الجثمان يوم الثلاثاء السابع عشر من يناير ٠٠ وسرى همس بانه قتل ، وأن الجالس على العرش هو قاتله ٠٠ ولكن لماذا ؟ قال الهامسون ٠٠ ان الدكتور على مصطفى مشرفة كان يرأس مجموعة سرية من تلاميذه وأصدقائه ، هدفها اعلان الجمهورية بدلا من النظام الملكى ، وقال الناس وهم يستغربون الشائعة ٠٠ لم لا ؟ ان الملك فاروق لم يرسل مندوبا عنه فى تشييع الجنازة ! والدكتور مشرفة هو من هو وها هى الجامعة اساتذة وطلابا تشيع فقيدها العظيم ، وها هم اعضاء مجلس النواب الوفدى يتوافدون على الجنازة ، وهاهم كبار القوم وراء الجثمان ٠٠ جثمان عميد كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة لمرات اربع ، ولأربعة عشر عاما منذ أن اختاره على زكى العرابى وزير المعارف فى ٢٧ مايو ١٩٣٦ عميدا ، وذلك فى عهد حكومة الوفد « ٩ مايو ١٩٣٦ - ٣١ يوليو ١٩٣٧ » ٠

فى عهــد عمادته الأولى ، حصـــل على لقب البكويه بتأثير مصطفى النحاس على السراى ، ومع هذا لم يأبه الدكتور مشرفة بهذا اللقب ولم يكن يعنى به ، ولم يكن يستخدمه فى حياته العامة • وفى ١١ فبراير ســـنة ١٩٤٦ ، كان من المقـــرر أن يزور الملك عبد العزيز آل سعود جامعة فؤاد الأول ، وتصادف أن كان على باشا ابراهيم مدير الجامعة مريضا وأصبح الدكتور مشرفة مديرا للجامعة بالانابة وعليه أن يستقبل الملك عبد العزيز آل ســعود واضطرت السراى الى منحه رتبة الباشـوية كرئيس « مؤقت » للجامعـــة ويستقبل عاهل العربيـة السعودية • وأقبـــل الأهل والأســاتذة والتلاميذ عليه يهنئونه بالباشـــوية فاستنكر منهـــم ذلك معتزا بالدكتوراه لرجل العلم • ومن المحتمل جدا ان تكون أجهزة الرصد قد أبلغت كل ذلك فى حينه ، فزادت من شكوك القصر حول الدكتور مشرفة وحول اتجاهاته •

وكان مشرفة منتخبا وكيلا للجامعة لمدة ثلاث سنوات تنتهى فى ٢ ديسمبر من عام ١٩٤٨ ، وفوجىء بأن وزارة محمود فهمى النقراشى الثانيـــة (٩ ديسمبر ١٩٤٦ ــ ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨) أصدرت قانونا بأن يكون اختيار وكيل الجامعة بالتعيين ، وفى يونيو ١٩٤٨ صدر قرار باعفاء مشرفة من وكالة الجامعـــة وتعيين وكيل جديد لها •

وكان من المتوقع عندما يخلو منصب مدير الجامعة أن يكون من نصيب الدكتـــور مشرفة ، فهو أقدم العمداء ، وشـــغل منصب وكيل الجامعة لفترة ، بل انه شـــغل منصب مدير الجامعة بالانابة لفترة أخرى • ولكن الدكتور مشرفة لم يذهب للشكر عنـدما منح رتبة الباشــوية فى ١١ فبراير ١٩٤٦ ، وفوجىء فى ٢ ديسمبر سنة ١٩٤٧ بتعيين الدكتور ابراهيم شـــوقى مديرا للجامعة وهو

أحـدث منه فى العمـادة وفى الأسـتاذية ·· وكان القصر وراء هذا القرار ·

ولم يكن مشرفة ولا الذين يحيطون به غافلين عن موقف القصر الذى يقف له بالمرصاد · وحدث ان الحكومة الأمريكية اختـارت الدكتور مشرفة عضوا فى اللجنة الدولية للبحوث الذرية وعلى هذا دعته جامعة بريشتون استاذا زائرا لالقاء سلسلة من المحاضرات الى جانب عدد من مشاهير أساتذة علوم الرياضة والطبيعة فى العالم وفى مقدمتهم أينشتين وفى ٣٠ مارس سنة ١٩٤٧ وافق مجلس الوزراء على سفر الدكتور مشرفة الى لندن على ان تتحمل الحكومة المصرية نفقات السفر الى لندن ، وأن يسافر الى سويسرا على أن يتحمل هو نفقات السفر الى سويسرا ، ثم يسافر الى أمريكا على نفقة الحكومة الأمريكية · وفى ٢ ابريل أبلغه الدكتور عبد السلام الكردانى سكرتير عام الجامعة ان مولانا ألغى قرار مجلس الوزراء بندبه أستاذا زائرا لجامعـة بريشتون · ولكن مشرفة سـافر الى انجلترا والى سويسرا وأرسـل الى أهله يطلب مالا فحالت دون ارساله عقبات كثيرة ، فعاد من سويسرا دون ان يسافر الى أمريكا وخسرت مصر فرصـة مهمة فى ان يمثلهـا أسـتاذ الى جانب أساتذة العالم ·

كانت مواقف القصر من الدكتور مشرفة معروفة ، وهى كلها تدل على أن القصر كان يضع الدكتور فى خانة الأعداد الذين يتعقبهم، كما كانت استهانة الدكتـور بالجالس على العرش معروفة لدى تلاميذه وأصدقائه ولكن ما مدى صحة تكوين مجموعة سرية تعمل على اعلان الجمهورية ؟ فى حين أنه لم يعرف عن مشرفة انه منضم الى حزب من الأحزاب ؟ على الرغم من صداقته لعدد من السياسيين

فى مقدمتهم مصطفى النحاس ومكرم عبيد ، وأحمد ماهر وأحمد لطفى السيد .

الشائعة .. لم تزل تحوم فوق الرءوس .. والأمر مطروح لكل من لديه معلومة تضىء الطريق .. ولا نريد أن نغلق هذه النقطة دون ان نشير الى انه فى ١٥ أغسطس ١٩٥٢ وجدت جثة الدكتورة سميرة موسى « تلميذة الدكتور مشرفة » داخل سيارتها ولم تزل الشكوك القوية تحوم حول أصابع الصهيونية ، فهل يمكن توجيه الاتهام الى الصهيونية باغتيال أستاذ جيل مصرى من العلماء «جمال الفندى وأحمد حماد وعبد المعبود الجبيلى وعبد العظيم أنيس » ؟ ولم لا ، سيما أن نفوذ اليهود فى مصر كان واضحا ؟ فلماذا لا تكون هذه العناصر فى مصر قد استغلت ما هو معروف عن كراهية القصر للدكتور على مصطفى مشرفة وأجهزت على حياته وهو فى الثانية والخمسين من عمره .. ؟ « ولد فى دمياط فى ١١ يوليو ١٨٩٨ م » .. الأمر كله لم يزل مطروحا ، وصفحات تاريخ مصر الحديث لم تزل مفتوحة ، وان كانت الأدلة حتى الآن ضعيفة .

مشروع القرش

حصل مشرفة على دبلوم مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩١٧ م وسافر الى انجلترا فى بعثة للحصول على « بكالوريوس الرياضة »، وقامت الثورة الشعبية الكبرى فى مارس ١٩١٩ ورغب فى العودة من انجلترا للمشاركة فى الثورة ، ولكنه بقى ليحصل على بكالوريوس الرياضة سنة ١٩٢٠ ، وعرف فى انجلترا بنشاطه الوطنى بين المصريين لتأييد الحركة الوطنية فى مصر .

وفى مصر يبدو انه لجأ الى النشاط الاجتماعى دون النشاط

السياسى ، فيلتقى بتلاميذه وزملائه وأصدقائه فى بيته يحدثهم عن الحياة الجامعية وكيف تكون • وامتدت علاقاته الى الطلاب أبنـــاء الدول العربية والافريقية • عرف بالحيدة والموضوعية والانسانية فى سلوكه وتعامله مع الناس ، وحب الحرية وانحيازه للديمقراطية وحبه لوطنه الى أبعد الحدود •

وقد أسهم الدكتور على مصطفى مشرفة بدور مهم فى « مشروع القرش » • وكان أحمد حسين قد لجـأ الى نشر فكرة المشروع فى أواخر عام ١٩٣١ فى أوساط الطلبة بالجامعة والمدارس العليا وعلى صفحات الصحف ، ومع بداية العام الجامعى تولى عميد كلية الطب فى ذلك الوقت الدكتور على ابراهيم باشا ومدير الجامعة فيما بعد ، تولى رئاسة اللجنة التنفيذية للمشروع • وكانت اللجنة قد اتخذت من نادى الجامعة بميدان الأوبرا مقرا لها ، وقد ضمت كلا من الدكتور على ابراهيم رئيســـا ، والدكتـــور عبد الله العربى ، والدكتـــور على حسن وكيلين ، والدكاتـــرة مصطفى مشرفة ، وعبد الرازق السنهورى ، وعلى بدوى وزكى عبد المتعال والأستاذ أمين الخولى مراقبين ، وعضوية كل من •• نعيمة الأيوبى وكمال الدين صلاح وعبد الخالق فريد ، وأحمد حسين ، وفتحى رضوان ، وعبد القادر عودة ؛ ومنير القاياتى ، وعبد الرحمن الصدر ، ونور الدين طراف ، وحنا مرقص ؛ ويحيى العلايلى ، ومصطفى الوكيل ، ومصطفى ملوك، وابراهيم عبده ، ومحمد زكى ، ومدحت عاصم ، وصالح عوضين ؛ وحسين حافظ ، وأمانة الصندوق أســـندت الى داود راتب وأعمال السكرتارية ، أسندت الى كل من أحمد حسين ، وفتحى رضوان ، ومدحت عاصم •

وقد حرصنا على تسجل جميع الأسماء التى عمل معها مشرفة فى ذلك المشروع فى يناير ١٩٣٢ وقد تحدد أول فبراير ١٩٣٢ لبدء

الاكتتاب للمشروع • ثم استقال أحمد حسين من سكرتارية المشروع وحل محله كمال الدين صلاح وذلك بعد اعلان قيام « جماعة مصر الفتاة » فى أكتوبر ١٩٣٣ • ولكن وثائق مشروع القرش ووثائق جماعة مصر الفتاة لم تدلنا على انضمام مشرفة الى جماعة مصر الفتاة•

الطفولة والتحدى

الذين يعرفون أسرة مشرفة فى مدينـــة دميـــاط يقولون : ان على مصطفى مشرفة ولد كبيرا ولم يولد طفلا • ويقصدون انه لم يلعب مثلما لعب أقرانه من الأطفال ، وكان يريد ان يكون دائما فى أول الصف • ولد فى ١١ يوليو سنة ١٨٩٨ م ، وسنة ١٩٠٧ م داهمت الأسرة أزمة مالية أودت بكل ما تمتلكه ، وقبل أن يؤدي الصبى مشرفة امتحان الشهادة الابتدائية «١٩١٠» بشهور توفى والده ، وبعد أن حصـل على الشهادة الابتدائية انتقلت الأسرة الى القاهرة ولكن مشرفة التحق بمدرسة ثانوية بالاسكندرية بالمجان ثم انتقل الى القاهرة حتى حصـل على البكالوريا ســنة ١٩١٤ م وتوفيت والدته قبل الامتحان بشهرين • والتحق بمدرسة المعلمين العليا ، وسافر فى بعثة الى انجلترا وحصـل على البكالوريوس فى الرياضة سنة ١٩٢٠ • وبقي فى انجلترا وحصل على الدكتوراه فى فلسفة العلوم سنة ١٩٢٣ ، وأصبح عضـــوا فى الجمعية الملكيـة البريطانية • ودفعه التحدى الكامن داخله منذ معاناة الطفولة ورحيل الأب والأم والمأساة الاقتصادية ، الى محـــاولة أن يثبت وجوده ، فأخذ ينشر بحوثه العلمية فى المجلات المتخصصة ، وأصبح من فريق المحاضرين فى الجمعية الملكية البريطانية • وبعد أن عاد الى مصر كان اهتمامه أن يعود الى انجلترا ليحصل على الدكتوراه فى العلوم ووفقه الله الى ما أراد ، وسافر مرة ثانية واجتاز الامتحان فى يناير ١٩٢٤ ، وعاد الى مصر فى فبراير يحمـل الدكتوراه فى العلوم •

وأصبح الدكتور علي مصطفى مشرفة العالم الحادي عشر في العالم الذي يحصل على الدكتوراه في العلوم ، وأول مصري يحصل عليها .

وحاربه الانجليز ورفض طلبه في وظيفة أستاذ لعلم الطبيعة في مدرسة الطب . وعينه أحمد لطفي السيد مدير الجامعة المصرية سنة ١٩٢٥ أستاذا مساعدا في كلية العلوم . ولكن مشرفة كان يرى أنه أحق بوظيفة أستاذ ، فلجأ الى أحد أعضاء مجلس النواب الوفديين وكان سعد زغلول رئيسا للمجلس ، فأثير الموضوع وأصدر علي ماهر وزير المعارف قرارا بتعيين الدكتور مشرفة أستاذا للرياضة التطبيقية في كلية العلوم سنة ١٩٢٦ ، وكان بذلك أول مصري في هذا المنصب . كان الطريق مليئا بالأشواك ، وكان هو نموذجا للاصرار والتحدي ، واختير في اكتوبر ١٩٣٠ وكيلا لكلية العلوم حتى عام ١٩٣٦ وهو العام الذي اختارته فيه حكومة الوفد عميدا ، رغم انه لم يكن الحائز على أكثر الأصوات ولكنه كان أقدم الأساتذة في كلية العلوم ، وأصبح بذلك أول عميد مصري لكلية العلوم .

أعلام الترجمة

واذا كان الدكتور علي مصطفى مشرفة في مكان الريادة العلمية ، فانه كذلك علم من أعلام الترجمة في مصر في القرن العشرين وذلك الى جانب أحمد فتحي زغلول وأحمد لطفي السيد وطه حسين وعباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازني ومحمد بدران وزكي نجيب محمود ومحمد عوض محمد وعبد الوهاب عزام ومحمد حسين هيكل وأحمد الصاوي محمد ومحمد مندور ولويس عوض وغيرهم ، وكان صديقا لأحمد لطفي السيد والدكتور طه حسين ، وقد اشترك مع الدكتور طه وآخرين في كتاب « الحياة والحركة الفكرية في بريطانيا » .

وقد أســـهم مشرفة فى الحركة الفكرية المصرية بريادته فى تخصصه وببحوثه واكتشافاته ، وبتأسيسه للجمعيات المتخصصة ، ومشاركته فى مجمع الثقافة العلميـــة ، ومراكز البحوث . حتى الموسيقى أســهم فى اثرائهـــا بتأسيس « الجمعية الموســـيقية » بالاشتراك مع محمود الحفنى ، وأبو بكر خيرت ، ووديع فرج ، وتولت لجنـــة من هذه الجمعية بترجمـــة الأوبرات العالميـــة الى اللغة العربية .

وقد اهتم مشرفة بالتأليف العلمى والترجمة العلمية ، فأنشأ قسما للترجمة العلمية فى كلية العلوم لترجمة الكتب العلمية العالمية الى اللغة العربية ، وقد وضع مشرفة عام ١٩٣٨ « القاموس العلمى » بالاشتراك مع محمد عاطف البرقوقى . وكان يرى جواز استعمال المصطلح الأجنبى فى اللغة العربية بعد تعديله على نحو يتفق وأوزان اللغة شريطة أن يكون مستخدما فى جميع اللغات العلمية الأخرى أو فى غالبيتها . أما اذا كان المصطلح الأجنبى مقصـــورا على لغة أجنبية أو اثنتين ، فمن الضرورى أن يـكون عنـدنا لفظ عربى . وكان على مقدرة فى أن يترجم الأفكار العلمية الى صياغة أدبيـــة رفيعة ، وكان ماهرا فى أختيار اللفظ وانتقاء العبارة .

وعنى بتقريب العلم للناس وتجد هذا فى كتبه « مطالعات علمية ، والعلم والحياة ، ونحن والعلم ، والذرة والقنابل الذرية » . وقد اختاره مجمع اللغة العربية خبيرا للجنة المصطلحات العلمية مع مصطفى نظيف ومحمود توفيق حفناوى ، وأحمد زكى .

وقـد حرصت الصحف الخاصـــة والصـحف الحزبية أن تستكتب مشرفة لجاذبية مادته واشراق عبارته وحداثة فكرته . وكتب للأهرام والجديد والمقتطف والجهاد .

حدثني تلميذه (١٩٣١ ـ ١٩٣٥) العالم المعروف الدكتور جمال الدين الفندى عن شخصية الدكتور مشرفة الفذة ٠٠ قال فى امتحان البكالوريوس طلب اختيـــار ٧ أسئلة من ٩ ، فأجاب الفندى على الأسئلة التسعة فمنحه ١١٧ درجة من ١٠٠ ونشر له صورته فى الصفحة الأولى بجريدة الأهرام ٠٠ وهكذا الانســـان الذين تتلمذوا على يديه ٠٠

عود على بدء

ونعود الى سطورنا الأولى ٠٠ احتمال مقتل مشرفة ، ان لم يكن من القصر فلم لا يكون من جهة أجنبية تكره لمصر أن تسير على طريق العلم ، وتكره للعرب أن يكون العلم طريقهم ؟ لا أريد أن أدخل فى تعقيدات علميـــة ، ويكفى أن أقول انه ســـنة ١٩٢٩ نشر « مشرفة » فى الدوريات العالميـة بحوثا ، توجها ببحث خطير سنة ١٩٣٢ ، أعقبه ببحث آخر سنة ١٩٤٢ ، وبحوث فى سنوات ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ ، ١٩٤٨ تتصل اتصـالا وثيقا بنتائج مهمة فى العلوم الذرية والنووية ، ثم انتقل الى الجانب التطبيقى ، فدعا الى البحث عن اليورانيوم فى الصحراء الشرقية ٠ وظل ينادى بضرورة عناية الدول العربية بالعلم ، واقامة الندوات العلمية بين الدول العربيـــة ٠

واهم التوجهات لديه هو اعتقاده بأن العلم هو السبيل الى التقدم والى حل المشكلات ٠ ومن أجل هذا حرص على أن يتحرك جيل من العلماء يكملون المسيرة من بعده ٠ ولكن العدو لم يكن غافلا عن هذه الحقيقة ، فخلال عقد أو عقدين من رحيل مشرفة مات من مات وقتل من قتل من تلاميذه علماء مصر ٠ وقد ركزوا جميعا على الاهتمام المصرى بالذرة وخاصة أن اليورانيوم موجود فى الصحارى

المصرية . ومصر على رأس عدد كبير من الدول العربية والاسلامية.
لقد رحل العالم الكبير ، ورحل عدد من تلاميذه وترك لنا حسبما سجله الدكتور محمد محمد الجوادى فى كتابه عنه «الدكتور مشرفة بين الذرة والذروة» وهو أشمل ما كتب عنه ، ترك مشرفة خمسة كتب له ، وأربعة كتب بالاشتراك مع أساتذة آخرين ، وستة كتب دراسية بالمشاركة و ٥٣ مقالا ، و ٢٠ حديثا اذاعيا وصحفيا ، و ٢٥ بحثا علميا باللغات الأجنبية نشرت فى دوريات أجنبية .. رحم الله الدكتور مشرفة .

أسانيد المقال

- احمد عصام الدين — حركة الترجمة فى مصر
- د. جمال الدين الفندى — حديث شخصى ١٩٨٨/٧/١١ .
- د. على شلبى — مصر الفتاة (ودورها فى السياسة المصرية)
- د. على مصطفى مشرفة — العلم والحياة
- د. محمد محمد الجوادى — مشرفة بين الذرة والذروة .



عبد اللطيف المكباتي

- ١٩١٤ عضوا بالجمعية التشريعية ورفض أطماع الخديو فى الأوقاف •
- ١٩١٨ عضوا بالوفد الأول برياسة سعد زغلول•
- ١٩٢١ عارض سعدا بصراحه فأسموه المدباتى •

كانوا سبعة رجال من مصر ، شكلوا ما عرف فى التاريخ المصرى الحديث بالوفد الأول او المجموعة الأولى للوفد « سعد زغلول ، على شعراوى ، عبد العزيز فهمى ، احمد لطفى السيد ، محمد محمود ، على علوبة ، وعبد اللطيف المكباتى » •

وهذا التشكيل نتيجة جهد من جانب « سعد زغلول » الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية بعزبته بمسجد وصيف ، وبيته الذى أطلق عليه « مصطفى الشوربجى » عضو الحزب الوطـــنى عبارة (بيت الأمة) وتميزت جهود سعد بالسرية والكتمـــان حتى ضاق بهذه السرية « على ماهر ومصطفى النحاس » وذهبا يشكوان سعدا لزميله « عبد العزيز فهمى » ولما وثق بهما الرجال طمأنهما الى جهود سعد ، وتصديه للكفاح من اجل استقلال البلاد ولكنه يلجـــأ الى التحفظ والتمويه حماية للحركة فى مهدها •

وعبد اللطيف المكباتى ، على نقيض ذلك تماما ، لا يعرف كيف يخفى سرا ، ما فى قلبه على لسانه ، واضح وصريح ، ولا يعرف فى امور السياسة الا الوضوح والصراحة ، فاطلق عليـــه زملاؤه عبارة (المدباتى) •• وهكذا عرف باسم عبد اللطيف المدباتى !! •

كان يزهد فى الشهرة • ولم يسع للأضواء ، فلم تسلط عليه الأضواء ، فكان اقل الساسة الأول شهرة ، ولا يكاد يعرفه احد من الجيل الجديد ، بل والجيل الوسيط ايضا ، من اجل هذا نكتب عنه بعد ان كتبنا عن زملائه الستة فى (الوفد الأول) •• سعد زغلول رئيس الوفد وزعيم الأمة ، وعلى شعراوى عضو الجمعيــة التشريعية ووكيل الوفد وأمين الصندوق فى الفترة الباكرة ، والفقيه القــانونى عضو الجمعية التشريعية عبد العزيز فهمى ، والمفكر والكاتب والمترجم مدير المكتبة السلطانية احمد لطفى السيد ، ثم ابن من عرض عليه الملك فابى ، ابن محمود باشا سليمان زعيم حزب الأمة ، محمــد محمود ، والسادس هو آخر من ضمه سعد الى الوفد الأول والذى سعى الى سعد مرات كثيرة واستدعاه سعد فى مســاء ١٣ نوفمبر ١٩١٨ للحضور الى منزله صباح ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، ونعنى به (محمــد على) الذى عرف فيما بعد بمحمد على علوبة ـ ذهب الى بيت سـعد وكان « سعد زغلول وعلى شعراوى وعبد العزيز فهمى » يتاهبــون للذهاب الى مقابلة « السير ونجت » فى تمام الساعة الحادية عشرة •• يبقى لنا اذن الرجل الذى ابتعد عن الأضواء ، وابتعدت الأضــواء عنه ، والذى انكسرت نفسه بعد أن راح ابنه ضحية غلطة قدرية ، ومات غريقا أمام عينيه فى راس البر ، وانزوى الرجل حتى رحـل عام ١٩٢٤ •

السياسة والأخلاق

كان « المهندس أحمــد عبــده الشرباصى » يتحــدث عن « عبد اللطيف المكباتى » على انه شخص لم يجد تاريخ مصر الحديث بمثله ، وبأفكاره وبسلوكه حتى أصبح « المهندس الشرباصى » نسخة مكررة من ابن خاله « المكباتى » فى الفكر وفى السلوك وقد كتب « الشيخ مصطفى عبد الرازق » وهو من عرف باستقامة الفكر ونزاهة القصد فى جريدة السياسة : الأحد ٢٠ ربيع الأول ١٣٤٣ هـ ـ ١٩ أكتوبر ١٩٢٤ م كتب يقول •

فى سنة ١٩١٣ سمعنا ان قاضيا من ذوى الكفاية والخلق ، قد استقال من منصبه ليضع مواهبه السامية ومطامح نفسه الكبيرة فى خدمة أمته فى الجمعية التشريعية . ولم يكن لأعضاء الجمعية التشريعية راتب ذو شأن ولا امتيازات مغرية من أجل ذلك شعرت البلاد بتقدير العاطفة النبيلة فى نفس هذا النائب الشاب ثم جعلت مواقفه فى الجمعية التشريعية تكشف عن فضله حتى صار أحد أولئك الأفراد الذين يشار اليهم بالبنان من بين أعضاء الجمعية ، باعتبارهم قادة الحركة وأهل الرأى ولعله كان أحدثهم سنا .

كنا فى ذلك العهد شبابا فى معاهد العلم ننظر باعجاب وفخر الى وثبات عبد اللطيف المكباتى فى ميدان المجد والشرف ولم يكن الشباب فى عهدنا هو الذى يضع موازين الرجال ولكن مع ذلك كان يرقب بعناية وروية كيف تبنى الأمة المجد الصحيح لابنائها وكنا نفهم ان خير مجد الرجال ما يقوم على فضائل الأخلاق. فلما برزت شخصية المكباتى ممتازة بالصراحة والشجاعة والأخلاق عرفنا سر عظمته ، فان هذه الفضائل لا تكون الا للنفوس الكبيرة وهى عزيزة خصوصا فى الأمم الناهضة من عثار طويل .

ثم جاءت النهضة الوطنية ، وكان من زعمائها منذ فجرها الأول وظل عنصرا فعالا من عناصرها الطيبة ممتازا بصدق عزيمته ..

كانت شمائل عبد اللطيف المكباتى شمائل قوة يحيط بها النبل من جميع جهاته ، صريح فى وطنيته ، صريح فى جهاده ، صريح فى صداقته ، صريح فى عداوته ، وكانت مخايل عظمته الخلقية تلوح فى مظاهر هيكله الجسمانى .. جسم ممتلىء وافر ، من غير أن يسرف فى ضخامة ولا طول مع تناسب الأعضاء وقوة.

العقل ونشاط الحركة وعينان فى بريقهما ذكاء وفطنة يفيضان نورا وبشرا وقد يقدحان نارا وشررا ، ينطلق فى مشيته بخطا مطمئنة من غير فتور ، مشرقا عالى الرأس ، فصيح اللهجة من غير تكلف ، فى صوت واضح سليم الرنة قوى التأثير ٠

ولقد عصف الموت به من غير نذير ، فهدم به صرحا رفيع العماد ، واذوى أملا نضيرا من آمال البلاد ٠

انتهت هذه الصورة القلمية التى رسمها « الشيخ مصطفى عبد الرازق لعبد اللطيف المكباتى وكان المهندس الشرباصى عندما يتحدث عن ابن خاله المكباتى ويستوقفه الحضور ويحسبونه مغاليا بفعل صلة القربى يستشهد بما كتبه الشيخ مصطفى عبد الرازق فى تأبين المكباتى فى شهر رحيله أكتوبر ١٩٢٤ ٠

الجمعية التشريعية

وفى بيانات الجمعية التشريعية انتخابات ١٣ ديسمبر ١٩١٣ نجد اسم عبد اللطيف المكباتى بك مع حسين هلال بك وعثمان سليط بك ومتولى نور بك عن مديرية الدقهلية الى جانب أسماء عديدة من مدن مختلفة ٠٠ « سعد زغلول باشا » وعبد الخالق مدكورباشا وحسين واصف باشا ، ومحمد يكن باشا وعبد السلام العلايلى بك ومحمد فتح الله بركات بك و عبد العزيز فهمى بك ، ومحمد علوى الجزار بك ومحمد أبو حسين باشا وعبد اللطيف الصوفانى بك ، والشيخ محمد حسن عزام ومحمد رشوان الزمر أفندى ، وحمد الباسل بك ، وعلى شعراوى باشا ، ومحمد على علوبة بك ؛ ومحمد محفوظ باشا ، وعمر عبد الآخر بك ، ومحمد أمين أبو سنيت بك ، وأحمد مظلوم باشا ، وعدلى يكن باشا؛ سينوت حنا بك ، وكامل صدقى بك المحامى والشيخ محمد شاكر

وأمين سامي باشـا وعديد من الأسماء الأخرى التي لمعت في سماء الحركة الوطنية .

وعين « أحمد مظلوم باشا » رئيسا للجمعية التشريعية ، وعدلي يكن باشا وكيلا لها وكان « سعد زغلول باشا » هو الوكيل المنتخب .. وعندما ثار الخلاف بين « سعد » الوكيل المنتخب ، و « عدلي » الوكيل المعين حول تولي رئاسة الجمعية في حالة غياب الرئيس .. انحـاز « عبد اللطيف المكباتي » العضو المنتخب ، و « سينوت حنا » العضو المعين الى صف « سعد زغلول » وتولى المكباتي رئاسة لجنة الأوقاف في الجمعية التشريعية وكان الخديو « عباس حلمي الثاني » هو المشرف على أوقاف المسلمين ، وكانت شهيته مفتوحة لابتلاع خيرات الأوقاف ، واستدعى « المكباتي » لمقابلتـه لكن « المكبـاتي » رفض ان يذهب لأنه يعلم نتـائج المقابلة مقدما ..

وعلى اية حال فان تجربة (الجمعية التشريعية) التي قامت على أسـاس دسـتور (أول يوليـو ١٩١٣) الذي أعده (حسين رشدي باشا) وزير الحقانية بالاتفاق مع « كتشنر » ووقعه « الخديو عباس حلمي الثاني » وهو يصطاف في باريس ، هذه التجربة فشلت فقد أفرزت الانتخابات عناصر لا تساير رغبات الانجليز .. وكان على رأس هذه العناصر الوكيـل المنتخب « سعد زغلول » .. ولهذا تأجل افتتاح الدورة الثانية التي حل موعدها في أول نوفمبر ١٩٠٤ (بدأت الدورة الأولى في ٢٢ يناير ١٩١٤) ثم تأجل انعقاد الجمعية الى أجل غير مسمى « وأعلنت الهدنة في ١١ نوفمبر ١٩١٨ .

فى ٨ يناير ١٩١٨ ألقى « ولسون » رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى « الكونجرس » خطابا طويلا عن الحرب العالمية الأولى

وعن الأسباب التي دعت أمريكا لخوض غمارها ودعوته لسلامة أراضى الأمم الصغرى .. وفى ظل هذا المنـــاخ كان سعد زغلول يسعى سرا وعلانية لتكوين الوفد وفى مقدمة الذين تشاور معهم عبد اللطيف المكباتى وزملاؤه أعضاء الجمعية التشريعية وفى الساعة الحادية عشرة من صباح ١٣ نوفمبر ١٩١٨ م قابل نــواب الأمة الثلاثة سعد زغلول وعلى شعراوى وعبد العزيز فهمى ونجت باشا المعتمد البريطـــانى فى دار الحمـــاية ثم تألف الوفـــد المصرى سعد زغلول رئيسا ، على شعراوى عبد العزيز فهمى محمد محمود ، أحمد لطفى السيد عبد اللطيف المكباتى . محمد على أعضاء وبعد ذلك وضعوا للوفد قانونا يجرى العمل بمواده وتصدق عليه يوم ٢٣ نوفمبر ١٩١٨ ورأى الوفد ان يكون فى يده (توكيل) بالمطالبة بحقوق مصر فى تقرير مصـــيرهـــا وبالســـعى فىسبيل حريتهـــا واستقلالها . ولاعضاء الوفد السبعة ان يضموا اليهم من يختارون . وقد طبع التوكيل وتناوله الناس يوقعون عليه ، وتوالى ضم الأعضاء للوفد وقد حـــاول نفر من (الحزب الوطنى) تشكيل (وفد) آخر وصرف النظر عن المحـــاولة نظرا لانضمام عدد من شباب الحزب الوطنى للافد أمثال « مصطفى النحاس وحافظ عفيفى وأمين الرافعى وعبد الرحمن الرافعى ومحمد عبد اللطيف دراز » وتمت محاولة أخرى لتشكيل وفد حكومى برئاسة «حسين رشدى» رئيس الوزراء ومعه « عدلى يكن » وزير المعارف وفشلت هذه المحاولة ايضا وقدم « حسين رشدى » استقالته .

وبدأ الوفد حملة مكاتبات لولسون ورئيس الوزراء البريطانى

وللمعتمد البريطانى وممثلى الدول الأجنبية وحملة موازية لتوسيع نطاق الوفد وشحن الشعور الوطنى خلف الوفد ، وعدد من المكاتبات للسلطان وردت السلطات العسكرية البريطانية باعتقال رئيس الوفد « سعد زغلول » ومعه « محمد محمود وحمد الباسل واسماعيل صدقى » فى ٨ مارس ١٩١٩ ولم تكد تبزغ غزالة يوم ٩ مارس حتى كان نبأ القبض على رئيس الوفد وثلاثة من أعضائه قد انتشر فى ربوع مصر ، وبدأت الثورة الشعبية الكبرى وتحمل العبء من بقى بعد الاعتقال من أعضاء الوفد ومنهم بالطبع«عبد اللطيف المكباتى ونجد توقيعه على « النداء الى الامة المصرية » الذى وقع عليه شيخ الجامع الازهر ومفتى الديار المصرية ، وبطريرك الأقباط ورئيس الوزراء ورئيس الجمعية التشريعية والوزراء ورجال الحزب الوطنى ورجال الوفد ، ذلك النداء الذى ناشد الناس تجنب الاعتداء على طريق المواصلات والأملاك والأنفس ، وكان النداء بتاريخ ٢٤ مارس ١٩١٩ وواقع الأمر أن الأعمال الثورية كانت قد بدأت تخف حدتها وفى ٣٠ مارس قدم الوفد المصرى بيانا للمندوب السامى شرح فيه عدالة القضية الوطنية وطلب بمساواة مصر بالأمم الأخرى التى نالت استقلالها .. وقع على هذه المذكرة حسب ترتيب التوقيعات فى الأصل الفرنسى « على شعراوى » عبد العزيز فهمى ، أحمد لطفى السيد محمد على سنيوت حنا ، محمد أبو النصر جورج خياط حافظ عفيفى ، عبد اللطيف المكباتى ، مصطفى النحاس .

وفى ٧ ابريل ١٩١٩ أعلن « المندوب السامى » الافراج عن سعد باشا ورفاقه ، وأعلن السماح لاعضاء الوفد بالسفر الى أوروبا واعتزم أعضاء الوفد السفر فى ١١ ابريل واجتمعوا بمنزل على شعراوى لاختيار اللجنة المركزية للوفد ، وسافر الأعضاء الى أوروبا ومن بينهم « عبد اللطيف المكباتى » لتبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ الوفد قام فيه « المكباتى » بدور هام .

من أطرف الصور التى توضح شخصية « المكباتى تلك التى سجلها محمد كامل سليم فى مذكراته عن أيام الوفد فى أوروبا كان « ملنر » قد قدم مشروعا اعتبره سعد حماية تحت اسم استقلال ، ورأى فيه الفريق المعارض لسعد غير هذا الرأى ٠وحسما للخلاف رأى الوفد فى ١٨ أغسطس ١٩٢٠ أن يرسل الى مصر عبد اللطيف المكباتى وأحمد لطفى السيد ومحمد محمود ، وعلى ماهر على أن ينضم اليهم فى مصر مصطفى النحاس وويصا واصف وحافظ عفيفى ويقومون بعرض المشروع على الأمة بأسلوب محايد ، الا أن « على ماهر » رأى فى مصر أن يكون العرض بطريقة تغرى الناس بقبول المشروع ورد سعد برسالة حادة الى على ماهر والأعضاء بأن المشروع ظاهره الاستقلال وباطنه الحماية ٠ وأخذت جرائد لندن وجرائد باريس تنشر العناوين التى ترضى كبرياء المصريين مصر تحقق أمانيها الوطنية ٠٠ نجاح الوفد فى مهمته ٠٠ استقلال مصر وأيد أحمد لطفى السيد ومحمد محمود عبد اللطيف المكباتى « المشروع » والتزم مصطفى النحاس وحافظ عفيفى وويصا واصف الحياد ووقع سعد فى أشد حالات الكرب والحزن وانقاذا للموقف حدد سعد عددا من التحفظات يرى ضرورة اقرارها فى المفاوضات وهى : الغاء الحماية بنص صريح ، تنفيذ المعاهدة عقب التصديق عليها ، ضمان اعطاء مصر الماء الكافى من النيل ، تسوية مسألة السودان ٠٠

وأدرك سعد ان مناورة الذين عرضوا المشروع نجحت وأصبحت الغالبية تميل الى قبول المشروع ٠٠ وفى ٢٠ أكتوبر عاد المندوبون الأربعة ومعهم ويصا واصف وحافظ عفيفى ومصطفى النحاس الذى كشف اسلوب المندوبين فى تأييد المشروع عند عرضه

على الهيئات المختلفة • وبعد جلسات متعددة من المفاوضات وضح للفريق المؤيد للمشروع أنه لافائدة طالما « سعد هو الذى يرأس وفد المفاوضات واتجهت نيتهم الى أن يكون « عدلى » هو رئيس وفد المفاوضات وأغرقوا الاجتماعات فى محاورات ومناورات ومندورات وهنا تقدم الصورة التى سجلها محمد كامل سليم لشخصية المكباتى ٢٣ نوفمبر ١٩٢٠ ـ قال المكباتى المدباتى فى صراحة عجيبة انهم يريدون تنحية الرئيس سعد عن المفاوضات فلا يعالجها فى المستقبل وانهم يريدون أن يتولى أمر المفاوضات عدلى ومن يختارهم وقال ضاحكا لقد حاولنا تهدئة سعد وزعمنا أننا على رأيه ولا نريد دخول المفاوضات الا بعد قبول التحفظات لكن سعد (ثعلب) لم ينخدع بما قلناه •

هكذا كانت المؤامرة ، كشف عنها « المكباتى » ولكن « الثعلب سعد » قطع المفاوضات وعاد « عدلى « فى مارس ١٩٢١ ليرأس الوزارة ويشكل وفد المفاوضات وعاد سعد فى ابريل ليستقبل استقبال الأبطال وتفشل المفاوضات ويقدم عدلى استقالته وفى ٢٩ ديسمبر ١٩٢١ كان سعد وعدد من زعماء الوفد فى الطريق الى « سيشل » فيما عرف بالاعتقال الثانى •

الانشقاق الكبير

كان « المكباتى » والمعارضون لسعد قد عادوا الى مصر فى ٢ يناير عام ١٩٢١ ، بالاتفاق مع « عدلى بطبيعة الحال الذى عاد كما عرفتنا فى مارس عام ١٩٢١ ليرأس الوزارة وليرأس وفد مفاوضات كان من أعضائه « عبد اللطيف المكباتى » الذى استدعاه من لندن « عبد العزيز فهمى » للاعداد لحزب جديد ! وكان الاستدعاء فى ٣٠ أغسطس ١٩٢١ وكان المكباتى قد قدم استقالته

من الوفد ومعه عدد آخر فى ٢٨ ابريل عام١٩٢١ . وفي صيف١٩٢١ أنشأ الخارجون على الوفد جمعية مصر المستقلة لمساندة عدلى فى وزارته ومفاوضاته وحصل حافظ عفيفى على امتياز اصدار جريدة السياسة ووقفت حكومة عبد الخالق ثروت خلف الجمعية والجريدة والمجموعة التى تمهد لحزب جديد فى مواجهة الوفد وتم التأسيس الفعلى لحزب الأحرار الدستوريين فى ٣٠ أكتوبر ١٩٢٢ برئاسة عدلى يكن ومدحت يكن ومحمد محمود وكيلين ومحمد على سكرتيرا وابراهيم الدسوقى أباظة سكرتيرا مساعدا وعبد اللطيف المكباتى أمينا للصندوق وبعرض سيرة المكباتى نكون قد قدمنا أعضاء الوفد الأول السبعة سعد زغلول على شعراوى عبد العزيز فهمى ، وأحمد لطفي السيد ومحمد محمود ، ومحمد على وعبد اللطيف المكباتى ورحم الله الجميع ..

اسانيد المقال :

- عبد الرحمن فهمى (مذكرات) تحقيق باشراف د. يونان لبيب رزق .
- على عبد الرازق (من آثار مصطفى عبد الرازق)
- د. فرج الشرباصى مع المهندس احمد عبده الشرباصى
- د. لويس عوض تاريخ الفكر المصرى الحديث
- ماريوس ديب الوفد وخصومه (ترجمة عبد السلام رضوان)
- محمد على علوبه (ذكريات) تحقيق باشراف د. عاصم الدسوقى)



الدكتور محمد بلال

- طالب الطب الذى رفض وظيفة رفيعة بالقصر !
- القمصان الزرق .. بلال قائدها .. والرافعى شاعرها .. ومحمود لبيب مدربها .
- بلال أخفى جثمان « عفيفى » وأجبر الحكومة على تشييع الجنازة رسميا .

اكثر ما يحز فى النفس ، عندما يخطر اسمه على البال ، ان اذكر رغبة له اتفقنا على تنفيذها ، ولكنه رحل دون ان تخرج الفكرة الى الناس . كانت التضحية منهجه في الحياة ، وكان حديث الشهداء ، احب الأحاديث الى نفسه .. وكنت قد تناولت شهداء الحركة الوطنية عام ١٩٣٥ ، واوردت أسماء اللجنة التنفيذية العليا للطلبة التى قادت الحركة الثورية ضد الاحتلال ، وطالبت بعودة دستور ١٩٢٣ ، ودعت الى قيام الجبهة الوطنية التى انتهت جهودها بتوقيع معـــاهدة اغسطس ١٩٣٦ .

وجلسنا اليه .. الزميل المناضل « الاستاذ احمد البلقينى » احد قادة الشباب فى الأربعينات وانا .. واتفقنا ثلاثتنا على ان نعرض فى احاديث الى الشباب ، وعلى صفحات جريدة « الوفد » ثم فى كتاب .. اتفقنا على ان نعرض .. تضحيات شهداء ثورة ١٩١٩ ، وبطولات شهداء (الثورة المصغرة) سنة ١٩٣٥ . وشهداء عامى ٤٥ و ١٩٤٦ وكان مقدرا ان اكتب عن (شهداء ثورة ١٩١٩) وان يكتب الاستاذ (البلقينى) على حركة الاربعينات ، وان يكتب « هو » عن

الفترة التى عاشها وقادها (١٩٣٥) ولكن ان هى الا آيام ومضى ليلقى ربه ، ويلقى زملاءه من شهداء الوطن ..

ونحن الآن لا نملك الا ان نكتب عنه ونقدمه الى شبابنا .. ثم نكتب عن شهداء الوطن فى ثورة ١٩١٩ ـ وتلك كانت رغبتـــه ـ ان شاء الله وكان فى العمر بقية .

« محمد بلال » ظاهرة فذة بين المناضلين من شباب مصر .. انضم الى اللجنة التنفيذية العليا للطلبة عن كلية الطب وهو طالب فى السنة الثانية ، ولجان الشبان الوفديين تعقد برئاسته وينســق بينها وبين فرق القمصان الزرق التى كان هو قائدها .. وهو طالب فى السنة الثالثة ، وعندما يصبح طالبا فى السنة الرابعة يملأ اسمه الصحف الانجليزية والمصرية ويسعى اليه الملك فيساومه .

فى ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ ، فى احتفال الأحرار الدستوريين بعيد الجهاد خطب « محمد محمود » مطالبا باعادة دستور ١٩٢٣ ، وخرج الشباب الى سرادق الوفد حيث كان « مصطفى النحاس » يطـــالب بمقاطعة الانجليز وباستقالة وزارة توفيق نسيم . وفى رسالة للدكتور محمد بلال الى « صبرى ابو المجد » ذكر ان « صموئيل هور » وزير خارجية بريطانيا اصدر فى ١٠ نوفمبر بيانا ضد الأمانى القومية ، فاجتمعت الهيئة الوفدية فى ١٢ نوفمبر واصدرت القرارات التى اعلنها رئيس الوفد فى ١٣ نوفمبر .

قامت المظاهرات العارمة من الجامعـــة ومدرسـة التجـارة بالظاهر والفنون والصناعات . وتوجهت المظاهرات الى بيت الأمة وثكنات قصر النيل (مكانها الآن النيـل هيلتون ومبنى الجامعـة العربية) والسفارة البريطانية هاتفين بسقوط بريطانيـا ووزير خارجيتهـــا . وامتدت المظاهرات الى الاسكندرية والمنصـــورة وشبين الكوم وبورسعيد والزقازيق وأقيمت الجنازات الصامتة فى كل مدينة وقرية . وأبرق الطلاب من خارج مصر يشجعون من فى

داخلها واحتجوا لدى عصبة الأمم على طغيان الانجليز · واستعمل طلاب كلية الصيدلة زجاجات مولوتوف يقذفون بها البوليس ·
ويقول « د · بلال » : انه في صبيحة ٧ ديسمبر ١٩٣٥ تجمع الطلاب عند كوبرى عباس وطلب الضابط « نوبل » مقابلتي ووافق على مرور الطلاب الى الروضـــة حيث نشبت معركة مع البوليس · ونصحني « مكرم عبيد » بأن أغادر القاهرة وسافرت الى منشأة عبد النبي مركز أجا في منزل زميلي « أحمد عبد النبي » وانتحلت اسم « محمد شـــوقي » وعدت الي القاهرة واستؤنفت المظاهرات أمام كلية الطب وكلية التجارة ، وكان الضباط الانجليز يطلقون الرصاص دون وعى · فسقط الشهداء الذين سوف نتحدث عنهم فيما بعد ·

لجنة الطلبة التنفيذية

ونواصل مطالعة رسالة « الدكتور محمد بلال » التي حفظت لنا غالبية أسماء لجنة الطلبة التنفيذية العليا · وبدأت اللجنـة بممثلين للكليات ـ وهي غير مجلس اتحاد الجامعة ـ ولم تكن لها لائحة تنظم عدد الأعضـاء أو طريقـة التشكيل ، ولكن الأحداث جمعت الذين تصدروا في شـــجاعة حركة الطـلاب · وعقـدت الاجتماعات بنادى نقابة المحامين ثم بالنادى السعدى الى ان وقع الاختلاف في الرأى حول المطالبة بالدستور أولا أو الاستقلال قبل الدستور · والفريق الذى رأى تأجيل المطالبة بالدســتور هم : « نور الدين طراف من الطب ، والظاهر حسن أحمد ، وعبد العزيز الشـــوربجي من الحقوق ، ومصطفى الســعدنى مـن الآداب ، وأحمد حسن الباقورى من الأزهر » ·

ونترك ما كتبه « الدكتور بلال » مؤقتا وننظر في الدراسة

التى نشرها « الدكتور على شلبى » بعنوان « مصر الفتاة » يقول انه تألفت عام ١٩٣٥ هيئة تسمى (كتلة الطلبة القوميين) وهذه الهيئة تضم الشباب المعارض للوفد · وقد تولى «نور الدين طراف» أحد أعضاء مصر الفتاة رئاستها وكانت تعقد اجتماعاتها بمنزل النبيل عباس حليم · وشارك أعضاء مصر الفتاة فى حركة الطلبة ١٩٣٥ ، وتقدم « نور الدين طراف » باقتراح فى جلسة مجلس الجهاد بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٣٦ لتأليف لجنة من طلبة مصر الفتاة باسم (اللجنة التنفيذية لطلبة مصر الفتاة) ·

وسجل « د · بلال » غالبية أسماء أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للطلبة نذكر منهم « محمد بلال » من الطب ، فريد زعلوك من الحقوق ، أحمد بشر من الآداب ، محمود لاشين من العلوم ، عبد المنعم البيه من التجارة ، أحمد الدمرداش تونى من الزراعة ، جلال الدين الحمامصى من الهندسة ، محمد برهام من دار العلوم، عبد المجيد الغايش من الأزهر ، محمد شبل الحضرى من الفنون الجميلة العليا ، أحمد الشافعى من المدارس الثانوية والمتوسطة ·

وتتفق رسالة « الدكتور بلال » مع رسالة الشاعر « عامر بحيرى » ـ توفى أخيرا ـ فى هذا الشأن وفى بيان الشهداء الذين سقطوا فى تلك المعارك ·

الشهداء

يروى « الدكتور بلال » أن أول الشهداء كان العامل « اسماعيل الخالع » صرعته رصاصة امام سرداق الاحتفال بعيد الجهاد مساء ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ وحمل البوليس جثمانه ودفن خلسة تحت جنح الظلام · اما الشهيد الثانى فهو « محمد عبد المجيد مرسى » شهيد الزراعة وصل جثمانه الى مشرحة الكلية صباح

١٤ نوفمبر • وتسللنا ليلا فى غفلة من البوليس واستولينا على مفتاح الثلاجة ، غير اننا فوجئنا عند عودتنا باختفاء الجثمان وان البوليس كسر باب الثلاجة ونقله فى عربة مغلقة الى الاسكندرية مع والده حيث دفن بمقبرة العمود • وشـــهيدنا الثالث « على طه عفيفى » من دار العلوم صرعته هراوة كونستابل انجليزى صبيحة ١٦ نوفمبر أمام كلية دار العلوم وأسلم الروح صباح ١٧ نوفمبر وأحضر الى المشرحة ليخطفه البوليس ليلا ، وكنـــا ثلاثة « بلال وطراف وجوهر » دلفنا فورا الى داخل المشرحة وحملنـــا جثمانه وأخفيناه أسفل مدرج التشريح ، وانطلق ضباط القسم وحكمدارية القاهرة يفتشون الكلية • واقتحم فريق من الضباط والجنــود منزلى بالمنيرة • وأبدى العميد « الدكتـــور على باشا ابراهيـم ، نصيحة بتسليم الجثمان رسميا بجنازة تجمع كل فئـات الأمة والا سوف تكون الجنازة شعبية رغم أنف الحكومة • وتم لنا ما أردنا وكتب « فكرى أباظة » مقالا بعنوان « أشرف سرقة فى التاريخ » فى مجلة المصور ، وكان « عبد الحكم الجراحى » يصـــارع الموت وأعطيته ربع دمى لاتفاق الفصيلة وقام بزيارته مصطفى النحاس وعدد من الزعماء ، وفاضت روحه صباح ١٩ نوفمبر ١٩٣٥ •• وتقدم جنازته زعماء مصر رمزا لقيام الجبهة الوطنية •

ويحدثنـــا الشـــاعر الراحل « عامر بحيرى » عن الشـهداء السابقين بما يؤكد رواية الدكتور بلال ، ويضيف ان « عبد الحكم الجراحى » نشرت له مجلة « ابولو » بعض قصائده •

القمصان الزرق

ارتبط اسم (القمصان الزرق) بالدكتور محمد بلال قائدها ومنظمها ، وارتبط اسمه بها واختلفت حولها الآراء • ونعطى الكلمة الأولى له هو ••

يقول الدكتور بلال : مع قيام الجبهة الوطنية فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ فان مظاهرات الطلبة فى ساحات الكليات وأفنية المدارس والأحياء انتهت بطوابير منتظمة تصدر صيحاتها الوطنية فى هتافات متفق عليها مما أدى الى انتظامها فى تشـــكيلات أقرب الى الفرق العسكرية · مما يصحح الفكرة الخاطئة عند الكثير من المؤرخين من انها نشأت من خارج صفوف الطلاب لتأديب خصـوم الوفد · وكانت أولى الفرق ·· فرقة عبد الحكم الجراحي وساحة تدريبها فى فناء كلية الطب ، والثانية فرقة على طه عفيفى وساحة تدريبها أمام دار العلوم ، ثم قامت فرق أخرى فى باقى الكليات والمعاهد والمدارس · ووضع الكاتب والشاعر « مصطفى صادق الرافعى » لها نشيدا ولحنه الموسيقار « رياض السنباطى » واتخذنا اللون الأزرق لون (الجلاليب الزرقاء » زى الفلاح المصرى · واتفقنـا على صورة (شارة) توضع على الذراع وشارة معدنية صغيرة تعلق على الصدر ، وكلتاهما تمثل قبضة قوية تطبق على مفتاح النيل · واتخذت الفرق علما خاصا يرفع فى معسكراتها مكونا من اللونين الأحمر والأسود ·· وقامت هذه الفرق مع أول عام ١٩٣٦ · ويؤكد « الدكتور بلال : « ان نشاط اللجنة العليا للشبان الوفديين لم يكن مرتبطا بادارة الفرق أو تكوينها رغم ان جلسات اللجنة كانت تعقد برئاسـتى ·· وفى مقابلتى لرئيس الوفد مصطفى النحـــاس وسكرتيره ·· مكرم عبيد أكدا على الجوهر الأصيل لنظام الحكم الدستورى والديمقراطى فى مصر وحمايته ، فدعوت الى اجتمـاع للجان الشبان الوفديين حضره مكرم عبيد وزهير صبرى فى ٥ يناير ١٩٣٦ وانضمت هذه اللجـــان الى صفوف الفرق القائمـــة ·· ولم يستمر قيام فرق للطلاب وحدهم طويلا حتى طالب العمـال بحق الانضمام اليهم فقامت فرق من عمال العنابر والمطبعة الأميرية

والسكة الحديد وأبو زعبل بالاضافة الى فرق أخرى للعمال والمؤلفين والفلاحين فى المدن والقرى) ٠

وفى أول الأمر تألف مجلس لقيادة الفرق من « محمد بلال ، وفهمي سليمان ، وأحمد لطفي ، وراغب الهوارى ، ومحمود يونس؛ وعماد الجندى ، وأحمد الشـــافعى ، وكامل الدماطى ، وحنفى الشريف » وكان يقوم فريق من قدامى الخبراء والعسكريين بمهمة التدريب فى مقدمتهم « الصاغ محمود لبيب » رجل الاخوان المسلمين فيما بعد ــ ثم أصدر الوفد فيما بعد قرارا بتشكيل المجلس الأعلى للفرق من « الأميرالاى » متقاعد حافظ صـدقى ، وسيد بهنسى ، ومحمود سليمان غنام ، ومحمد بلال ؛ وزهير صبرى ، وميخائيل غالى ٠

القمصان الخضر

فيما سـبق صـورة موجزة لما قدمه « الدكتور بلال » عن (القمصان الزرق) وحتى تكتمل الصورة ينبغى أن نقف على نشاط مماثل مقابل عرف بالقمصـان الخضر الخاص بجماعة مصر الفتاة ، ويوضح « الدكتور على شلبى » فى كتابه (مصر الفتاة) ٠ أن مصر الفتاة أعلنت منذ بداية تكوينها (يجب أن تجمع الشباب من صعيد واحد ، وأن نعودهم النظام والطاعة ، وأن نلبسهم زيا واحدا وأن نلتف حول العرش) ٠ وأوضح القانون النظامى لجمعية مصر الفتـاة الهيكل التنظيمى الذى يبدأ بالانصـار ثم المجاهدين ٠٠ والمجاهد (يخضع لنظام شبه عسكرى أساسه الخضوع التام للرؤساء وتنفيذ الأوامر دون مناقشة ٠٠) وكل أثنى عشر مجاهدا يكونون قسما ٠٠ وكل أربعة أقسام يكونون كتيبة وكل أربعة كتائب تكون فرقة ، وكل أربع فرق تكون لواء ، وكل أربعة ألوية تكون فيلقا ، ولهذه

التشكيلات شبه العسكرية أزياء رسمية وشارات مميزة ، ولها مجلس أركان حرب الجهـاد • وهذا القانون النظامي نشرته (الصرخة) جريدة الجمعية فى ٣١ مارس ١٩٣٤ أى أنه سابق فكرة القمصان الزرق والقمصان الخضر ، وقد نشرت جريدة الصرخة أول صورة (لجندى مصر الفتاة) مرتديا القميص الأخضر فى ١٦ ديسمبر ١٩٣٣ •• وقد كان ذلك بداية الدعوة لتكوين فرق المجاهدين لابسى القميص الأخضر • وكان « جمال عبد الناصر » من بين هؤلاء الأعضاء ، وسدد اشتراكه للجمعية بالايصال رقم ٣٤ عن شهر ينـاير ١٩٣٥ (انضم جمال عبد الناصر الى القمصان الخضر عن طريق الأستاذ ابراهيم طلعت المحامى بالاسكندرية ، ويؤكد الدكتور بلال أنه كان أيضا ضمن القمصان الزرق • على أية حال فان عبد الناصر ابتعد عن مصر الفتاة فى أواخر عام ١٩٣٥ ، والقمصان الزرق نشأت فى أول عام ١٩٣٦) وفى غضـون عام ١٩٣٦ ، شرعت جمعية مصر الفتاة فى تنظيم العمال فى شكل فرق يرتدى أعضاؤها القمصان الخضر • ومع بداية عام ١٩٣٦ أصبح فى مصر فرق نظامية شبه عسكرية •• الأولى القمصان الخضر أو الخضراء منذ عام (١٩٣٤)، •• والثانية القمصان الزرق أو الزرقاء (مع بداية عام ١٩٣٦) •• الأولى تابعة لجمعية مصر الفتاة •• والثانية تابعة للوفد ، وفى أول يناير ١٩٣٧ تحولت جمعية مصر الفتـاة الى حزب • أعلن الحزب عن تأليف فيلق باسم (فيلق فاروق الأول) •

وهكذا فان تشكيل القمصان الزرق (الوفد) جـاء بعد تشكيل القمصان الخضر (مصر الفتاة) وربما كرد فعـل له • ومهما يكن من أمر فان (القمصان الزرق) وجدت ظروفا مواتية للنمو والانتشار فى ظل وزارة النحاس الثالثة (٩ مايو ٣٦ ــ ٣١

يوليو ١٩٣٧) ووزارة النحاس الرابعة (أول أغسطس ٣٧ ــ ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧) وفي نهاية ١٩٣٧ أغلقت حكومة الوفد دور مصر الفتاة بسبب اعتداء « عز الدين عبد القادر » العضو القيادي في حزب مصر الفتاة على « مصطفى النحاس » ٠

ومن المعروف أن السلطات الانجليزية كانت تعارض وجود كل هذه التشكيلات شبه العسكرية ، وان القصر كان معارضا تماما للقمصان الزرق التابعة لحزب الأغلبية الشعبية ، وشنت الصحف الموالية للقصر والمعادية للوفد حملات شعواء على القمصان الزرقاء ٠ واستدعى « الملك فاروق مصطفى النحاس رئيس الوفد ورئيس الوزراء في ٢٦ أكتوبر ١٩٣٧ وسلمه بحثا قانونيا جاء فيه أن وجود القمصان ينافي الدستور وطلب اليه حلها ٠ واستدعى عميد كلية الطب « الدكتور علي باشا ابراهيم » محمد بلال « الطالب بالسنة الرابعة وقت ذاك وبحضور « الدكتور أحمد شفيق باشا » والدكتور مصطفى فهمي ، والدكتور رشوان فهمي ، والأستاذ محمد السحرتي » وأبلغه أن « الملك فاروق » يعرض عليه وظيفة رفيعة بالسراى نظير أن يعلن باعتباره قائدا للقمصان الزرقاء أن أعضاء تلك الفرق جنود الملك المخلصون ويدينون لجلالته بالولاء والاخلاص ٠٠ ورفض المناضل « محمد بلال» هذا العرض ٠ ولكن كان لابد من الحل ٠

حل الزرقاء والخضراء

كان على الانجليز والملك والأحزاب والعناصر المعادية للوفد أن تطيح أولا بحكومة « مصطفى النحاس » ووجدوا الفرصة في مناخ الانقسام الخطير داخل الوفد والذى يقوده « أحمد ماهر ، ومحمود فهمي النقراشي ، وحامد محمود ، ومحمود غالب ،

وحامد جودة » وكلها عناصر لها ثقلهــا ولهــا دورها التاريخي فاقيلت حكومة الوفد في ٣٠ ديســمبر ١٩٣٧ • وشـــكل « محمد محمود » وزارته الثانية (٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ ــ ٢٧ ابريل ١٩٣٨) واشتركت فيها عناصر معروفة بمهارتها الفردية وبعدائها التقليدى للوفد « اسماعيل صــدقى ، وعبد الفتــاح يحيى ، وعبد العزيز فهمى ، ومحمد حسين هيكل ، ومحمد حافظ رمضان ، وحســين سرى ، وأحمد لطفى الســيد •• وغيرهم » • وبدأت الوزارة بحل البرلمان الوفدى في ٣ ينــاير ١٩٣٨ وفصلت عددا كبيرا من الموظفين الموالين للوفد • وفي ٩ مارس ١٩٣٨ صــدر المرسوم الملكى يحظر كافة التشكيلات شــبه العسكرية التابعة للأحزاب السياسية • وطالب حزب مصر الفتاة باستثناء (القمصان الخضراء) من الحل ولكن « محمد محمود » صديق الحزب لم يستطع اصدار مثل هذا الاستثناء •

ويعلق « الدكتور عبد العظيم رمضان » قائلا ان « النقراشى » اختار موضوع (القمصان الزرقاء) لمنازلة « مصطفى النحاس » على اعتبار أن وجودها كان منافيا للدستور ، وان كان من المؤكد أن معارضى الوفد لم يكونوا مخلصين فى مهاجمــة التشكيلات باسم الدستور ، فقد سبق ظهورها القمصان الخضراء التى ألفها أحمد حسين ، وكانت تلقى المعارضة كل عطف وتشجيع بسبب مناهضتها للوفد •

رحيل الفارس

عاش « محمد بلال » وفديا مخلصــا ، رفض وظيفة رفيعة بالسراى وهو طالب بالسنة الرابعة بكلية الطب ، ولم يخرج فى أى انقسام تعرض له الوفد ، ولم يهتز فى ظروف الوفد على الطريق

الوعرة وعندما حان وقت الذهاب شــاء له الله أن يكون فى مقــر الوفد وبين قادة الوفد وشـــبابه فى الأول من مايو ١٩٨٨ فى الاحتفال بذكرى المناضل العظيم « الدكتور عزيز فهمى » ٠

أسانيد المقال :

● الوفد (جريدة)	عدد ٣ مايو ١٩٨٨ ٠
● صبرى ابو المجد	(سنوات ما قبل الثورة) ٠ (رسائل من محمد بلال وعامر بحــيرى وجنفى الشريف وعز الدين عبد القادر)
● د٠ عبد العظيم رمضان	تطور الحركة الوطنية فى مصر ٠
● د٠ على شلبى	مصر الفتاة ٠



محمد علي علوبة

- ١٩٣٦ عرض على الملك فؤاد ترجمة معانى القرآن الى اللغات الأجنبية ٠
- ١٩٣١ قرر أن يضيف لقب (علوبة) الى اسمه ٠
- أول سفير لمصر فى الباكستان ١٩٤٨ ٠

فى وثائق الحزب الوطنى ، والوفد المصرى ، والأحرار الدستوريين ، نجد اسمه « محمد على المحامى بأسيوط » وقليلا ما تجد اسمه كما اشرنا اليه فى العنوان : محمد فريد فى مذكراته ، يكتبه هكذا : « محمد على بك » ٠ ووثائق انشاء حزب الأحرار الدستوريين تذكره على أنه « محمد على سكرتير الحزب » وفى وزارة « زيور » الثانية (١٣ مارس ١٩٢٥) ورد اسمه « محمد على باشا » ٠

اما « علوبة » فهو اسم اشتهر به والده « على » الذى نشأ فى أسيوط ، اطلقته عليه والدة احد زملائه تدليلا وتحويرا لكلمة « على » ٠ وبعد أن اعتزل العمل الحكومى ، انشأ مطحنا ، وليس فى مدينة أسيوط من لا يعرف (طاحونة علوبة) فى وسط المدينة ٠

وجده « محمد » عاش فى (منفلوط) بمديرية أسيوط باسم (محمد الجهينى) نسبة الى بلدة « جهينة » التى عاش بها الجد الأكبر ويقال أنه نزح اليها من الحجاز ٠

وعندما أراد « محمد على » واخوته أن يتخذوا لهم لقبا رأوا أن لقب (الجهينى) شائع يشاركهم فيه أبناء بلدة (جهينة) فاستقر

رأيهم على أن يكون اسم « علوبة » الذى اشتهر به الوالد واشتهرت به (الطاحون) لقبا لهم ٠ فسجله « محمد على » باشهاد بمحكمة مصر الشرعية بتاريخ ١٠ أغسطس ١٩٣١م ٠

أصبح اسمه اذن ـ رسميا ـ منذ ١٠ أغسطس ١٩٣١م « محمد على علوبة » وهو الاسم الذى سوف نطلقه عليه فى مختلف مراحل حياته قبل هذا التاريخ وبعده ٠

بداية الطريق

وفى (ذكرياته) لم يحدد « محمد على علوبة » تاريخا لمولده ، وان كان الأرجح انه ولد حوالى عام (١٨٧٨م) وكان ذلك فى حى (درب الشجرة) بالمنيا ٠ حيث كان والده يعمل فى ذلك الحين رئيسا لكتاب (باشكاتب) مجلس مديرية المنيا ، ثم عاد الى أسيوط رئيسا لكتاب مجلس استئناف وجه قبلى ٠ وبعد ان ترك الوالد خدمة الحكومة اشتغل بالأعمال الحرة من زراعية وصناعية ٠

دخل الطفل « محمد على علوبة » فى سوق الخضار بأسيوط وتعلم الحروف الأبجدية وحفظ قصار السور وحفظ جزء « عم » وجزء « تبارك » وسورة «يس » الى أن حفظ القرآن بداية وعبادة ٠٠ وبعدها التحق بمدرسة أسيوط الابتدائية ٠ ولم يكن فى أسيوط فى ذلك الحين (١٨٩٠ م) مدرسة ثانوية فالتحق بالمدرسة الخديوية بدرب الجماميز بالقاهرة ، ونال شهادة البكالوريا سنة ١٨٩٥ م ٠٠ والتحق بمدرسة الحقوق ونال اجازتها من اللغة الفرنسية ٠ وفى أوائل سنة ١٩٠٠ ذهب الى أسيوط واشتغل تحت التمرين بمكتب المرحوم (حسين فهمى) وكان معه فى المكتب المرحوم « محمود بسيونى » وكان باسيوط من المحامين فى تلك الفترة «مرقص حنا» و «أحمد رمزى » اللذان تركا النيابة للاشتغال بالمحاماة ٠ ومن

الطريق أن المحامين باسيوط « محمود بسيوني » ومرقص حنا . و أحمد رمزي ، ومحمد على علوبة ، أصبحت لهم شهرة في المحاماة على نطاق مصر كلهـا ٠

وقيد « علوبة » اسمه محاميا أمام المحاكم الشرعية ٠ ثم تزوج سنة ١٩٠٤ م وتوفي والده في ٧ مايو ١٩٠٧ م وكان عمر «محمد على علوبة » في ذلك الوقت حوالي ٢٩ سنة ٠

الطريق الى الأحزاب

وفي عام الأحزاب ، عام ١٩٠٧ م نشأت أحزاب كثيرة ، وفي ذلك العام فكر « محمد على علوبة » في الانضمام الى أحد هذه الأحزاب الكثيرة ، ويبدو أن تفكيره كان يدور حول «حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية ، وحزب الأمة ، والحزب الوطني ويسجل انطباعه عن هذه الأحزاب هكذا ٠٠

حزب الأمة معروف عنه كراهيته لطغيان السراى ٠ ورغبته في بالشعب عن طريق التطور لا عن طريق الثورات ، وحرصه على المطالبة بالدستور كي يصل الى تأليف البرلمان ٠ وكان المهيمنون على حزب الأمة من سراة الشعب ولا يظن منهم أنهم يسعون الى الحكم وكان ٠ يطلق عليهم أصحاب المصالح الحقيقية ٠

وحزب الاصلاح عرف عنه ـ الكلام مازال لعلوبة ـ آنه ألف ليحافظ على مركز الخديو ضد تطرف رجال الحزب الوطني الذين قطعوا صلتهم بالخديو ، وشاع أن الخديو انقطعت صلاته بمصطفى كامل ٠ وكانت جريدة (المؤيد) غنية بالمواد العلمية والثقافية وكانت تناصب الانجليز العداء وقت ان كان سوء التفاهم قائما بين الخديو واللورد كرومر ٠ فلما عزل اللورد وتصادف الخديو مع سير جورست تغير أسلوبها مع الانجليز ٠

أما الحزب الوطنى أى حزب مصطفى كامل وفريد فقد كان الرأى العام فى تلك الأوقات يفهم أنه يسعى فى اخراج الانجليز بلا قيد ولا شرط على أن تبقى السيادة الرمزية للسلطانة العثمانية وكان يشايع مصطفى كامل جميع الشبان المثقفين من تعلم منهم فى مدارس مصر أو فى معاهد أوروبا ٠

وكان « محمد على علوبة » من أنصار الحزب الوطنى فى حياة مصطفى كامل واندمج فى الحزب بعد أن تولى محمد فريد رياسته وعلى صفحة ٧ من مذكراته يسجل محمد فريد سنة ١٩٠٩ : سافرت فى يوليو مع محمود بك حسيب ومحمود بك محرم ، ومحمد على بك المحامى بأسيوط ٠

وعبد السلام ذهنى المحامى بالمنيا ، واجتمعنا هناك بالوردانى وانضم الينا على بك علوى الجزار من حزب الأمة مع محمد بك حسيب وكلاهما من أعيان ابراهيم الوردانى ولما وصلنا الاستانة قابلنا الكثير من المصريين وأعضاء نادى الأحرار من الفرس والأتراك وغيرهم ٠

وفى يناير ١٩١٤ افتتحت الجمعية التشريعية وكان «أحمد مظلوم» رئيسا وعينت الحكومة « عدلى يكن » وكيلا وانتخب الأعضاء « سعد زغلول » وكيلا أيضا وكان سعد زغلول يوقع مكاتباته بصفته (وكيل الجمعية التشريعية المنتخب) ونجد محمد على علوبة عضوا بالجمعية التشريعية عن بندر أسيوط وتزعم سعد فى الجمعية المعارضة للانجليز وللخديو ٠

وتوالت الأحداث ٠ قامت الحرب العالمية الأولى فى أول أغسطس ١٩١٤ وعطل الانجليز أعمال الجمعية فى يونيو بسبب المعارضة ٠ وأعلنوا الحماية على مصر ومنعوا الخديو عباس من العودة الى مصر

وخلعوه فى ديسمبر وعينوا حسين كامل سلطانا على مصر ·· وهكذا حتى نصل الى وقائع نوفمبر ١٩١٨ وتكوين الوفد ··

أى قدر هذا ، منذ اللحظة الأولى لاشتراك علوبة فى الوفد المصرى الى اللحظة الأخيرة فى حياته وهو خصم لدود لسعد زغلول ·· وعدو شرس للوفد المصرى ، عبد العزيز فهمى ، واسماعيل صدقى ، وأحمد لطفى السيد ، وابراهيم الهلباوى فى مذاكرتهم وأوراقهم سجلوا أن سعد زغلول كان يسعى الى تكوين هيئة لتحمل عبء الجهاد فور انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وكانت الاجتماعات تعقد بشكل سرى فى عزبة سعد باشا وفى أماكن أخرى وحرص سعد على الكتمان فى تحركه السياسى فى تلك الفترة الى درجة أنه لجأ الى التمويه مع « على ماهر ومصطفى النحاس » عندما قابلاه وطلبا منه أن يقود الجهود للمطالبة بحقوق البلاد ·· مما أضطرهما الى مقابلة عبد العزيز فهمى ليتوسط لدى سعد وابتسم «عبد العزيز» وطمأنهما وطمأن الشباب الآخرين الى أن سعد باشا يقوم بدوره فعلا ولكنه يتوخى الكتمان فى تحركاته ·

ويبدو أن أسلوب الكتمان هذا كان سببا فى جفوة مبكرة بين « سعد زغلول » و « محمد على علوبة » ، ففى ٨ نوفمبر ١٩١٨ قابل « علوبة » سعد باشا وتحدث معه فى تكوين (جمعية) تسعى لتحقيق ما تصبو اليه البلاد وكان حديث سعد حديثا عاما غير محدود ، وقال له ان بعض الأصدقاء (دون أن يذكر الأسماء) فكروا فى هذا الأمر ، وأنه يتداول معهم فيما ينبغى أن يعمل · وعند اتفاقهم على الفكرة سوف يخبره بذلك · هذا بينما سعد وصحبه كانوا قد انتهوا الى كل التفاصيل وتم تشكيل المجموعة الأولى أو الطبقة الأولى للوفد من « سعد زغلول » ، و على شعراوى ، وعبد العزيز فهمى ومحمد محمود ، وأحمد لطفى السيد ،

وعبد اللطيف المكباتى ، ومحمد على علوبة » وفى يوم ١٢ نوفمبر اتصل سعد بالتليفون بعلوبة فى مساء العاشرة من صباح يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ دون أن يذكروا له أية أسماء ودون أن يذكر له أية تفاصيل وثبت أن اتصالا كان قد تم مع المعتمد البريطانى يوم ١١ نوفمبر لتحديد موعد للمقابلة وتحدد الموعد الساعة ١١ يوم ١٣ نوفمبر وذهب علوبة الى منزل سعد باشا فى الموعد المحدد وفوجىء بالأعضاء الستة وأخبروه أنهم أصبحوا (هيئة) تسعى لتحقيق مطالب البلاد . وأن سعد زغلول وعلى شعراوى وعبد العزيز فهمى فى طريقهم لمقابلة المعتمد البريطانى وعليه - أى على علوبة - أن ينتظر مع بقية الأعضاء لحين رجوع المندوبين الثلاثة .

ومنذ تلك اللحظة ومحمد على علوبة يضمر العداء لسعد زغلول وتحول هذا العداء لكراهية للوفد الذى سار تحت لواء سعد .. فالخصومة تتضح فى وصف علوبة لمقابلة (الوفد) للمعتمد البريطانى . فقد حاول دائما أن يلقى الظلال على موقف سعد فى تلك المقابلة التاريخية ، وثمة ملحوظة هامة وهى أن « محمد على علوبة » عندما كتب عن المجموعة الأولى للوفد أغفل ذكر اسم « عبد اللطيف المكباتى » عضو الجمعية التشريعية عن الدقهلية فى حين أن المصادر الموثوق بها تذكر المكباتى عضو الجمعية التشريعية عن الدقهلية فى حين أن المصادر الموثوق بها تذكر المكباتى ضمن المجموعة الأولى وان كانت بعض المصادر تقصر المجموعة الأولى على خمسة هم « سعد زغلول » وعلى شعراوى ، وعبد العزيز فهمى ، و محمد محمود ، وأحمد لطفى السيد » دون ذكر المكباتى وعلوبة .

فى اوروبا

وكان علوبة ضمن أعضاء الوفد الذى سافر من بور سعيد يوم ١١ ابريل ١٩١٩ الى أوروبا ومنذ اللحظة الأولى لوجود الوفد فى أوروبا (ابريل ١٩١٩) الى رجوع غالبية الوفد الى مصر (مارس ١٩٢١) ومحمد على علوبة يقف فى الجناح المعارض لسعد ، وقد استخدم وضعه كأمين لصندوق الوفد لعرقلة تحركات سعد كرئيس للوفد • تولى علوبة أمانة صندوق الوفد بعد أن تنحى على شعراوى فى نوفمبر ١٩١٩ على أن يرسل مصروفات الوفد فى أوربا من مصر ، اضطر سعد أن يأمره بأن يتخلى عن أمانة الصندوق الى واصف بطرس غالى ••

أما • عبد اللطيف المكباتى ، فقد كان ضمن أعضاء الوفد فى أوربا وكانت غالبية مواقفه معارضة أيضا لسعد زغلول • وفى حديث علوبة عن (أعمال الوفد فى أوروبا) ذكر لأول مرة عبارة (مؤسسو الوفد السبعة) مما يؤكد ان المؤسسين كانوا سبعة على خلاف ما ذكر علوبة فى بداية مذكراته ، وعلى خلاف ما ذكرت بعض المصادر انهم كانوا خمسة •

عارض « علوبة » سعد زغلول وانحاز لعدلى ، ولم يستطيع ان يخفى هذا العداء حتى وهو يكتب ذكرياته عام ١٩٥٤ وبعد ان رحل عدلى وسعد وكثيرون من الصحاب •• فعندما تكلم عن عدلى ومفاوضاته وتقديم استقالته فى ٨ ديسمبر ١٩٢١ يقول علوبة بالحرف الواحد : (فى هذا الوقت وسعد دائب على الشغب ، وأنصاره يتظاهرون ويسبون ويخربون ، أمرت السلطات العسكرية سعد بأن يمتنع عن الاشتغال بالسياسة ، ولما لم ينفذ سعد هذا الأمر قبضت السلطة الانجليزية عليه وعلى بعض أنصاره فى ٢٢ ديسمبر ١٩٢١ ونقلتهم الى سيشل) •

وانصافا لعدلى يكن فى هذا الموقف بالذات ، بعد ان تقدم باستقالته وأدرك ان الاتجاه الى اعتقال سعد صمم على الاستقالة حتى لا يعتقل سعد فى ظل رئاسته للوزارة ، وأجل « السلطان » قبول الاستقالة الى ما بعد اعتقال سعد ، وقبلهـا فى ٢٤ ديسمبر ٠٠ وهكذا كان « علوبة » يرى فى كفاح سعد نوعا من الشغب ، وانتقل الى الجبهة التى شكلت حزب الأحرار الدستوريين فى ٣٠ أكتوبر ١٩٢٢ واختير سكرتيرا للحزب ٠

ما بعد الوفد

وفى الطريق الى الانشقاق الكبير فى الوفد والذى بدأ أثناء المفاوضات فى أوروبا تم تشكيل وزارة عدلى يكن فى مارس ١٩٢١ وفشلت مفاوضاته مع الانجليز واعتقل سـعد للمرة الثانية فى ديسمبر ١٩٢١ ، صدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ من دار الحماية والذى رفضه الحزب الوطنى والوفد وقبله عدلى يكن والجناح المعارض لسعد زغلول داخل الوفد على اعتبار أن التصريح يعلن (مصر دولة مستقلة ذات سيادة) وسعى « عبد الخالق ثروت » رئيس الوزراء الى تشكيل لجنة لوضع الدستور فى ابريل ١٩٢٢ عارضها الوفد والحزب الوطنى واختير علوبة ضمن أعضائها ٠

ومهما يكن من أمر ، فان حزب الأحرار الدستوريين بعد اعلان قيامه فى أكتـوبر ١٩٢٢ شارك فى وزارة « أحمد زيور » الثانية (١٣ مارس ١٩٢٥) ـ ٧ يونيو ١٩٢٦) ووزارة عدلى يكن الثانية ٧ يونيو ١٩٢٦ ـ ٢١ ابريـل ١٩٢٧) ووزارة عبد الخالق ثروت الثانيـــة مـن (٢٥ ابريـل ١٩٢٧ ـ ١٦ مارس ١٩٢٨) وشـــارك فى وزارة مصطفى النحاس الأولى (١٦ مارس ـ ٢٥ يونيـو ١٩٢٨) وشـــكل محمـــد محمود وزارته الأولى

(٢٥ يونيو ١٩٢٨ ـ ٢ أكتوبر ١٩٢٩) فى كل هذه الوزارات التى شارك فيها أو شكلها الأحرار الدستوريون نجد اسم « محمد على بك » فى وزارة زيور الثانية على الرغم من أنه كان سكرتيرا لحزب الأحرار ... وقد أعلن استقالته من سكرتارية الحزب رسميا سنة ١٩٣٤ ثم يعود اسمه وزيرا للمعارف العمومية فى وزارة على ماهر الأولى (٣٠ يناير ـ ٩ مايو ١٩٣٦) ووزيرا للشئون البرلمانية فى وزارة على ماهر الثانية (١٨ أغسطس ١٩٣٩ ـ ٢٧ يونيو ١٩٤٠) واشترك فى وزارة محمود فهمى النقراشى الثانية (٩ ديسمبر ١٩٤٦ ـ ٣ مارس ١٩٤٨) ... والمعروف ان الوزارة استمرت الى وقت اغتيال النقراشى فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ، ولكن علوبة باشا استقال فى ٣ مارس ١٩٤٧ لأن اسمه أدرج وزيرا للأوقاف دون علمه .

على اية حال فان محمد على علوبة بعد عام ١٩٣٤ واستقالته من سكرتارية حزب الأحرار الدستوريين يكون قد ابتعد عن عضوية الأحزاب رسميا وان ظل صديقا للأحرار الدستوريين ، وعدوا للوفد والوفديين .

ولعل التحرر من الاغراق فى المشكلات الحزبية والقضايا المحلية أتاح للرجل ان يوجه طاقاته فى القضايا الاجتماعية والعربية والاسلامية ، وهو الوجه الذى عرف به فى نهاية الأمر ، بل انه الوجه الذى يقى منه للتاريخ .

فهو عندما تولى وزارة المعارف عرض على الملك فؤاد ضرورة ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الأجنبية . وسنة ١٩٣٦ عرض على مجلس الشيوخ مشروعا لتنظيم (تعدد الزوجات) بما يتفق مع الدين وتستلزمه التطورات الاجتماعية وكان مشروعه ينص على (ان الرجل اذا أراد ان يتزوج بثانية ، وجب عليه عرض الأمر على قاض

مختص يبحث الضرورة التى تقضى السماح بعقد الزواج) • وقدم مشروعا بتنفيذ حق الطلاق تقييدا يتفق مع قواعد الشريعة الاسلامية •

وكان « محمد على علوية » أول سفير لمصر فى الباكستان أواخر سنة ١٩٤٨ ، وعمل على نشر اللغة العربية وتقوية الروابط بين مصر والباكستان •

ويسجل لعلوبة اهتمامه بالمسألة الفلسطينية وله كتاب (فلسطين والضمير الانسانى) نشر بعد سنة ١٩٦٤ (وكان قد توفى فى ٢٥ مارس ١٩٥٦) واهتمام علوية بالقضايا العربية والاسلامية قديم يعود الى عام ١٩٢٩ حيث اهتم بقضية البراق • وأصبح عضوا مؤسسا للجنة المؤتمر الاسلامى وسافر الى القدس مع أحمد زكى شيخ العروبة ، وعبد الحميد سعيد للدفاع عن ملكية العرب لحائط البراق التى شكلتها عصبة الأمم لتحقيق النزاع •

واذا كان محمد على علوبة قد تخلى منذ عام ١٩٣٤ من الاطار الحزبى فى سلوكه وفى مواقفه فانه لجأ الى الاسلام يستمد منه أفكاره الجديدة سواء فى المشكلات الاجتماعية كالطلاق وتعدد الزوجات ، أو فى الأمور السياسية كالديمقراطية وبسط رأيه فى كتابه (الاسلام والديمقراطية) ودعوته الى ديمقراطية انسانية • وفى الوقت ذاته حمل « علوية » على الماسونية وقال : انها وراء ثورات فرنسا وأحداث تركيا ١٩٠٨ ، والثورة السوفيتية ١٩١٧ ، وأحداث اسبانيا ١٩٣٦ ووراء الحركة الصهيونية • وأطماعها فى فلسطين• وفى كتابه (مبادىء فى السياسة المصرية) الذى أصدره عام ١٩٤٢ ينادى بـ (كتلة عربية) على أساس ان البلاد العربية تتكلم لغة عربية واحدة وتربط بينها ثقافة واحدة • ويدين غالبيتهم بالدين الاسلامى • ونادى (بكتلة عربية) مع احتفاظ كل دولة عربية

بسيادتها واستقلالها ، لقد بدأنا معه وهو مجرد عضو بأحد الأحزاب المصرية ، وانتهينا معه وهو مفكر مصرى عربى اسلامى ·

أسانيد المقال

● طارق البشرى	« الحركة السياسية في مصر »
● ماريوس ديب	« الوفد وخصومه ترجمة عبد السلام رضوان » ·
● محمد علي علوية	« ذكريات اجتماعية وسياسية » ·
● محمد فريد	« المذكرات »
● محمد كامل سليم	« صراع سعد في أوروبا » ·



محمد عبد الله عنان

● الجائزة التقديرية وعضوية المجمع اللغوى فى الثمانين من عمره •

● ترك المحاماة والوظائف وتفرغ للدراسات الاسلامية وتاريخ العرب فى الأندلس •

تسعون عاما على ارض مصر الطيبة ٠٠ ورجل بدأ حياته ماركسيا وزعيما لحزب شيوعى وانتهى مؤرخا عربيا اسلاميا • بدأ حياته ثائرا محرضا على الثورة وانتهى وديعا وقورا • بدأ حياته يميل الى موسكو حيث ثورة اكتوبر الاشتراكية وانتهى عاشقا لمدينـــة القاهرة قلب العروبة والاسلام وداعيا لاحياء عيدها الألفى • بدأ مفكرا ماديا وانتهى محبا للأزهر الشريف وكاتبا لدراسة عن تاريخه من أروع الدراسات عن رحلة الأزهر عبر الف عام • بدأ كاتبا لتاريخ الجمعيات السرية ، ولتاريخ المؤامرات السياسية وانتهى كاتبا لتاريخ الاسلام فى الأندلس ، ولتراجم اسلامية ــ شرقية واندلسية •

آخر مرة لقيته فيها ، كانت وسط البلد كما نقول « فى احد الشوارع المزدحمة يتكىء الى ذراع تلميذه وصديقه ، زميلنا وصديقنا حسين فوزى النجار ، كان المرض يناوشه وفى سبيل ان ينتصر عليه ٠٠ نظرت اليه وارتد الذهن ستين عاما الى الخلف او تزيد ٠٠ أهذا الوديع الوقور كان خلف عمال الاسكندرية وهم يرفعون الراية الحمراء على مصانع الاسكندرية •

من أين نبدأ مع هذه الشخصية الخصبة ؟ من اين نبدأ مع

« محمد عبد الله عنان » ؟ نبدأ من حيث بدأ حياته ، أو من حيث قدر له أن يبدأ .. فى يوليو ١٨٩٦ فى قرية بشلا مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية ولد « محمد عبد الله عنان » ، وفى كتاب القرية حفظ ما تيسر من القرآن وانتقلت الأسرة الى القاهرة فتلقى دروسه الابتدائية فى مدرسة العقادين الأميرية ، وبعد أن حصل على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٩ دخل المدرسة الخديوية الثانوية وحصل منها على البكالوريا سنة ١٩٠٤ . درس القانون فى مدرسة الحقوق وحصل على الليسانس سنة ١٩١٨ واشتغل بالمحاماة . وكانت الحركة الوطنية المصرية تموج بتيارات كثيرة ، تيار الحزب الوطنى ، وتيارات عمالية وتيارات وطنية واستطاع سعد زغلول ان يوحد الصفوف جميعهـا تحت قيادته فى (الوفد المصرى) .

نشطت الحركة النقابية فى مصر فى العقد الأول وفى منتصف العقد الثانى من القرن العشرين نشاطا ملحوظا ، وتكونت نقابات عديدة فى مختلف المهن والصناعات ولكن بنشوب الحرب العالمية الأولى (١٩٠٤) واعلان الحماية البريطانيـة ، واعلان الأحكام العرفية ، توقفت الحركة النقابية ، وتوقف نشاطها أثناء الحرب .

قاسى العمال والفلاحون أثناء الحرب من جراء تجنيدهم عنوة ، وتشغيلهم سخرة فى أعمال قوات الاحتلال ومات منهم الكثيرون بعيدا عن قراهم وعن ديارهم . وما أن تألف الوفد المصرى بزعامة سعد حتى كان العمال والفلاحون فى مقدمة المؤيدين لتحقيق مطـالب البلاد . وما ان اشتعلت الثورة فى ٩ مارس ١٩١٩ حتى كان عمال النقل أول المضربين ، وتعطلت حركة النقل والمواصلات ، وأضرب عمال العنابر وخرج العمال فى المظاهرات وسقط منهم قتلى كثيرون .

وبعد الافراج عن « سعد » ورفاقه شارك العمال فى مظاهرات

الابتهاج يومى ٧ ، ٨ ابريل ١٩١٩ • وكانت مظاهرة قومية ، شارك فيها الشعب بطوائفه المختلفة •

وفى تلك الفترة ظهرت أسماء عديدة تؤيد العمال فى مطالبهم وتدعو الى تشكيل نقاباتهم ، وكان فى مقدمة هذه الأسماء « محمد عبد الله عنان » وعادت بعض النقابات القديمة الى نشاطها ، وظهرت نقابات جديدة أخرى ومن بين الأسماء المصرية الأخرى التى ظهرت فى هذا المجال الى جانب اسم « محمد عبد الله عنان » • اسم « الدكتور محجوب ثابت » واسم « عبد الرحمن فهمى » الذى كان له دور كبير فى تكوين اتحاد عمال مصرى يرتبط بالوفد فى مواجهة النشـــاط الأجنبى الذى وقف خلف عدد من النقابات خاصـــة بالاسكندرية •

المنـاخ الثقافى

وقد شهد العقد الثانى من القرن العشرين وهو العقد الذى بدأت تتشكل فيه شخصية عنان الثقافية بدايات ثقافية على جانب كبير من الأهمية ألقت بظلالها على « محمد عبد الله عنان » وباقى أفراد جيله •

سلامة موسى ينقل أفكار ماركس وتولستوى وغاندى ، وشبلى شميل ينقل أفكار دارون ، وطه حسين يتحدث عن الأفكار الاجتماعية لابن خلدون ، واســماعيل مظهر يســير فى اتجــاه شبلى شميل ويتصدى « فريد وجدى » لتيار الفكر المادى ، وبعد ثورة أكتوبر الاشتراكية يتصاعد الحديث عن الفكر الاشتراكى ويتصـــدى لهم الشيخ التفتازانى والشيخ محمد بخيت المطيعى • ويظهر العقاد وسطا بين الاتجاهين ونادى بالاصلاح مستندا الى التراث الاسلامى• وبظهر أحمد لطفى السيد ليدعم تيار الديمقراطية ومعه مدرسة

الاســتنارة التى بدأت فى حزب الأمة وتبلورت فى حزب الأحرار الدستوريين حتى بعض رموز الحزب الوطنى كمحمد فريد اهتم بالتعاون وبالنقابات وبالنشاط العمالى ٠

وينشط عدد من المثقفين فى محاولة لحزب تحت اسم (الحزب الديمقراطى) منهم « محمود عزمى ، ومنصـــور فهمى ، وعزيز ميرهم ، ومحمد حسين هيكل » ٠

والأجانب كان لهم نشـــاط آخر فى اتجاه تأسيس خـلايا شيوعية ، خاصة جماعات من اليونان والأرمن والايطاليين والروس والبيض ٠ وأبرز هؤلاء جميعا شخصية غامضة هو « روزنتال » الذى حرك هذه الجماعات الأجنبية فى اتجاه تأسيس نقابات عمالية ، وفى اتجاه تحريض النقابات على الاضرابات ، وفى اتجاه تجميع عدد من المثقفين المصريين لتأسيس حزب شيوعى مصرى ٠

وفى أغسطس ١٩٢١ يصدر بيان بتكوين (الحزب الاشتراكى) والعناصر المؤسسة له هم « على العنانى ، ســلامة موسى ، محمد عبد الله عنان ، حسنى العرابى » ٠

ولكن صراعا غريبا يدور بين هؤلاء المصريين ٠ وبين بعضهم والعناصر الأجنبية التى وقفت خلف الحزب ٠ فسلامة موسى يبدو أنه من العناصر التى تكتفى بالدعاية لأفكارها ولا يرغب فى أن يحكمه تنظيم معين ٠ وهو من دعاة الاشتراكية القدامى منذ أن أصدر كتابا عن الاشتراكية سنة ١٩١٣ ٠ ونجده بعد الاعلان عن تأسيس الحزب يشن حملة ضد (البلشفية) وانها نشرت الخراب والدمار فى روسيا ، ويعلن ان أى نشاط شيوعى فى مصر يضر بقضية البلاد الوطنية ـ وهو هنا يقترب من موقف سعد زغلول وموقف الوفد الذى سوف نشير اليه فى فقرات أخرى ٠ وبرر سلامة موسى موقفه

هذا بأنه كان يرغب فى تأسيس جمعية وليس فى تأسيس حزب وينسحب سلامة موسى من الحزب ليتفرغ لعمله الصحفى •

أما « محمد عبد الله عنان » والذى ظهر اسمه كسكرتير للحزب فى فترة ما فانه بعد ان ظل يدافع عن الحزب ومبادئه ينفض يديه من الحزب ويبتعد عن رجاله ويجد المرفأ لدى حزب الأحرار الدستوريين وفى جريدة السياسية اليومية والاسبوعية وتلك قصة أخرى •

كان « روزنتال » ومجموعة الأجانب يصرون على تغيير اسم الحزب الاشتراكى الى الحزب الشيوعى وان ينضم الى الشيوعية الدولية (الثالثة) وكان يؤيديهم فى هذا الاتجاه « محمود حسنى العرابى ». وتزعم « محمد عبد الله عنان » المعارضة وانفصل وكان قد سبقه « سلامة موسى » عندما أراد ان يقصر نشاط الحزب فى (جمعية) تبشر بما أسماه (بالاشتراكية المصرية) ، وسبقه « على العنانى » الذى نادى بما تقره الأحكام الشرعية والقوانين الدستورية • واتضح فيما بعد ان الصراع كان يدور حول منصب سكرتير الحزب• كان سلامة موسى يرى أنه أجدر العناصر به ، وكانت الصحف قد أشارت ان سكرتير الحزب هو « على العنانى » وينشر « سلامة » بيانا ويوقعه باسمه كسكرتير للحزب • وانتهى هذا الصراع حول المنصب بأن اختار الأعضاء « محمد عبد الله عنان » سكرتيرا وكان مقره بجنينة الناصرية بالسيدة زينب بالقاهرة •

جريدة السياسة

على أية حال فقد انسحب محمد عبد الله عنان وسلامة موسى والعنانى ومضى «حسنى العرابى» فى قبول شروط (الدولية الثالثة) لاعلان الحزب كحزب شيوعى وذلك بفعل العناصر الأجنبية • وكان

لسعد زغلول رأى فى هذا النشاط الأجنبى وهو انه ضار بالحركة الوطنية • وجاء رأى « لينين » الذى سجله « ابراهيم عامر » فى كتابه (ثورة مصر القومية) قريبا من رأى سعد زغلول اذ ان لينين اتهم الأجانب الذين يقفون خلف الحزب الاشتراكى المصرى وخلف اضرابات العمال بأنهم عملاء لدول أجنبية وجواسيس يقومون بأعمال استفزازية لضرب الحركة الوطنية على أية حال فقد حدد « عنان » موقفه وأدان الاتجاه الجديد وفى الوقت نفسه كان « عبد الرحمن فهمى » حسب توجيهات « سعد زغلول » قد أصدر جريدتين للعمال، وقام بتأسيس (اتحاد نقابات عمال وادى النيل) بزعامة عبد الرحمن فهمى • وأصدر سعد زغلول قرارا بحل الحزب الشيوعى ، وتم القبض على عدد من قادته الأجانب والمصريين وترحيل عدد من الأجانب • ويقول « ابراهيم عامر » انه ثبت أن « روزنتال » كان رعية بريطانية وسافر الى الخارج ولعل هذه الأوضاع كلها •• دور الأجانب فى تحريض العمال •• وموقف الحزب من تقاليد البلاد ، وانتشار الاضرابات فى الوقت الذى كان الوفد يتعرض فيه لأول انقسام •• لعل هذه الأوضاع كلها هى التى عمقت التناقضات بين القيادات المصرية العلنية من القيادات الخفية الأجنبية وجعلت « محمد عبد الله عنان » الذى كان سكرتيرا يوما ما للحزب ينفصل عنه •

وفى حزب الأحرار الدستوريين وجد « محمد عبد الله عنان » مكانه داخل جريدة السياسية اليومية والسياسة الاسبوعية الى جانب الدكتور محمد حسين هيكل ، والدكتور محمد صبرى السربونى ، ومصطفى عبد الرازق ، وابراهيم عبد القادر المازنى ، ومحمد توفيق دياب ، وعبد العزيز البشرى ، وعلى عبد الرازق ، ومحمود عزمى ، واسماعيل مظهر وفكرى أباظة ، ومحمود تيمور •

ويروى « فتحى رضوان » فى كتابه (أفكار الكبار) كيف

انه واظب على رؤية « محمد عبد الله عنان » فى مكتبه بحديقة مبنى جريدة السياسة الذى كان مبنى حزب الأحرار الدستوريين ..
ويقول (لم أره فى جميع الزيارات ولا حين ألقاه خارجا من مكتبه ، أو سائرا فى الطريق ، أو فى اجتماع يضم الدكتور هيكل ، وبعض زوار حزب الأحرار أو جريدة السياسة ، لم أره فى كل هذا . غاضبا أو محتجا أو عنيفا ، أو غليظا أو سيىء المزاج بل لم أسمع له رأيا فى السياسة والشئون العامة بل كان فى جميع الأحوال لطيفا ودودا مقبلا على ضيفه ، حسن اللقيا ، وحسن التوديع ..
ولفت نظرى ان الأستاذ محمد عبد الله عنان عاش حياته ، منذ هجر المحاماة بعد سنوات من تخرجه فى مدرسة الحقوق سنة ١٩١٨ وهو يعمل فى الصحافة وكان أكثر عمله فى صحافة الأحرار الدستوريين ومع ذلك لم يستدرجه هذا القرب الحميم ، وصلته الدائمة برئيس تحرير جريدة السياسة ، الى العمل بالسياسة فأصبح أشبه بشىء يجلس الى جانب بركان يقذف حممه ، وهو مستغرق فى تصوراته وتأملاته .

عقب ان تخرج فى مدرسة الحقوق سنة ١٩١٨ تفرغ « محمد عبد الله عنان » للمحاماة وللعمل السياسى ، والكتابة فى الصحافة وبعد أن انسحب من الحزب الاشتراكى أو الشيوعى انصرف الى كتابة ثلاثة كتب وكان لم يزل مدفوعا بالأساس الفكرى القديم .. الأول هو كتاب (قضايا التاريخ الكبرى) وقد صدر فى يوليو سنة ١٩٢٥ وقدم له صديقه « الدكتور محمد حسين هيكل » رئيس تحرير جريدة السياسة والعضو البارز فى حزب الأحرار الدستوريين . والثانى هو (تاريخ الجمعيات السرية) سنة ١٩٢٦ والثالث هو (تاريخ المؤامرات السياسية) سنة ١٩٢٨ . وأكثر فصول هذه الكتب الثلاثة قد نشر فى مجلة (الهلال) وفى جريدة

السياسة ، وهي كلها كتب تنم عن قدرة « محمد عبد الله عنان » على التحصيل والتأليف معا ٠

الدراسات الاسلامية والعربية

وبعد الكتب الثلاثة الأولى والتي نلمس فيها حركة قصور ذاتي لنشاطه السابق نجد ان « محمد عبد الله عنان » نزل عن رغبة واقتناع في ميدان الدراسات الاسلامية والعربية فيصدر بالعربية والانجليزية (مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام) ثم يصدر (مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية) و (مؤرخو مصر الاسلامية) ٠ وكتابه الشهير (الحاكم بأمر الله) وهو المرجع الوحيد الكامل عن هذه الشخصية المثيرة ٠ أما كتابه (تاريخ الجامع الأزهر) فسوف يظل مرجعا فريدا عن رحلة الأزهر في ألف عام وقد أشرنا اليه في صدر بحثنا هذا ، وقد نشر « عنان » مستندا الى هذا العمل بحثا رائعا نشره مرة في مجلة (العربي) ونشر مرة ثانية باذن من المجلة في (الكتاب التذكاري) في الاحتفال بالعيد الألفي للأزهر وصدر له أيضا (تراجم اسلامية) ــ شرقية وأندلسية ٠

ومنذ سنة ١٩٤٣ وقف « محمد عبد الله عنان » نفسه وقلمه على تاريخ الحضارة العربية في الأندلس ٠ وجاءت أعماله في هذا الميدان تشغل أكثر من أربعة آلاف صفحة في سبعة مجلدات ضخمة ، وعكف على تحقيق كتاب (الاحاطة في أخبار غرناطة) ونشر (الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا) و (نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين) و (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس) و (دول الطوائف) و (دولة الاسلام في الأندلس ــ جزءان) ٠ والى جانب هذا كله عني بدراسة (ابن خلدون ــ حياته وتراثه الفكري) ٠ ومن هنا تكون أعمال « محمد عبد الله عنان »

جميعها فى اطار التاريخ دراسة وتحليلا وفى محاور سياسية واسلامية وعربية ٠

كان قد بلغ الثمانين من عمره عندما انتخب لعضوية مجمع اللغة العربية سنة ١٩٧٦ فى الكرسى الذى خلا بوفاة المرحوم الدكتور « عبد الحكيم الرفاعى » وقد قال عنه الأستاذ « على النجدى ناصف » يوم استقباله : لم يتبوأ الأستاذ عنان مكانه هذا بين أنداده ، وفى قلوب قرائه ، عفوا ميسورا ، ولكن جهادا كبيرا ، وصنيعا مشكورا ، يتمثلان فى آثار له حسان ، وبحوث شائقة متعددة ، أصاب الناس منها علما غزيرا ، ومتاعا طيبا لا لغو فيه ولا تأثيم ٠

ويسجل الأستاذ الدكتور « محمد مهدى علام » اتجاها بارزا فى فكر الأستاذ عنان ــ سعدت بلقائه فى باكورة الستينيات عندما عهد الى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، فى تأليف لجنة يشترك فيها عضو من كل لجنة من لجان المجلس ، لتختار أسماء الأبطال فى التاريخ العربى والاسلامى ٠ وكان الأستاذ محمد عبد الله عنان ممثلا للجنة التاريخ وحدث ان كان من بين الأسماء المقترحة للاحتفال ببطولتها اسم سليمان الحلبى قاتل كليبر ، القائد الفرنسى الذى ناب عن نابليون فى مصر فى الحملة الفرنسية ، فعارض هذا الاستاذ المؤرخ ، قائلا نحن لا نؤيد الاغتيال السياسى ، ولا يليق ان نعد هذه الشخصية من بين أبطال الاسلام ٠ ووافقت اللجنة على رأيه ٠ الى هذا الحد كان الرجل فى شيخوخته حريصا على ارساء ما يؤمن به من أفكار انسانية تبتعد بالانسان عن الاغتيال السياسى ٠

وفى السنة ذاتها ١٩٧٦ تقرر منح « محمد عبد الله عنان » جائزة الدولة التقديرية فى الآداب ٠ كان قد بلغ الثمانين من عمره

كما ذكرنا ، وكان تلاميذه وأبناؤه من الذين يجيدون السير في دهاليز وزارة الثقافـة وفي دهاليز المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب قد حصلوا على الجائزة دون أن يكون لديهم مثل ما لديه من علم ومعرفة ، ودون ان يكون لديهم مثل ما لديه من انتاج • وانما كانوا يجيدون الدعاية والاعلام ، وكان لديهم البريق اليومي ، وهكذا قدر لمناضل قديم سواء اتفقنا أو اختلفنا معه ، وقدر لمؤرخ كبير سـواء عرفنـاه أو لم نعرفه ، قدر له أن يتقدم الى جائزة الدولة التقديرية ويخفق في الحصول على الأصوات مرة ومرة حتى أصبح الأمر مدعاة للخجل عند الذين يملكون الأصوات •

رجل غير مشهور

لعلى على صواب اذا قلت ان الجيل الجديد من شباب هذه الأيام ، لا يعرف شيئا عن « محمد عبد الله عنان » والجيل الوسيط يعرف النذر القليل والجيل القديم الذى يؤذن بالرحيـل يعرفه مؤرخا عربيا اسلاميا ، ويعرفه كاتبا صحفيا وربما لا يعرف عنه سنوات النشأة أو التكوين واذا عرف بعضهم شيئا من هذا فانهم لا ينسبونه الى الرجل ولا يعرفون الرجل به وكأنهم يريدونه كما أراد لنفسه فى شيخوخته فهو ينظر الى أيام الشباب كصفحة انطوت وعفا الله عما سلف فلم أجد فيما كتبه « فتحى رضوان » عنه شيئا عن حياته ومواقفه أيام الشباب ولم أجد فيما كتبه « دكتور محمد مهدى علام » شيئا من هذا أيضا •

وها هو « محمد عبد الله عنان » كما نقدمه هنا •• ولد سنة ١٨٩٦ فى قرية من قرى الدقهلية ، وحفظ القرآن ، وتعلم علوم الابتدائى والثانوى ومدرسة الحقوق بالقاهرة حتى تخرج فيها سنة ١٩١٨ • وعايش ثورة ١٩١٩ ووقف على يسار الثورة مع عدد من

المثقفين اليساريين حتى سنة ١٩٢٤ • وارتد عن هذا التيار وواصل الهجوم على رفاق الأمس ، وتفرغ للمحاماة وللصحافة وللتأليف والترجمة ، والتحق ببعض الوظائف حتى وصل الى منصب (المراقب) وهي وظيفة دون (المدير العام) ثم تفرغ للحضارة الاسلامية في الأندلس ، وللحضارة الاسلامية عامة • وحصل على جائزة الدولة التقديرية وعضوية مجمع اللغة العربية سنة ١٩٧٦ • وظل وديعا وقورا معتزا بنفسه حتى رحل في يناير ١٩٨٦ • رحم الله « محمد عبد الله عنان » بقدر ما أعطى ، وبقدر ما أتيح له من رؤية • وقد قال عنه « أحمد بهاء الدين » أخيرا انه أحد أعظم المؤرخين المصريين في كل العصور •

أسانيد المقال :

- ابراهيم عامر — ثورة مصر القومية
- فتحي رضوان — تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر
- د• رءوف عباس — الحركة العمالية في مصر
- د• رفعت السعيد — أفكار الكبار
- د• محمد مهدي علام — المجمعيون في ٥٠ عاما



محمد حافظ رمضان

● الحزب الوطنى يقرر عدم الاشتراك فى الحكم فيشترك رمضان خمس مرات •

● الحزب الوطنى ينتخب حافظ رمضان رئيسا بعد وفاة محمد فريد بأربع سنوات •

● الرافعى ورضوان يتنازعان رئاسة الحزب الوطنى ورمضان طريح الفراش •

هو آخر رؤساء (الحزب الوطنى مصطفى كامل ومحمد فريد) هو آخر رؤساء الحزب الوطنى بعد محمد فريد فى فترة الانقسامات والعزلة اذا شئت ، او فى فترة المحاق اذا اراد آخرون •

كانت تقاليد الحزب الا يشارك فى الحكم ، ومع ذلك دخل هو الوزارة خمس مرات ، وكلها من وزارات الأقلية السياسية الموالية للقصر ، ظل رئيسا للحزب الوطنى منذ سنة ١٩٢٣ حتى سنة ١٩٥٣ حين اصدرت قيادة يوليو قرارا بحل الأحزاب والغاء دستور ١٩٢٣ •

فى عام الأحزاب ، عام ١٩٠٧ ظهرت أحزاب كثيرة منها (حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية) ورئيسه الشيخ على يوسف وسبقته جريدته (المؤيد ١٨٨٩) ومنها (حزب الأمة) ورئيسه « محمود سليمان » وسبقته جريدة (الجريدة ١٩٠٧) ، أما « مصطفى كامل) فكان قد اصدر (اللواء سنة ١٩٠٠ وفى ديسمبر ١٩٠٧ اجتمعت اول جمعية عمومية للحزب الوطنى وانتخبت « مصطفى كامل باشا » رئيسا للحزب مدى الحياة التى دامت لشهرين فقط بعد

هذا الانتخاب واختيرت لجنة ادارية للحزب من « محمد فريد ، محمد حافظ رمضان ، احمد فايق ، حسن حارس ، سيد شكرى ، على واصف ، عمر انيس ، فؤاد سليم حجازى ، ويصا واصف ، وحسين يسرى ، محرم رستم ، يوسف ذهنى ، على فهمى كامل ، على حشمت ، محمود لبيب ، محمد خلوصى ، محمد رشوان ، عبد الرؤوف السيوفى ، يوسف حافظ ، ابراهيم حفظى ، عبد الله طلعت ، على لهيطة ، اسماعيل الملوانى ، محمد عبد اللطيف ، فهمى حسين ، واحمد الجهينى » على ان يكون الحزب للأمة كلها وأن يتمسك بالنظام الدستورى .

واذا كان الحزب الوطنى قد اعلن عنه « مصطفى كامل » فى أكتوبر ١٩٠٧ ثم اجتمعت الجمعية العمومية فى ديسمبر من العام نفسه الا ان واقع الأمر يدعونا الى ان نعتبر الحزب الوطنى كان موجودا منذ عام ١٩٠٠ موجودا كمجموعة تلتف حول « مصطفى كامل » وحول افكاره الرئيسية ، وقد ظهرت جريدة اللواء فى ٢ يناير سنة ١٩٠٠ لتعبر عن أفكار هذه المجموعة فى مواجهة المؤيد التى كانت قد بدأت تهادن الانجليزى بعد ان كانت صوتا متميزا فى معارضة الاحتلال وبدأت تنافس مصطفى كامل فى التعبير عن راى الخديو الذى بدأ يخفف من اعتماده على مصطفى كامل ومن الطريف أن الشيخ على يوسف قد نشر افكار قاسم امين على صفحات المؤيد .

واذا كان الحزب الوطنى فى اتجاهه الغالب وفى فتراته الأولى حتى قبل الاعلان الرسمى ينسق مع الخديو ويحرص على تأييد الباب العالى والدولة العثمانية فان هذه الدعاوى لم تكن مرفوضة من غالبية الرأى العام المصرى ، وبالتالى لم تشكل عقبة أمام مسيرة مجموعة مصطفى كامل ، أما دعوته الى مقاومة الاحتلال والتشدد فى هذه الدعوة فقد جعلت منه حزباً وطنيا متميزا كسب قطاعا هاما من المجتمع المصرى بحيث يمكن أن نقول ان (الحزب الوطنى)

خاصة فى فترة « مصطفى كامل » كان (حزب الجلاء) وكان (حزب الأغلبية) ٠

وفى هذا العام عام ١٩٠٧ الذى يطلق عليه البعض (عام الأحزاب) ظهرت جماعة أطلقت على نفسها اسم (الحزب الوطنى الحر) ٠ واذا كان الشيخ على يوسف كانت عنده (المؤيد) ومصطفى كامل عنده (اللواء) وصحف أخرى واحمد لطفى السيد عنده (الجريدة) فان المقطم ذات الميول الاحتلالية وضعت صفحاتها فى خدمة مجموعة (الحزب الوطنى الحر) ٠ وكان الشخصان الرئيسيان فى هذا الحزب هما « محمد وحيد ومحمد نشأت » وبعد ذلك صدرت عن الحزب جريدة « الأحرار » وتوالت بعد ذلك أحزاب عديدة مختلفة الاتجاهات ٠٠

والمؤرخ المنصف لا يستطيع أن يقول ان الأحزاب التى ظهرت فى عام ١٩٠٧ وفى السنوات القليلة التالية قد اثرت فى مسيرة الحزب الوطنى بقدر ما أثر فيه رحيل زعيمه ومؤسسه « مصطفى كامل » فى ١٠ فبراير ١٩٠٨ ٠ ففى اليوم التالى للرحيل وقع ما يشبه الانشقاق فى الحزب الوطنى ٠٠ مجموعة بقيادة « على فهمى كامل » شقيق الزعيم المؤسس « مصطفى كامل » ٠٠ ومجموعة من بينها « محمد حافظ رمضان » تؤيد « محمد فريد » ٠٠ وكان الخديو والشيخ على يوسف ضد اختيار محمد فريد رئيسا للحزب فى ١٤ فبراير ١٩٠٨ ٠ وظهر الخلاف أيضا فى صحافة الحزب فقد تولى الشيخ عبد العزيز جاويش رئاسة تحرير اللواء ٠ واستمر الحال والخلاف يتزايد داخل الحزب الوطنى حتى سافر رئيسه محمد فريد سرا الى خارج البلاد فى ٢٦ مارس ١٩١٢ ٠

فى مصر بدأت تتبلور الحركة الوطنية حول مفهومات جديدة قوامها الاستقلال عن انجلترا وعن تركيا وحول حياة دستورية يكون للشعب فيها دور واضح أما الحزب الوطنى فقد غاب عنه رئيسه والشخصيات ذات الفعالية التى سافرت مع محمد فريد أو لحقت به وقد زاد ارتباطها بتركيا وبالخديو نظرا لاعتمادها عليهما كمصدر للتمويل فانعزلت المجموعة القيادية عن تيار الحركة الوطنية المصرية الجديدة .

ولكن المندهش الأعظم « محمد فريد » ازاء الثورة القومية الكبرى (من الأمور التى كانت غير منتظرة ما حصل بمصر فى شهرى مارث ــ يقصد مارس ــ وابريل هو قيام ثورة عامة اشتركت فيها الأمة بجميع طبقاتها ..) يبقى فى أوروبا لا يقدر على اصدار توجيه واحد ازاء الأحداث الجارية فى مصر .

وأخذت عناصر الحزب الوطنى داخل مصر تتصرف دون توجيهات من القيادة القابعة فى أوروبا تبهرها شعبية « سعد » الجارفة وتدهشها صلابة « عبد الرحمن فهمى » وجهازه السرى وتقيدها مفهومات عامة ورثوها عن « مصطفى كامل » .

ونقرأ فى صفحتى ٣٠٥ و ٣٠٦ من مذكرات محمد فريد بعد الهجرة .. (علمت بأن انجلترا صرحت لوفد آخر كل أعضائه من الحزب الوطنى بالسفر الى باريس .. يتسير الى وفد آخر غير وفد سعد زغلول الذى سافر يوم ٨ ابريل ١٩١٩ ــ وهو مؤلف من أحمد لطفى ــ شقيق عمر لطفى ــ والدكتور اسماعيل صدقى ــ غير اسماعيل باشا صدقى ومحمد حافظ رمضان ، وعبد اللطيف الصوفانى ، ومحمد كمال أبو جازية وأحمد وجدى ومصطفى

الجورجي ومحمد زكي على ، وأحمد وفيق رفعت ، ومحمد فؤاد حمدى) .. وعلى صحة ٣٠٧ نعرف ان رجال الحزب الوطنى قرروا عدم السفر لعدم عرقلة وفد سعد ما دام هذا الوفد يطالب باستقلال مصر وحتى تسقط دعوى الانجليز بأن المصريين غير متفقين .

على أية حال فان رجال الحزب الـوطنى داخـل مصر كانوا سيتصرفون دون توجيه من محمد فريد وأن «محمد حافظ رمضان» وزملاءه تركوا مكانا لمحمد فريد حتى وهو فى أوروبا ويعيشون على هدى تراث الحزب .

ولكن « محمد فريد » يرحل الى رحاب الله فى نوفمبر ١٩١٩ والفاعليات الرئيسية فى برلين وباريس والاستانة وتلاميذ مصطفى وفريد بين أمواج الأحداث فى مصر الا أنهـم يتركون مكان رئاسة الحزب شاغرا حتى يوم ٩ مايو ١٩٢٣ بعد شهر واحد من اعلان (دستور ١٩٢٣) . اجتمعت اللجنة الادارية للحزب فى شكل جمعية عمومية مصغرة وانتخبت محمد حافظ رمضان رئيسا ولم يلبث ان أعلن حسن شافعى الجيزاوى تشكيل ما أسماه اللجنة العامة للحزب الوطنى واتشح بالملابس السوداء حزنا على مصطفى كامل ومحمد فريد ورفض الاعتراف بحافظ رمضان رئيسا للحزب الوطنى لخروجه على خط الزعيمين الراحلين وأعلن اسقاط العضوية عن كل اتباع حافظ رمضان وزعم أن مؤيدى (اللجنة العامة) هم وحدهم الأعضاء الحقيقيون للحزب الوطنى .

وكان محمد حافظ رمضان قد أرسل برقية الى الزعيم سعد زغلول يخبره فيها بانتخاب اللجنة الادارية له رئيســا للحزب الوطنى . وقد فسرت هذه البرقية على انها محاولة من حافظ رمضان للوئام مع الوفد الممثل للأغلبية الشعبية الا ان عاصفة من النقد

هبت على الرئيس الجديد للحزب الوطنى من الرافعى والجيزاوى فى مصر ومن عبد العزيز جاويش من خارج مصر .

واشتدت العاصفة على رمضان عندما دخل فى مفاوضات مع سـعد زغلول بهدف ائتلاف الحزب الوطنى مع الوفد والأحرار الدستوريين وقاد الهجوم هذه المرة فكرى أباظة ، وظهرت دعوة لخلع حافظ رمضان واختيار عبد الحميد سعيد بدلا منه ، وقدم حافظ رمضان استقالته ولكنها رفضت داخل اللجنة الادارية التى سرعان ما أيدت نظام اسماعيل صدقى مع حزبى الاتحاد والشعب مما زاد من حدة الخلافات داخل الحزب وزاد من عزلته عن التيار الديمقراطى الذى يرفض دكتاتورية صدقى باشا .

وحدث ان اختير عبد الرحمن الرافعى سكرتيرا للحزب الوطنى بدلا من محمد زكى على وذلك فى ٢٦ ديسمبر ١٩٣٢ وكان الرافعى معارضا لائتلاف الحزب الوطنى مع الوفد والأحرار وفى الوقت نفسه معارضا لموقف الحزب من تأييد نظام صدقى وكان لتأييد الحزب لنظام صدقى أثره السيىء على وحدة الحزب فتركه البعض الى أحزاب أخرى مما حدا بحافظ رمضان الى أن يقدم استقالته من رئاسة الحزب مرة ثانية فى ٢٣ ابريل ١٩٣٣ ورفضت اللجنة الادارية الاستقالة الثانية كما سبق أن رفضت الاستقالة الأولى .

وقد ساند عبد الرحمن الرافعى سكرتير الحزب حافظ رمضان رئيس الحزب فى انضمام الحزب الوطنى الى (الجبهة الوطنية) التى أعلنت فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ من أحزاب الوفد والأحرار الدستوريين وحزب الشعب وحزب الاتحاد والوفد السعدى والحزب الوطنى

والمستقلين وذلك لاعادة العمل بدستور ١٩٢٣ وتوقفت جهود الحزب الوطنى عند هذا الحد وبعدها استكملت الجبهة الوطنية جهودها التى انتهت بمعاهدة ١٩٣٦ التى هاجمها الحزب الوطنى .

رمضان والحكم

كان الحزب الوطنى بعد رحيل مصطفى وفريد يرفض قبول الاشتراك فى الحكم ويعد ذلك خروجا على مبادىء مصطفى وفريد وقبولا ضمنيا لمعاهدة ١٩٣٦ التى هاجمها الحزب ولكن بعد اقالة وزارة مصطفى النحاس الرابعة فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ ، شكل محمد محمود وزارته الثانية واشترك فيها حافظ رمضان كوزير دولة وهاجمه عبد الرحمن الرافعى بشراسة واعتبره بعض الأعضاء مفصولا من رياسة الحزب .. وما لبث « حافظ رمضان » ان دخل وزيرا للشئون الاجتماعية فى وزارة حسن صبرى فى يونيه ١٩٤٠ على الرغم من أن الحزب الوطنى كان قد قرر عدم الاشتراك فى الوزارة فى جلسة له بتاريخ ٢٤ يونيه وعقد عدد من أعضاء الحزب الوطنى اجتماعا فى مكتب عبد المقصود متولى واعتبروا حافظ رمضان متخليا عن عضويته ورئاسته وانقسمت اللجنة الادارية وتبادلت الأطراف المختلفة البيانات بين مؤيد ومعارض للاشتراك فى الحكومة وأعلنت مجموعة حافظ رمضان فصل عبد الرحمن الرافعى ومحمد محمود جلال من الحزب الوطنى وهكذا وصل الحزب الوطنى الى حالة من التشرذم وبأوامر من القصر عاد حافظ رمضان للاشتراك وزيرا للعدل فى وزارة أحمد ماهر فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ كرئيس للحزب الوطنى الى جانب الحزب السعدى برئاسة أحمد ماهر والأحرار الدستوريين برياسة محمد حسين هيكل والكتلة الوفدية برياسة مكرم عبيد وذلك لمواجهة الوفد الذى أقيلت حكومته واشترك رمضان باشا فى وزارة أحمد ماهر الثانية فى ١٦ يناير ١٩٤٥ وزيرا للعدل

أيضا بل اننا نجده كذلك وفي نفس المنصب في وزارة « محمود فهمي النقراشي » الأولى في ٢٤ فبراير ١٩٤٥ · وفي تلك السنة احتفل الحزب الوطني بحافظ رمضان ونودى به رئيسا مدى الحياة للحزب وتم الصلح بين الفرقاء المتصارعين سنة ١٩٤٦ · وعندما خلف « ابراهيم عبد الهادى » المرحوم النقراشي باشا في رئاسة الوزارة في ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ اشترك الحزب الوطني بوزيرين لا وزير واحد وهما « محمد زكي على وعبد العزيز الصوفاني . وفي وزارة حسين سرى التي حلت محل وزارة عبد الهادى » في ٢٥ يوليو ١٩٤٩ دخل الوزارة المعارض العديد للاشتراك في الحكم وهو « عبد الرحمن الرافعي » وزيرا للتموين ! ومعه « محمد زكي على » وزيرا للدولة وانتهت بذلك اسطورة اعتراض الحزب الوطني حزب مصطفى وفريد على الاشتراك في الحكم · الأخطر من ذلك انه اشترك في حكومات تقوم بمفاوضات مع الانجليز على عكس شعار الحزب الوطني (لا مفاوضة الا بعد الجلاء) واشترك في حكومات موالية للقصر وهو الصديق التقليدى لمؤسسى الحزب الوطني ·

اللجنة العليا

في أواخر عام ١٩٤٤ كانت مجموعة من الشباب بزعامة « فتحي رضوان » قد انفصلت عن (مصر الفتاة) وانضمت الى الحزب الوطني · ومن الطريف ان هذه المجموعة أيدت في البداية « حافظ رمضان » في مواجهة « عبد الرحمن الرافعي » وقد حرصت هذه المجموعة على التماسك تنظيميا وعدم الذوبان في تشكيلات الحزب فأسست ما أسمته (باللجنة العليا لشباب الحزب الوطني) وأصدرت صحيفة (اللواء الجديد) كتب فيها « حافظ رمضان وفكرى أباظة وعبد الرحمن الرافعي ونور الدين طراف وزهير جرانه » ·

وبعد ذلك بدأت هذه الجماعة تقول بعدم صلاحية « حافظ رمضان » رئيسا للحزب ولعلها بذلك كانت تمهد للأستاذ فتحى رضوان ليتولى رئاسة الحزب ، وكان ان اجتمعت اللجنة الادارية للحزب الوطنى بحضور « عبد الرحمن الرافعى » وقررت فى يناير ١٩٥٠ فصل « فتحى رضوان ومحمد زهير جرانه ومصطفى المنزلاوى ونور الدين طراف » من عضوية اللجنة الادارية وعضوية الحزب .

وبعد هذا الموقف بدأت اتجاهات الأطراف المختلفة تتضح .. « حافظ رمضان » رئيس الحزب الوطنى أخذ فى زيارة تقاربه مع رؤساء الأحزاب الأخرى فى مواجهة الوفد الذى كان فى الحكم بأغلبية كبيرة . وفى ١٧ يونيه ١٩٥٠ اجتمع « حافظ رمضان » رئيس الحزب الوطنى ، ومحمد حسين هيكل رئيس الأحرار الدستوريين ، و « ابراهيم عبد الهادى » رئيس الهيئة السعدية ، ومكرم عبيد رئيس الكتلة الوفدية ، وأذاعوا يوم ٢٣ يونيه بيانا الى الأمة ، ورفعوا عريضة الى الملك فاروق .

وعلى جانب شيوخ الحزب فقد زاد الخلاف بين عبد الرحمن الرافعى ، وفكرى أباظة ، وعبد المقصود متولى وبين حافظ رمضان واستقال فكرى أباظة من اللجنة الادارية . أما « فتحى رضوان » فقد مضى فى الطريق الذى يحلم به وهو أن يكون رئيسا للحزب الوطنى أو لحزب آخر . وكشف من اتصالاته بعناصر سياسية مختلفة من أجل تشكيل حزب جديد . وما أن أعلن « محمد نجيب » فى ٣١ يوليو ١٩٥٢ بيانه بتطهير الأحزاب والذى كان موجها أساسا ضد (الوفد) ، وسرعان ما اجتمعت اللجنة العليا لشباب الحزب الوطنى وأعلنت اعفاء « حافظ رمضان » من رئاسة الحزب واختيار « فتحى رضوان » رئيسا ، وكان « حافظ (ابراهيم) » ملازما للفراش .. وهنا تصدى « عبد الرحمن الرافعى » لمحاولة فتحى رضوان الاستيلاء

على الحزب الـوطنى وردت اللجنة الادارية بأن فتحى رضـــوان ومجموعته لا صلة لهم بالحزب الـوطنى • وفى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ صدر قانون تنظيم الأحزاب فسارع « فتحى رضوان » بتقديم أخطاره بتشكيل (الحزب الوطنى الجديد) برئاسة « فتحى رضوان » . وقدم « عبد الرحمن الرافعى » أخطارا (بالحزب الوطنى) برئاسة عبد الرحمن الرافعى ، كل هذا والرئيس المنتخب راقد فى فراشه يصارع المرض • ووصل الأمر الى القضاء الذى حجز القضية للحكم فى ٢٢ يناير ١٩٥٣ • ولكن السلطة الجديدة أصدرت قرارها فى ١٦ يناير ١٩٥٣ بحل الأحزاب فأراحت العرايا من شراء الصابون ، ومضى « فتحى رضـــوان » وزيرا ومدافعـا عن النظام الذى حل الأحزاب ، ومضى « عبد الرحمن الرافعى » محاميا ومؤرخا ومؤيدا للنظام الذى ألغى دستور ١٩٢٣ •

وفى فبراير ١٩٥٥ رحل « محمد حافظ رمضان » آخر رؤساء الحزب الوطنى حزب مصطفى كامل ومحمد فريد ، حزب الجلاء ، أو حزب لامفاوضة الا بعد الجلاء ، الحزب الذى شن حملة شعواء على الثورة العرابية ، وعلى أحمد عرابى ، وعلى العرابيين ، وشن رئيسه « مصطفى كامل » حملة على قاســـم أمين وسعد زغلول ، وهاجم خلفاؤه مصطفى النحاس والوفد •• الحزب الوطنى الذى كان من تقاليده العلاقات الودية مع الخديو والقصر على امتداده بعد ذلك ، ومن تقاليـــده العلاقات الوثيقة مع الباب العـــالى والدولة العثمانية ، ومن تقاليده أيضا الافادة من التناقضات بين فرنســا وانجلترا مرة ، وبين ألمانيا وانجلترا مرة أخرى •• ولكن (الحزب الوطنى) ظل طوال عمره وظل أعضاؤه فى عداء مستمر مع الاحتلال الانجليزى وحسبهم هذا •

أسانيد المقال

● د. حمادة اسماعيل	رسالة دكتـــوراه لم تنشر كاملة بعد عن (عبد الرحمن الرافعى) .
● حسن يوسف	مذكرات
● صبرى أبو المجد	سنوات ما قبل الثورة
● محمد فريد	مذكراتى بعد الهجرة
● د. محمود متولى	مصر والحياة الحزبية والنيابية
● د. يونان لبيب رزق	الأحزاب السياسية فى مصر .



الدكتور محمد كامل حسين

● نادى بالعدالة والانسانيـة ورفض الاشتراكيـه والشيوعية ٠

● اتسع قلبه حتى للذين يخالفونه الرأى والعقيدة ٠

● الكلمات القديمة كعملة أهل الكهف صحيحة ولكن فات أوانهـا ٠



مع مولد القرن العشرين كان مولده سنة ١٩٠١ فى سبك الضحاك بالمنوفية ٠ كان الأول على دفعته فى البكالوريا من مدرسة (الالهامية) بالقاهرة ، وكان الأول على دفعته فى مدرسة الطب سنة ١٩٢٣ ، وكان أول مصرى يجمع بين زمالة كلية الجراحين وماجستير جراحة العظام سنة ١٩٣١ ٠ كان اول وربما آخر من حصل على جائزتى الآداب والعلوم ، وكان أول مدير لجامعة ابراهيم (عين شمس فيما بعد) ، وقدر له بعد رحيله أن يكون أول عضو فى مجمع اللغة العربية تدور حوله وحول أعماله مسابقة للمجمع عن عام ١٩٧٧ - ١٩٧٨ ٠

هذا (الأول) فى انشطة كثيرة توفى والده وهو طفل رضيع ، ونشأة كهذه كان يمكن أن تجعله يقبل على الحياة ليأخذ منها كل شىء ، وكان يمكن أن تجعله منكسرا منعزلا يسير الى جوار الجدار ٠٠ ولكنه نشأ سويا وان كان قد آثر ألا يرتبط بزوجة فى مشوار الحياة ، وأخوه الذى يكبره لم يتزوج أيضا ٠

هذا الذى تفوق فى دراسته شارك فى مواكب ثورة ۱۹۱۹ مع مجموعة بقى منها المرحوم « الدكتور حسين فوزى » .

تخرج فى مدرسة الطب سنة ۱۹۲۳ ، وبعدها سافر فى بعثة عامة سنة ۱۹۲٥ وعاد من لندن سنة ۱۹۲۹ زميلا بكلية الجراحين الملكية . ولكن « الدكتور على باشا ابراهيم » أعاده الى انجلترا مرة أخرى ليحصل على الماجستير فى جراحة العظام سنة ۱۹۳۱ .

وهذا الذى تميز بدراسته اللغوية ، وبدراساته الفكرية ، وبابداعه الأدبى كان متميزا أيضا فيما تخصص فيه من فروع الطب وهو (جراحة العظام) . وفى أوائل الأربعينات ، وعندما أصيب « الملك فاروق » فى حادث سيارة عند (القصاصين) كان الفريق المعالج فى مقدمته « على باشـــا ابراهيم ، وعبد الوهاب مورو ، وعبد الله الكاتب ، وعباس الكفراوى ، والطبيب الشاب محمد كامل حسين ، ومنح الملك رتبة الباشـــوية لمن لايحمل هذه الرتبة من الأطباء المعالجين ، ورتبة البكوية للدكتـــور محمد كامل حسين ، ولكنه لم يذكرها فى حياته قط ولم يضفها الى اسمه قط كما فعل الآخـــرون .

اخلاقياته وسلوكه

فى بداية طريقنا ونحن نتحدث عن «الدكتور محمد كامل حسين» يحسن أن نبدأ بأخلاقياته وسلوكه ، فنحن ننظر الى الرجل نظرة شاملة ، ولقد عكف صديقنـا العزيز الطبيب والأديب الشـــاب « محمد محمد الجوادى » على تدوين سلوكيات « الدكتور محمد كامل حسين » وهو يكتب سيرته .. لم يكن الدكتور « محمد كامل حسين» يأخذ الناس بما أخذ به نفسه من جد وصرامة ولم تكن كتاباته عن

الأخلاقيات والمثاليات والضمير وصفاء النفس الا تعبيرا عما يمارسه في حياته · ولم يغضب انسانا كائنا من كان ولاذكره بسوء ولا صدرت عنه أية اساءة ·

كان قليل الكلام ، شديد الاتزان ، عف اللسان ، هادىء الصوت ، رقيق الابتسامة ، زكي السمت والنفس والضمير ، رضي الخلق والشمائل ولم يكن يطلب من الناس ماليس في امكانهم ، تميز أيضا بالهدوء النفسي وحبه للناس ·

وشهد له تلاميذه وزملاؤه بالأمانة في عمله وبالمعاملة الانسانية لمرضاه الى درجة أن مرضاه تحولوا الى أصدقاء له في مسيرة الحياة ، وعندما كان مديرا لجامعة عين شمس وتحولت خصومات أعضاء هيئة التدريس الى نزاعات عاقت دوره العلمي لم يتردد في الاستقالة من ادارة الجامعة سنة ١٩٥٤ ، لم يبخل بعلمه على أحد وكره التعصب في الأديان · عرف عنه الاعتدال في كل الأمور ، في المأكل ، والملبس ، وفي الحياة عموما استقام سلوكه لم يدخن ولم يعرف الخمر ، ينام مبكرا ويستيقظ مبكرا كعادة أهل الريف ، كان بارا بأهله ويعارفيه لايفرط في صداقة أحد ·

وليست مصادفة أن يعجب بأبي العلاء المعرى أعمق شعراء العرب تفكيرا وأصدقهم عاطفة وأحدهم ذكاء على حد تعبير « محمد كامل حسين » · وفي الشخصيات التي كتب عنها أبدى اعجابه باعتدال أحمد لطفي السيد ، وبعلمه وخلقه ·

وأنت اذا طالعت عمله (الوادى المقدس) سرعان ماتدرك أن الأوصاف التي يسوقها اليك انما هي الأوصاف التي يتحلى بها هو نفسه أو يحاول أن يتحلى بها ·· من ايمان يؤمن به قويا خالصا لايشوبه شك ولايعتريه ضعف ·· وحيث يحتوى قلبه الحب العميق

دون غل ودون حقد ·· لايعتريه قلق أو ندم ، يهتدي إلى الحكمة والتفكير المستقيم ·· حيث أماله كلها خير ، وأحلامه كلها جميلة ·· حيث تسمع صوت ضميرك صريحا واضحا أمرا بالخير في غير لبس ، هاديا الى الحق في غير تردد ·

ومن (الوادى المقدس) نقف على اعتقاد صاحب هذا العمل الهام ·· فهو يرى الدين وسيلة الانسان المثلي للاهتداء ، وهو شديد التسامح مع المعتقدات والأفكار التى لايرضاها ولايسلم بها ، وهو يرفض أن يكون الشر هو الأصل فى الإنسان ، ويرى أن الخير هو الأصل ، ويرى أن أكثر الناس طيبون بطبيعتهم ·

مجمع اللغة العربية

وأنتقل بالقارىء من محمد كامل حسين جراح العظام إلى محمد كامل حسين جراح اللغة العربية اذا صح هذا التعبير يحاول ان يجبر مافيها من كسور حسب رؤيته · نحن الآن في سنة ١٩٥٢ ومحمد كامل حسين جراح العظام ينتخب عضوا عاملا بمجمع اللغة العربية خلفا للمرحوم الأستاذ أحمد حافظ عوض ·

وفي حفل استقباله حسب طقوس (الخالدين) يقال عنه « الدكتور ابراهيم بيومي مدكور » ـ انه عالم على أدق وأكمل مايراد بهذا الوصف فهو يؤمن بالتجربة ايمانا لايقل عن ايمانه بالعقل ، يؤمن بها لأنها سبيل كشف الحقيقة وكسب المعلومات ··· ويؤمن بالعقل ايمانا كاملا يريد العقل العلمي الذي يحلل ويعلل ··· وهو فى نفسه فيسلوف بقدر ماهو عالم ·

وكانت له آراء جريئة في لغة العرب نظر فى قواعد (جنس العدد) فى اللغة العربية وحسب انها تفوق تفكير المتكلم

فرأى ان تكون للعدد حالة واحدة دون نظر الى تمييزه أى ان يستقل العدد عن معدوده والتسوية فى العدد بين المذكر والمؤنث وذلك من باب التيسير والتسهيل ·· ورفض المجمع هذا الاقتراح مع تسجيل ان الدكتور كامل يتحرك من منطلق غيرته على اللغة العربية ورغبته فى تيسير الحديث بها ·

واهتم بموضوع (اللغة العلمية والمصطلحات العلمية) وهو هنا يفرق بين العلم ولغة الأدب ، اللغة العلمية ينبغى أن تطابق ، روح العلم ، وأن تكون ألفاظهـــا محددة بعيدة عن المرادفات ، وان تدل على الحقائق والوقائع ، ودعا الى وضع المصطلحات العلميـة وأن تكون هذه المصطلحات صورة حية لتطور العلوم ·

ودخل فى معارك مع زملائه اللغويين ، وذهب الى أن (أخطاء اللغويين) أكثر الأخطاء الشائعة التى يتحدث عنها اللغويون وعنى بالدعوة الى (دائرة معارف عربية) تساعد على توحيد المصطلحات وعلى تحديد المعنى الدقيق والمادة الدقيقـة ســـواء للأشـــخاص أو الموضوعات · وكان من رأيه أيضا الاهتمام بما أسماه (الفصحى المخففة) وهى وسط بين الفصحى وبين العامية وأشار الى ضرورة وضع القواعد لها ··

وقد أسهم « الدكتور محمد كامل » فى أعمال المجمع مساهمة فعالة ، خاصة لجنة المصطلحات الطبية · وأسهم ببحوث متعددة فى موضوعات متباينة ··· فى حقيقة أمر الفرزدق ، وفى القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية ، وفى اللغة والعلوم ، وفى أصول علم اللغة وفى اسلوب أبى العلاء المعرى ، وفى أخطاء اللغويين ، وفى شعر المتنبى · وقد ظل عضوا بمجمع اللغة العربية حتى توفى فى ٦ مارس ١٩٧٧ ·

وفي سنة الرحيل أصدر آخر كتبه (اللغة العربية المعاصرة) الذي أودعه أفكاره الجزيئة لتيسير اللغة العربية ، وهذا الكتاب موضع اعجاب زميله وصديق عمره « الدكتور حسين فوزى » والدكتور « محمد كامل حسين » يرفض العودة الى ما يسميه الفصحى العالية فتكون كأهل الكهف الذين حسبوا أن عملتهم — وهي صحيحة غير زائفة — يمكن أن تروج ويقضون بها حوائجهم ، وتكون مثل علماء الحفائر ، علمهم له قيمته التاريخية ولكن لاضرورة للسير على منواله ، والذين يقصرون علمهم على ماعرفه القدماء مثلهم كمثل من يسير محمولا على عربة (كارو) وعلى بعد خطوات منه طريق واسعة تقطعها السيارة فى دقائق ، والذين يستخدمون القواعد الجامدة مثلهم كمثل من يستخدم مغزل اليد وحوله الآلات التى تغزل آلاف الأمتار فى الساعة الواحدة . والذين يعتقدون ان كل مالا يرد فى المعاجم خطأ ، مثلهم كمثل الذى يدخل السجن طواعية واختيارا .

قرية ظالمة

اذا نظرت فى أية قائمة للكتب ، أو فى الفهارس تحت اسم « محمد كامل حسين » لوجدت أنه أثرى المكتبة العربية بعديد من الكتب ... المتنوعات الجزء الأول سنة ١٩٥١ ، وبعده بسنوات عشر الجزء الثانى سنة ١٩٦١ . وفى هذين الجزءين جمع بحوثه ودراساته التى سبق له أن نشرها متفرقة . وبين هذين التاريخين ينشر أحد كتبه الخطيرة وهو (التحليل البيولوجى للتاريخ) سنة ١٩٥٧ ثم كتابه (وحدة المعرفة) وهو الموضوع الذى أدخله معركة مع عباس محمود العقاد ومع الدكتور زكى نجيب محمود . أما (الوادى المقدس) وهو قريب من التأملات الفلسفية فقد صدر

سنة ١٩٦٨ ، وسنة ١٩٦٩ صدر له مختارات وهى فى واقع الأمر مختارات علمية ، وسنة ١٩٧١ صدر له كتابان هامان ·· (الذكر الحكيم) وآخر أعماله (اللغة العربية المعاصرة) الى جانب عديد من القصص القصيرة ذات العناوين المباشرة والتى نشرها متفرقة فى دوريات مختلفة ·

ويلاحظ القارىء ان هذه جميعها ليس من بينها العمل الذى ارتبط باسمه أو الذى ارتبط اسمه به وهو رواية (قرية ظالمة) التى صدرت له سنة ١٩٥٤ · ومن قبيل تداعى المعانى اذا ذكر أمامنا اسم « الدكتور محمد كامل حسين » لتذكرنا أو ذكرنا رواية (قرية ظالمة) وهكذا عدد من كبار أدبائنا ·· توفيق الحكيم وعودة الروح ·· طه حسين والأيام ·· المنفلوطى والنظرات أو العبرات ·· محمد حسين هيكل وزينب ·· يحيى حقى وقنديل أم هاشم ·· والأمثلة كثيرة يستطيع كل واحد منا أن يلحظها مع الأدباء والشعراء والفنانين عموما ·

والقرية الظالمة هى (أورشليم) وماحدث من أهلها اليهود ومن حكامها الرومان مع « السيد المسيح » وحوارييه على النحو الذى هو شائع ومعروف وعلى النحو الذى هو مختلف عليه أيضا ، ولكن يبقى ماليس حوله خلاف وهو أن اليهود منذ حوالى عشرين قرنا طغت على حياتهم مادية جشعة وأنهم ضاقوا بدعوة « السيد المسيح » الى المحبة والسلام والتواضع · وضاق أغنياؤهم بأن يقتسم كل من له ثوبان ملابسه مع آخر فقرروا أن يتخلصوا منه ، وأثاروا الجماهير بدعاو لها مسحة الدين ، واخترقوا الحواريين وكان أحد التلاميذ عونا لهم ، وأهاجوا الجماهير على الحاكم الرومانى ·· ورغم كل مايحدث تنتشر الدعوة الجديدة هنا وهناك · ولسنا بصدد تلخيص رواية (قرية ظالمة) ولسنا بصدد بيان أوجه النقد الفنى حولها ،

ولكن حسبها وحسبه انهما أصبحا كوجهى عملة واحدة هى عملة جيدة على كل حال • وتعدت شهرتها حدود مصر وأدخلت صاحبها فى عداد الأدباء الى جانب ميادين أخرى كالطب وعلوم اللغــــة • أما أراؤه الفكرية والسياسية والفلسفية والتى شاعت فى ثنـــايا دراساته وبحوثه وما أصدره من كتب فسوف نعرض لها بعد قليل •

ثلاثة عقود

ثلاثة عقود من القرن العشرين تركت بصماتها واضـــحة على محمد كامل حسين وقد عرضنا أنه ولد مع مطلع القرن فى مارس ١٩٠١ وتوفى أيضا فى مارس (١٩٧٧) •

ولد مع بداية العقد الأول بسنواته السود التى مرت على مصر • وصلت الأزمة الاقتصادية الى حد الجوع ، وانتشرت الأمراض فى البشر وفى الحيوانات على السواء ، وعبث جنود الاحتلال بمقدرات البلاد وحادثة دنشواى ١٩٠٦ دليل على ذلك • وتوفى والده وهو طفل رضيع وكفله أخوه « الصادق » الذى كان يقيم بالقــاهرة • وعاش الاثنـــان على حب الى أن فرق الموت بينهما • لم يتزوجا وعاشا مع أخت لهما مات زوجها وهى صغيرة • ولعل سنوات العقد الأول بأزمتها الاقتصادية ، ولعل حرمانه من عطف الأب وارشاده ، ولعل حب أخيه ورعايته له تركت أثارها على الفتى طوال حياته • كان محبا للناس ومواسيا لهم ، كان زاهدا فى بريق الدنيا معتدلا مستقيما ، بل لعلهـــا هى التى دفعت به الى دراســة الطب فكان انسانا طبيعيا ، وكان انسانا يتسع قلبه لكل البشر حتى للذين يخالفونه الرأى والعقيدة ، ويجىء العقد الثانى واذ بالصبى ينتقل من المدرسة الابتدائية الى مدرسة الالهامية الثانوية ويحصل على البكالوريا ويدخل مدرسة الطب وهو فى السنة الثانية وفى شهر

(مارس) شهر مولده وشهر وفاته نشبت ثورة مصر القومية ويشارك فيها الشـــاب « محمد كامل حسين » واذ بروحها القومية وروح التضحية والفداء ، روح الاندماج الوطنى تبقى معه حتى يوم رحيله ، كان وطنيا لاشك فى هذا ، كان قوميا لاشك فى هذا ٠

وفى أوائل العقد الثالث ، يتخرج فى مدرســـة الطب سنة ١٩٢٣ ، ويسافر فى بعثة الى لندن سنة ١٩٢٥ ، ويعود سنة ١٩٢٩ وهو زميل بكلية الجراحين الملكية ٠ وهناك فى أوروبا بين لندن وباريس تتفتح بصيرته على العلوم المادية ويقتنع بأساليب البحث العلمى ، ويقف على مذاهب الفلسفة التى تدعو الى الشك ويعيش مع المجتمعات الأوروبية وهى تضطرم بمذاهب اجتماعية واقتصادية تدعو الى الاشتراكية والى الشيوعية ٠ يعود الى بلده واذ به يكتب ناقدا ورافضا للاشتراكيـــة والشيوعية ، وتبقى فى نفســه نزعة انسانية أصيلة تدعو الى المحبة والتكافل الاجتماعى ولكن داخل اطار انسانى وبوسائل ترفض اهراق دم الانسان ، وترفض ازهاق روحه ٠ ولكن يبقى معه حتى يوم رحيله انفتاح على ثقافة الآخرين دون عقد ودون حساسية ودون تعصب ٠

جيل المعاناة

عندما أطلت النظر فى حياة « الدكتور محمد كامل حسين » خطر لى أن أقوم بسرد سريع لجيله الذى ولد معه أو بعده فى العقد الذى ولد فيه وجدت أن مصر المحروسة قد أنجبت رجالا أعطوا لها كل مايمكن فى حدود ما اتيح لهم من رؤية ومن جهد ، منهم من ذهب نطلب له الرحمة ومنهم من لم يزل على ظهرها ندعو له بالصحة والعافية والعطاء ٠

تأملوا معى الذين أعطوا ورحلوا ـ محمد خلف الله أحمد ، وحسين خلاف ، وبدر الدين أبو غازى ، والشيخ عبد الرحمن تاج، وعزيز أباظة ، ومراد كامل ، وأحمد عبده الشرباصي ، وأحمد عمار ؛ وعلى الجندى ؛ وابراهيم أنيس ، وأحمد بدوى ، وأحمد حسن الباقورى ، ومحمد زكى عبد القادر ؛ وعلى النجدى ناصف ٠٠ وغيرهم وغيرهم من جيل المعاناة ٠

وأطال الله عمر المصابيح التى لم تزل تضىء الطريق الوعرة ـ ابراهيم بيومى مدكور ، ومحمد مهدى علام، ومحمد توفيق الطويل، ومحمود شاكر ، ومصطفى مرعى ، وسليمان حزين ، وشوقى ضيف ؛ وعبد السلام هارون ، وزكى نجيب محمود وغيرهم وغيرهم ٠٠ من جيل النهضة الفكرية والثقافية ٠

أسانيد المقال

● فتحى رضوان	أفكار الكبار
● د٠ محمد كامل حسين	التحليل البيولوجى للتاريخ
● د٠ محمد محمد الجوادى	الدكتور محمد كامل حسين
● د٠ محمد مهدى علام	المجمعيون فى ٥٠ عاما



محمد فهمى عبد المجيد

● علي ماهر ألغى وظيفته وأقاله من أعماله واحاله الى المعاش قبل الموعد بـ ١١ سنة ٠

● مصطفى النحاس رد له حقوقه وأمر بتعليم أولاده على نفقة الدولة ٠

● اشترط فاروق ألا يلقى فهمي كلمة في استقباله .

كان التاريخ ـ ولم يزل ـ هو تاريخ الأسماء اللامعة من الملوك والحكام والرؤساء والسلاطين والقادة والزعماء ٠ مصر القديمة معروفة لدينا بأسماء الفراعنة بداية من الملك مينا موحد القطرين ٠٠ ولكن من منا يعرف شيئا عن ابطال من قلب شعب مصر ربما بذلوا أكثر مما بذل الملك مينا ؟! ٠٠

والعصر اليوناني الروماني معروف لدينا بأسماء الحكام من (الخواجات) ولا أحد يعرف شيئا عن أبطال مصر الذين قاوموا مظالم تلك الحقبة ٠٠ فيما عدا شهداء مصر الذين دافعوا عن عقيدتهم في مواجهة القهر الأجنبي حتى جاء الفتح العربي بقيادة « عمرو بن العاص » ورد لهم حرياتهم وطمأنهم على حرية الاعتقاد ٠٠

ورموز الفتح الاسلامي لمصر ٠٠ تعرف أمراء المؤمنين وتعرف أسماء الولاة على مصر ٠٠ وأما الأبطال من شعب مصر فربما تعرف عنهم النذر القليل ٠

وبدأ اتجاه جديد ، ولو في حدود ، واصبحنا عندما نتحدث

عن ثورات مصر في العصر الحديث .. نتحدث عن عبد الله النديم ومحمود سامى البارودى وعبد العال حلمى وعلى فهمى ومحمد عبيد عندما نتحدث عن أحمد عرابى ، ويجىء ذكر على فهمى كامل وعبد العزيز جاويش واسماعيل لبيب وعبد الملك حمزة وفؤاد سليم عندما نتحدث عن « مصطفى كامل » ونتحدث عن « عبد العزيز فهمى وعلى شعراوى وعلى ماهر ومحمد محمود واحمد لطفى السيد وعبد الرحمن فهمى ومصطفى النحاس وواصف غالى » عندما يجىء ذكر « سعد ذغلول » وهكذا ..

هذه الأسماء كلها من الصف الأول أو الصف الثانى حول هذا الزعيم أو ذاك .. ولكن أين أبناء الشعب الذين بقوا فى الظل على الرغم من أنهم واجهوا الظلم وبذلوا التضحيات ودفعوا الثمن دون أن تكون لأسمائهم بعض البريق !

فى ثورة أحمد عرابى مثلا سمعت عن بطولة ضابط بوليس فى أسيوط وكان فى منصب (وكيل المديرية) أو ما يشبه ذلك حسبما تروى الروايات واسمه « سرور » هكذا قيل لى .. وكان مدير المديرية اسمه « مراد باشا » ضابط البوليس العظيم «سرور» قاد فى شوارع أسيوط مظاهرة وطنية تهتف ضد الاحتلال الزاحف على بر مصر ، وتهتف ضد الخديو توفيق ، وتهتف باستقلال مصر .. وبعد انكسار الثورة العرابية قبضت عليه سلطات الاحتلال ولا يدرى أحد ماذا كان مصيره .. ومنذ زمن وأنا أجرى وراء قصة البطولة هذه .. وأرجو أن أوافق ..

وفى ثورة ١٩١٩ كان « سعد » هو الزعيم وكتبنا عنه وكتب الكثيرون وهناك « عبد الرحمن فهمى » قائد الجهاز السرى للثورة وقد احتل الشخصية الثانية فى سلسلة (هذا الرجل من مصر) ولكن هناك أيضا الضابط (محمد كامل) الوطنى الذى حكم علنية

بالاعدام رميا بالرصـاص فى أسيوط ·· هـذا البطل لا يستحق الكتابة عنه ·

وفي حركة الطلاب سنة ١٩٣٥ مازلنا نذكر أسماء الدكتور محمد بلال والمهندس ابراهيم شكرى والدكتور عبد اللطيف جوهر والدكتور نور الدين طراف » ·· متعهم الله بالصحة ونذكر أيضا « الدكتور رشوان فهمى » عليه رحمة الله ·· ولكن لماذا لم نعد نذكر « عبد الحكم » و « على طه عفيفى ابن دار العلوم الذى لقى مصرعه برصاصة غادرة ··

من أجل هذا أكتب هذه الحلقة عن « محمد فهمى عبد المجيد » كمواطن بسيط من أبنـاء الشـعب تحـدى القصر وأسـهم فى المؤسسات الاجتماعية ··

فى عام ١٩١٠ فكر لفيف من أهل الاسكندرية فى انشـاء جمعية خيرية لمواجهة الأزمة الاقتصـادية التى عصـفت فى تلك السنوات الكادحة وأطلقوا على هذه الجمعية اسم « المواساة » وكانت المجموعة التى أسست الجمعية تتكون من محمد مالك ومحمد الجمال ومحمد فهمى عبد المجيد وحسين فهمى وعبد الرازق أبو الخير وهؤلاء جميعا كانوا من أبنـاء الشعب البسطاء ، ولم نعرف منهم سوى « حسين فهمى » الذى أصبح رئيسا لمجلس الانتاج فيما بعد وامتدت أعمال الجمعية الى مساعدة الطلاب الفقراء فى التعليم ، والى مساعدة الفتيات عند الزوج وتولى نفقات دفن الموتى من الفقراء ··

وسنة ١٩٢٦ أصبح رئيسا للجمعية « ابراهيم أحمد » عضو مجلس الشيوخ ، وأصبح « محمد فهمى عبد المجيد » وكيلا لها ، وأنشأت الجمعية لها عمارة معاونة شركة التعاون المنزلى لموظفى الحكومة ، ومعاونة نادى موظفى الحكومة ، ·

وفى أواخر عام ١٩٢٩ اتفقت آراء « محمد فهمى عبد المجيد » والدكتور محمود على تخصيص قسم كبير منه لمعالجة الفقراء مجانا وفى منتصف عام ١٩٣٠ وافقت بلدية الاسكندرية على أن تبيع للجمعية قطعة أرض مساحتها حوالى ١٨ ألف متر مربع بقيمة مخفضة • ووضع الدكتور « النقيب تصميم مشروع المستشفى • وعرضت الجمعية المشروع على الأمير « عمر طوسون » راعى جمعية المواساة وتوفر للجمعية فى المدة من ١٩٣٢ ـ ١٩٣٥ ربع مليون جنيه شيد به المستشفى •

وفى أوائل سنة ١٩٣١ والمستشفى فى مرحلة التشييد أوفدت الجمعية « الدكتور النقيب » عضو مجلس ادارة الجمعية الى أوروبا حيث زار مستشفيات انجلترا وفرنسا وألمانيا والنمسا وبعد أن عاد أوصى بتشييد مستشفى (مارتن لوثر) ببرلين نموذجا لمستشفى المواساة ووافق مجلس ادارة جمعية المواساة واستدعى المهندس الأخصائى الذى قام بتشييد مستشفى (مارتن لوثر) ببرلين وهو « أرنست كوب » الذى حضر الى الاسكندرية فى ٢٠ يوليو وعاين الأرض وعاد الى برلين ليضع التصميمات الهندسية للمستشفى وسافر « محمد فهمى عبد المجيد ومحمد سعيد جميعى » الى برلين لمعاينة مستشفى مارتن لوثر • وفى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٣١ عاد « كوب » الى الاسكندرية وعرض على الجمعية الأعمال الفنية والهندسية •

وفى ٢٢ نوفمبر ١٩٣١ أعلنت الجمعية ، وهى تتكون من الشباب الراغب فى خدمة وطنه ، أعلنت عن مناقصة لاقامة مبانى المستشفى وفى ٧ يناير ١٩٣٢ تم فحص العطاءات المقدمة وتبين أن أقلها عطاء شركة وطنية عرضت الجمعية على المقاول المصرى التالى للشركة الأجنبية تخفيض عطائه لقيمة مقاول عطاء الشركة الأجنبية ، ووافق

المقاول المصرى وهو « محمد حسن العبد » مساهمة منه فى المشروع الوطنى الانســانى ..

ولكن أحد كبار رجال القصر ـ لم تذكر المصــادر اســمه ـ استدعى « محمد فهمي عبد المجيد » .. وكان قد أصبح رئيســا للجمعية وطلب منه أن يعطى العملية للمقاول المصرى الثانى ـ لم تذكر المصادر اسمه أيضا ـ فرفض رئيس الجمعية هذا الأسلوب فى العمل وغادر القصر مغضوبا عليه من رجل قوى النفوذ ومقرب لأعلى رأس فى البلاد ، وبعدها رفض « الملك فؤاد » حضور حفلة وضع حجر الأساس الذى تقرر أن يكون فى مارس ١٩٣٢ وكان مشروع المســتشفى يحمل اسم المـلك فؤاد ، وكان أن ألغى محمد فهمى عبد المجيد حفلة وضع حجر الأساس وبدأ العمل بحماسة الشباب فى ١٥ مارس ١٩٣٢ ، وهـذا يذكرنا بوضــع مشروع القرش الذى قام به عدد من شباب مصر والذى تزعمه شاب مصرى وطنى أصبح زعيما لجماعة مصر الفتاة وهو « أحمد حسين » .

سار العمل فى المستشفى تحت اشراف لجنة تنفيذية تكونت من « محمد فهمى عبد المجيد ، والدكتــور أحمد النقيب ، ومحمد سعيد الجميعى ، والمهندس أحمد المكى والدكتور محمد العقاد » .

ولجأت الجمعية الى أسلوب اليانصيب ، والى تبرعات المصريين واعترافا بفضــل مصر أسهم الأجــانب المقيمون فى الاســكندرية بنصيب هام فى التبرعات وساندت الصحافــة الوطنية المشروع ووقفت أقلام كثيرة الى جانب هؤلاء الشباب .. نذكر منهم أقلام « الدكتور طه حسين ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والأســتاذ فكرى أباظة » ..

وفى مارس ١٩٣٣ أخذت الجمعية قرضا من بنك مصر بضمان العمارة التى تملكها على أن يسدد على عشرة أقساط سنوية. وعندما تأخرت الجمعية فى سداد القسط الأول فى يونيو سنة ١٩٣٤ ، هدد بنك مصر للأسف الشديد تحت ضغط القصر الذى تأزمت الأمور بينه وبين الجمعية ، هدد بتنفيذ عقد السلفة الذى ينص على أنه فى حالة عدم دفع أى قسط كاملا فى ميعاده يصبح كاملا باقى الأقساط مستحق الدفع فورا . وفوجئت الجمعية فى ديسمبر ١٩٣٤ بتنبيه نزع ملكية العمارة المرهونة سدادا لكل الأقساط المتبقية وفى يناير ١٩٣٥ استمر « بنك مصر» فى اجراءات نزع الملكية وأصر على بيع العمارة لاذلال الجمعية .

لجأت الجمعية أمام هذه المحاصرة من القصر الملكى ومن رجاله ومن بنك مصر الى عمل يانصيب على العمارة ذاتها فى يونيو ١٩٣٦ ربحت من ورائه الجمعية وسددت أقساطها .

وطلبت الجمعية من الحكومة قرضا وقد فرحت الجمعية عندما علمت أن الحكومة قررت تشكيل لجنة برئاسة « الدكتور محمد شاهين » لدراسة الموضوع ولكن « الدكتور محمد شاهين » الطبيب الخاص للملك فؤاد وضع شروطا تؤدى لادخال المشروع تحت وصاية مصلحة الصحة . فرفضت الجمعية ومضت فى طريقها متحدية كل المعوقات التى وضعها القصر ، وبنك مصر ، وطبيب الملك ، ورجال الملك من الساسة .

عناصر وطنية

واذا وجدت عناصر فى الساحة السياسية تأتمر بأمر القصر وبأمر رجال القصر ، فقد وجدت أيضا عناصر تلتزم جادة الصواب وتسلك سبيل الموضوعية ففى وزارة « توفيق نسيم » ١٤ نوفمبر

(١٩٣٤ ـ ٣٠ يناير ١٩٣٦) كان « أحمد عبد الوهاب » وزيرا للمالية فوقف الى جانب الجمعية ، وقدم لها عام ١٩٣٥ سلفة مالية تسدد على عشر سنوات ابتداء من عام ١٩٣٧ ورد للجمعية ما سبق ان دفعته من ثمن الأرض التى أقيم عليها المستشفى ٠

وتمكنت الجمعيـة من استكمال جميع المعدات والأجهزة والأدوات وأصبح المستشفى معدا لأداء رسالته الانسانية ٠

وفى نوفمبر ١٩٣٥ عرضت الجمعية على الملك فؤاد افتتاح المستشفى الذى يحمل اسمه ورفض الملك حضور حفل الافتتاح وبدا العمـل فى المستشفى فى أول نوفمبر ١٩٣٥ دون افتتاح رسمى وفى مواجهـة موقف القصر من المستشفى تطوع عدد من الأطباء للعمل بالمستشفى دعما لرسالته الانسانية والوطنية ٠

وما أن علم بذلك الدكتـور « محمد شاهين » طبيب خاص الملك ومدير عام الصحة العمومية حتى أصدر أمرا مفاجئـا بنقل « الدكتور أحمـد النقيب » وكان جراحـا بالمستشفى الأميرى بالاسـكندرية وله دور فى مستشفى المواسـاة الى مستشفى بورسعيد ! الا أن الدكتور النقيب قدم استقالته وعينته الجمعية مديرا للمستشفى الذى أصبح يضارع أرقى المستشفيات الأجنبية ، وأخذ المصريون يدعمون المستشفى وانهالت التبرعات وقد تبرع تاجر الأخشاب « أسعد باسيلى » بأول سيارة للعيادة الخارجية فى حين ان الأمير « محمد على توفيق » رفض ان يتبرع بحجة ضيق ذات اليـد !

على ماهـر

توفى الملك فؤاد فى ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٦ وجاء الملك فاروق وكانت سياسة « أحمد حسنين » أن يقدم الملك الجديد فى صورة

محببة للشعب ، فوضع أحمد حسنين المستشفى تحت رعايته الخاصة وأقيمت حفلة لافتتاح المستشفى رسميا فى ١٢ نوفمبر ١٩٣٦ حضرها الملك فاروق وقدمت حكومة « مصطفى النحاس » عام ١٩٣٦ اعانة سنوية للمستشفى قدرها عشرون ألف جنيه • واستقرت الأمور فى المستشفى وانصرفت الجمعية الى أغراض أخرى كالعيادات الخارجية والمستوصفات وخاصة فى الأحياء المزدحمة بالسكان وأقامت مسجدا أمام المستشفى • وأنشأت مدرسة للخدمة الاجتماعية التى تحولت فيما بعد الى معهد للخدمة الاجتماعية وأحيت الجمعية (ملجأ الحرية) الذى أقيم بمناسبة ثورة ١٩١٩ •

ولكن « على ماهر » لم يكن راضيا عن كل هذا النشاط ورفض الملك فاروق بتأثير « على ماهر » مقابلة « محمد فهمى عبد المجيد » ليعرض عليه أمور الجمعية ونشاطها حتى أقيلت وزارة مصطفى النحاس التى ساندت الجمعية فى ديسمبر سنة ١٩٣٧ وانضم « محمد فهمى عبد المجيد » الى السعديين لصداقته للدكتور «أحمد ماهر» رئيس الهيئة السعدية واختير عضوا بمجلس النواب• وتوفى مدير عام الجمارك وتوقع الناس أن يعين « محمد فهمى عبد المجيد » مديرا عاما للجمارك ، ويستقيل من عضوية مجلس النواب • وكان « محمد فهمى عبد المجيد » قد فضل أن يظل فى مصلحة الجمارك عند انتهاء المدة القانونية المقررة لاختيار أحد المنصبين •• الوظيفة الحكومية أو عضوية مجلس النواب •• وكان ذلك فى يونيه عام ١٩٣٨ • الا أن على ماهر الذى جاء رئيسا للوزراء فى أغسطس ١٩٣٩ ألغى منصب وكيل الجمرك فأحيل « عبد المجيد » الى المعاش قبل السن القانونية بـ ١١ عاما اذ انه من مواليد ١٨٩٠ ••

مصطفى النحاس

ونعود الى الوراء قليلا الى سنة ١٩٣٧ حيث بدأ خلاف بين رئيس الجمعية « محمد فهمي عبد المجيد » وبين مدير المستشفى « الدكتور أحمد النقيب » وبدا الدكتور النقيب يتقرب الى القصر على حساب رئيس الجمعية • حتى غضب الملك فاروق على « محمد فهمى عبد المجيد » وعندما دعى الملك فى ٦ أكتوبر ١٩٣٨ لحضور الحفلة الخيرية السنوية للجمعية اشترط أن يلقى الدكتور النقيب كلمة الجمعية بدلا من رئيسها عبد المجيد • وفوجىء « على ماهر » رئيس الديوان بأن « محمد فهمى عبد المجيد » نفذ تهديده ولم يحضر الحفلة لاستقبال الملك • وفي اليوم التالى استدعى على ماهر « محمد فهمى عبد المجيد » الى مكتبه بالقصر وأبلغه اقالته من جمعية المواساة ومن جميع مؤسساتها الخيرية • وعين « حسين فهمى » رئيس مجلس الانتاج القومى السابق — رئيسا للجمعية •

واستولى الملك فاروق على المستشفى وخصص له فيه جناحا لا للعلاج بل للهو ، وفى ٧ أكتوبر ١٩٣٨ أقيل محمد فهمى عبد المجيد من جمعية المواساة التى أسسها • وفى ١٩ أغسطس ١٩٣٩ ألغى « على ماهر » منصبه فى الجمرك •• هكذا كان موقف « على ماهر » من رجل وطنى بسيط أظهر حماسه فى خدمة أهله البسطاء ورحل « فهمى » حزينا فى يناير ١٩٤٣ •

ولكن « مصطفى النحاس » سنة ١٩٤٣ قرر تعليم أولاد « محمد فهمى عبد المجيد » على حساب الحكومة وقرر التصالح فى القضية التى رفعها « عبد المجيد » لالغاء وظيفته وكان قرار التصالح بما يحقق مصلحة « عبد المجيد » وقررت بلدية الاسكندرية اطلاق

اسمه على الشـــارع المؤدى الى مستشفى المواســـاة وقرر مجلس جمعية المواساة وضع تمثال نصفى للمرحوم « فهمى » فى البهو الكبير بالمستشفى ٠

وأخيرا هل قدر علينا فى مصر أن نحارب الكفاءات المخلصة بالحقد والدس والوقيعة ؟ وهل هذا جزاء الذين يقفون ضد القصر وضد رجال القصر ؟ وهل هذا جزاء الوطنيين المخلصين ؟

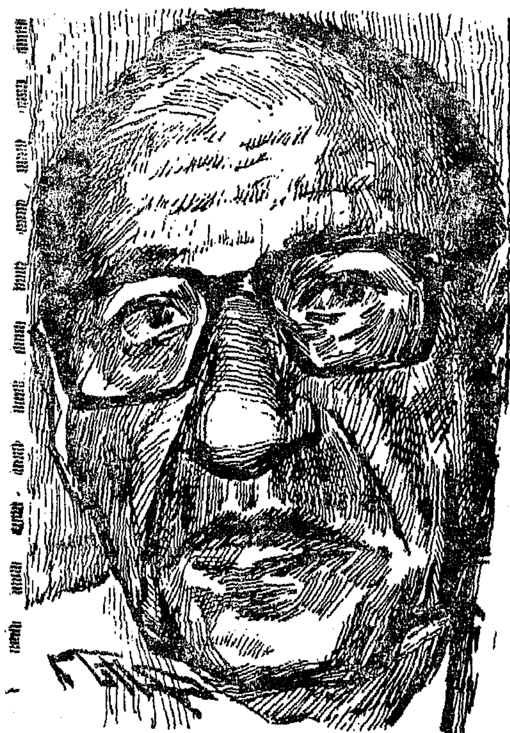
هل تريدون معرفة كيف اكتملت مأســـاة « محمد فهمى عبد المجيد » بعد وفاته بأربعـة وأربعين عاما ٠٠ أقول لكم ٠٠ كنت قد انتهيت من جمع مادة هذا الموضـــــوع واذ بى اقرأ فى (جريـدة الشعب) الثـلاثاء ٢٥ أغسطس ١٩٨٧ تحت عنـوان (سرقة قبـر والد ٠ د ٠ عصـــمت عبد المجيـــــد (اكتشف د ٠ عصمت المجيد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية سرقة قبر والده المرحوم محمـد فهمى عبد المجيد ـ الكائن بمدافن المنـارة بباب شرق الاسكندرية وذلك خـــلال توجهه يوم الجمعة الماضى لزيارة القبر قبل حضـــوره الندوة التى أقامتها نقابة الصحفيين بالاسكندرية ٠٠

واتضـح انه أقيـم قبران بدلا منـــه لشخصيتين كبيرتين بالاسكندرية احداهما تعمل بالمحافظة والأخرى بالرقابة الادارية ٠ وكان « التربى » قد فجر مفاجأة حينما أخبر وزير الخارجية ان قبر والده أزيل بقرار من المحافظة ٠ اتصل د ٠ عصمت عبد المجيد بالمحافظ وبمدير الأمن للاستعلام منهما عن سبب الازالة ، وتوجه الى قسم باب شرق وحرر محضرا بالواقعة ٠ ولا تعقيب لنـــا ، فنحن هنا نكتب تاريخ رجال من مصر ونترك التعقيب للدكتـور

أحمد عصمت محمـــد فهمى عبد المجيد وشهرته « الدكتـــور عصمت عبد المجيـد ابن رجـــل من مصر هو « محمـــــد فهمى عبد المجيد » ..

أسانيد المقال :

- احمد احمد ترك — صورة رسالة الى الاستاذ صلاح منتصر
- الشعب (جريدة) ٢٥ اغسطس ١٩٨٧
- صلاح منتصر — الاهرام ١٤ ، ١٥ يناير ١٩٨٧
- محمد سعيد جميعى — بطل المواساة دار لوران ١٩٦٠ .



مصطفى مرعي

● هاجم الملك فاروق وحاشيته وواجه الثورة وتجاوزاتها .

● النيابة قبل الثورة وبعدها تحفظ قضية الأسلحة الفاسدة .

مصطفى مرعى ، ابن قرية الجزيرة الخضراء التابعة هذه الأيام لمركز مطوبس بمحافظة كفر الشيخ ، فارس من فرسان مصر على مبادىء مصطفى كامل ومحمد فريد يوم كان للسياسة فى مصر فرسانها .

ظل يجاهر بمبادىء الحزب الوطنى الى أن عين قاضيا بمحكمة الاسكندرية سنة ١٩٣٢ ، ثم استقال من القضاء سنة ١٩٣٦ وعاد للعمل بالمحاماة فى القاهرة ليعبر عما احتبس فى صدره من آراء يحول دونها فى العمل بالقضاء ، ولكنه سنة ١٩٣٩ عين محاميا عاما فمستشارا بمحكمة استئناف مصر سنة ١٩٤١ ومستشارا بمحكمة النقض سنة ١٩٤٦ ، ورئيسا لادارة قضايا الحكومة سنة ١٩٤٨ . وقد أدى أعماله جميعا بضمير تقى ورأى نزيه .. أثار اعجاب جيلنا كله عندما قدم استجوابا لحكومة الوفد فى مايو ١٩٥٠ حول استقالة رئيس ديوان المحاسبة « محمود محمد محمود » ابن « محمد محمود » رئيس حزب الأحرار الدستوريين السابق ، ورئيس الوزراء الأسبق .

وفى عهد حكومة الوفد (يناير ٥٠ ـ ٥٢) وفى ظل الحريات

التى وفرتها الحكومة اشتغل الشارع المصري ضد القصر • وقدم رئيس ديوان المحاسبة استقالته التى قبلت فى ٢٠ ابريل لامــود تمس المستشار الصحفى للملك • وتقدم عضو مجلس الشيوخ « مصطفى مرعى » بسؤال الى رئيس مجلس الوزراء عن اسباب الاستقالة •• هل هي بسبب يتصل بكريم ثابت واعانة الحكومة لمستشفى المواساة أم تتصل بملاحظات على نفقات حرب فلسطين ؟ وتلقف الشــارع السؤال •• وشجاعة السائل الذى احال السؤال الى استجواب •• ودخل « احسان عبد القدوس » واشعل الشارع بمقالاته المعروفة عن (الأسلحة الفاسدة) • وبقى اسم الرجل « مصطفى مرعى » بطلا فى ذهن الشارع •

كان الرجل « شجاعا » على المستوى الشخصي بعيدا عن الحسابات السياسية التى يجيدها المحترفون •

كان الرجل « شجاعا » فى لحظاته الأخيرة من الحياة حسب رواية « الأســتاذ أحمــد أبو الفتح » فى جريدة الوفد • وكان « زاهدا » على حــد رواية الأسرة عن وصــيته المكتوبة بأن يكتفى فى العزاء برسائل البرق أو البريد •

كان الرجل « أمينــا » فى اخفاء خبر محــاولة « الفريق عزيز المصرى » للهروب خــارج مصر على حد رواية « الأســتاذ مصطفى أمين » فى فكرته بجريدة الأخبار وجاء سطرها الأخير •• أمس سكت مصطفى مرعى ليتكلم التاريخ ••

عندما يتكلم التاريخ

واذا تكلم التاريخ ليس لأحد أن يغضب حتى « مصطفى مرعى» وهو فى رحاب الله •• وحتى جيلنا كله الذى تلقف رواية (الأسلحة الفاسدة) لأننا كنا نكره الملك ونريد الاطاحة به ، ومن ثم فان

كل ما يقال عنه وعن حاشيته فهو صحيح مادام انه يعجل بيوم سقوطه ! ‥ وحتى مجموعات الضباط الأحرار « البغدادى ، ومحسن عبد الخالق ، وعبد الصمد » الذين اتصلوا بمصطفى مرعى ، وأمينة السعيد ، واحسان عبد القدوس ‥ فقد كان دافعهم وطنيا وغيرة على مستقبل هذا البلد ‥ وحتى الذين يريدون أن تبقى صفحة « الثورة » طاهرة نقية ويرددون اسم « مصطفى مرعى » من بين أسماء قيل انها اعتزمت لقاء عبد الناصر يطلبون منه الاستسلام للمعتدين عام ١٩٥٦ ‥ هؤلاء ينبغى الا يغضبوا اذا طلبنا منهم أن يقرأوا (مذكرات عبد اللطيف البغدادى) الجزء الأول ص ٣٤٤ ـ ٣٦٧ ليعرفوا أن أحد قادة الثورة « صلاح سالم » هو الذى (اقترح على جمال عبد الناصر أن يعلن بيانا على الشعب يخبره فيه بأنه رأى أن المصلحة تستدعى تجنيب البلاد الخراب والدمار) ‥ وهنا قال جمال عبد الناصر : (انه من المستحسن أن ننتحر جميعا هنا قبل أن نأتى بمثل هذا العمل) وليعرفوا أن شخصا واحدا من المدنيين هو « سليمان حافظ » طلب من « صلاح نصر » ان يقابل « جمال عبد الناصر » وتمت المقابلة مع عبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر فى منزل بالدقى الساعة الثامنة والنصف مساء يوم الجمعة ، ٢ نوفمبر ١٩٥٦ ‥ وكان اقتراح « سليمان حافظ » هو : (ان نتقدم بطلب للدول المعتدية بجعل مصر دولة محايدة كسويسرا وكذا قناة السويس وأن تضمن هذه الدول حياد مصر وذلك حتى نجنب البلاد ويلات الحرب والدمار والخراب والاحتلال · وأن يقوم بتقديم هذا الاقتراح شخص آخر غير جمال عبد الناصر ـ وليس هناك أصلح من محمد نجيب لهذه المهمة) فرد عليه عبد الحكيم بقوله : (ان هذا الاقتراح سبق وتقدم به جمال للجنة مانزيس ولكنه رفض ‥) ‥ لقد كان هذا الاقتراح اذن هو اقتراح جمال عبد الناصر ، وأعاده

« سليمان حافظ » الذى كان قد وضع نفســـه فى خدمة حركة الجيش منذ قيامها ٠

ترتيب الأوراق

قبل أن نصل الى استقالة رئيس ديوان المحاسبة ، والمراسيم الخاصة بمجلس الشيوخ لابد من ترتيب الأوراق ترتيبا تاريخيا حتى يمكن فهم كل خطوة فهما سليما ٠٠ ينص الدستور على تجديد نصف أعضاء مجلس الشيوخ فى كل خمس سنوات ٠ ولما كانت نيابة النصف الأول من أعضاء المجلس تنتهى فى ٦ مايو ١٩٤٦ فقد أجريت القرعة بجلســـة ٧ مارس ٠ ورأى « حسين سرى » رئيس الوزارة أن ظروف الحرب غير ملائمة لاجراء عملية انتخاب أعضاء جدد ، فاستصدر فى ٢٤ مارس مرسوما بتعيين أعضاء جدد بدلا من الذين خرجوا بالقرعة ٠ ولما تولت وزارة النحاس باشـــا الحكم فى أعقاب ٤ فبراير ١٩٤٢ وألغت اجراءات حسين سرى وقامت باجراء انتخابات لملء مقاعد الخارجين بالقرعة ، وقامت بتعيين أعضـــاء جدد بدلا من الذين عينهم حسين سرى ٠ ولكن القصر بعد اقالة النحاس باشا فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ رغب فى اضعاف نسبة الوفد داخل مجلس الشيوخ ٠ وقام « أحمد ماهر » رئيس الوزراء باستصدار مرسوم يبطل تعيين الأعضاء الذين اختـــارهم النحاس باشـــا ويعيد من عينهم حسين سرى ٠ وسنة ١٩٤٦ حل موعد التجديد النصفى ٠٠ وهنا يقول « حسن يوسف » فى مذكراته ص ٢٤٦ :

(كان الحكم لاسماعيل صدقى باشـــا وبتعاونه مع القصر أجريت الانتخابات وتمت التعيينات ، وبهذا تحقق للملك ماكان ينشده من ايجاد توازن بين الأحزاب بحيث يكون للوفديين ثلث

الأعضاء وللأحزاب الأخرى الثلث وللمستقلين الثلث) وهذا كلام صريح يوضـــح ان اجراءات حســـين سرى ، وأحمـــد ماهر ، وأسماعيل صدقي ، كان الهدف منها عدم اعطاء أغلبية للوفد داخل مجلس الشيوخ ٠

وعلى هذا فمن الطبيعى جدا عنـــدما يعود الوفـد فى ١٢ يناير ١٩٥٠ بأغلبية كاسحة فى مجلس النواب أن يعمل على تقويم الوضع فى مجلس الشيوخ بعد أن تعرض لاجراءات سرى وماهر وصدقى لحساب السراى للاخلال بنسبة تواجد الوفد فى مجلس الشيوخ ٠ ويسجل « حسن يوسف » حامل اختام الملك ـ فى مذكراته على ص ٢٥١ :

طلبت مقابلة الملك لأمر عاجـــل فاستمهلنى ثـم حدثنى تليفونيا ٠٠ فشرحت له وجهة نظرى ٠٠ انه كملك دستورى (ا) لا مصلحة له فى أن يكون فى مجلس الشيوخ أغلبية وفدية ساحقة٠ وقد أنصت الملك الى حديثى طويلا وأنا أدلل على مجهوداتنا منذ أن كان حسنين باشا رئيســـا للديوانلايجاد توازن فى مجلس الشيوخ بين الأحزاب وبين المستقلين ٠٠ وفى النهاية قلت اننا قد نأسف يوما على هذا التصرف ٠٠) ٠

كان تصحيح الوضع داخل مجلس الشيوخ بالنسبة للأغلبية الوفدية ، أمرا واردا بعد عودة الوفد الى الحكم فى يناير ١٩٥٠ ، ولكن مجىء مراسيم مجلس الشيوخ فى ظروف تداخلت فيهـــا استقالة رئيس ديوان المحاسبة ، واستجواب « مصطفى مرعى » واثارة ماعرف بقضية (الأسلحة الفاسدة) والرغبة العارمة لدى الشارع المصرى كما أسلفنا ضد الملك أعطى انطباعا معينا ازاء الاستجواب وازاء المراسيم الخاصة بمجلس الشيوخ ٠

الاستجواب والمراسيم

على الرغم من محاولة « حسن يوسف » تفسير استقالة « محمود محمد محمود » من رئاسة ديوان المحاسبة بعدم الانعام عليه بالباشاوية في ديسمبر ١٩٤٩ في عهد وزارة « حسين سرى» الا أن الموقف الشجاع لرئيس ديوان المحاسبة من المبالغ التى صرفت لكريم ثابت المستشار الصحفي للملك من مستشفى المواساة ، واصراره على ادراج الأوراق الخاصة بالمستشفى في التقرير السنوى · ثم اصراره بعد ذلك على الاستقالة (٢٠ ابريل ١٩٥٠) لهى كلها مواقف تسجل لمحمود محمد محمود ، وتحسب له أيا كانت الدوافع الشخصية · وبالمثل فان السؤال الذى قدمه « الشيخ مصطفى مرعى ، لرئيس مجلس الوزراء في ٧ مايو ١٩٥٠ عن أسباب الاستقالة وهل الاستقالة مقصورة على موضوع مستشفى المواساة ؟ أم أنها تتصل بملاحظات أبداها ديوان المحاسبة على نفقات حرب فلسطين ؟ هو سؤال شجاع أسهم في هز الثقة بالملك وبحاشيته وينسق مع الاتجاه الوطنى العام · ولا يقلل من شأن السؤال الذى تحول الى استجواب (٢٩ مايو ١٩٥٠) ان مصطفى مرعى سافر الى أوروبا وأعلن الشيخ المحترم ابراهيم مدكور أنه يتبنى الاستجواب ·

وفى ظل تلك الظروف تداخلت فى صورة واحدة المراسيم الخاصة بمجلس الشيوخ ، ثم تفجير موضوع (الأسلحة الفاسدة) بقلم « الأستاذ احسان عبد القدوس » وكانت مراسيم ١٧ يونيه ١٩٥٠ تقضى بتعيين على زكى العرابى رئيسا لمجلس الشيوخ بدلا من د · محمد حسين هيكل وأبطال عضوية ابراهيم عبد الهادى ومصطفى مرعى وآخرين ، وتعيين ٩١ عضوا وفديا و ١٠ أعضاء غير وفديين وبعد اجراء انتخابات التجديد النصفى

للمجلس فى مايو ١٩٥١ تحققت الأغلبية المطلقة للوفد فى المجلس. وفي ١٧ أكتوبر ١٩٥٠ رفعت بعض الشخصـــيات السياسية . عريضة الى الملك فاروق وقعها ابراهيم عبد الهادى ومحمد حسين هيكل ، ومكرم عبيد ، وحافظ رمضان وعبد السلام الشاذلى ، وطه السباعى ، ومصطفى مرعى ، وعبد الرحمن الرافعى ، وابراهيم دسوقى أباظة ، وأحمد عبد الغفار ، وعلى عبد الرازق ، ورشوان محفوظ ، وحامد محمود ، ونجيب اســـكندر . وزكى ميخائيل بشارة ، والسيد سليم . وكان هذا الحشد أكبر تجمع من أحزاب الأحرار والسعديين والكتلة والوطنى لمواجهة حكومة الوفد ، وهو احياء للتجمع نفسه الذى عمل فى أكتوبر ١٩٤٤ بأوامر من الملك لضرب الوفد .. ولكنهم هذه المرة يعيدون الى ذاكرة الملك (أياما سعيدة كنتم فيها الراعى الصالح والرشيد .) ويهاجمون مراسيم يونية ١٩٥٠ . ثم يتحدثون عن العناصر التى تحجب العرش عن البلاد (لأن الاقدار قد أفسحت مكانا فى الحاشية الملكية لأشخاص حامت حول تصرفاتهـــم ظلال كثيفة من الشبهات هى الآن مدار التحقيق الخاص بأسلحة جيشنا الباسل) وها نحن قد وصلنا الى عقدة هذا المقال وهى القضية التى عرفت بقضية الأسلحة الفاسدة.

الأسلحة الفاسدة

أريد هنا أن أكون واضحا ومحددا .. فاننى واحد من جيل صفق لمصطفى مرعى ولاحسان عبد القدوس ولكل من آثار مسألة (الأسلحة الفاسدة) ولكل من اشار بأصـــابع الاتهام للملك ولحاشية الملك .. وأنا هنـــا ماجئت بعد حوالى أربعين ســـنة لأسحب التصفيق أو لأعتذر عنه .. نريد فقط تحديد الوقائع .. دخل الجيش المصرى حرب فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ فى ظل

وزارة محمود فهمى النقراشى ٠٠ ولحقت الهزيمة بالجيش وبعد سنتين ، وفى ظل الحريات التى أتاحتها حكومة الوفد انفجرت حملة الدعاية التى تفسر الهزيمة بأن الأسلحة كانت فاسدة ! وحتى لايسىء البعض الفهـــم نقول تحديدا ٠٠ كان الملك فاروق فاسدا ٠٠ وكانت الحاشية فاسدة ٠٠ وكما تاجرت الحاشـية بقوت الشعب وبحريات الشعب تاجرته بأسـلحة الجيش وأثرت ثراء فاحشا ٠٠ الأسلحة لم تكن فاسـدة ٠ وأشير هنا فى هذا المقام الى التحقيق الممتاز الذى نشره على هذه الجريدة جمال بدوى فى حلقات ثلاث (٢٧ ديسمبر ١٩٨٤ـ٣ يناير ، ١٠ يناير ١٩٨٥) بعنوان (قصة أشهر استجواب برلمانى قبل الثورة ـ اسـطورة الأسلحة الفاسدة) لقد أفاد الضباط الأحرار فائدة ممتازة من الحديث الملتهب حول ماسمى بالأسلحة الفاســدة ٠ وكان عبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم ومصطفى مرتجى ومحمد شوكت على صلة بمصطفى مرعى وقابل محسـن عبد الخالق أمينة السعيد ، وكان آخرون على صلة باحسان عبد القدوس ٠ والتهب الشارع المصرى كله ضد الملك وضد الحاشية ٠ ووجد (الضباط الأحرار) فى القضية ورقة دعائية ناجحة لاثارة الضباط الشبان ضد العهد كله ٠ وكان « احسان عبد القدوس » على صلة ما بعدد من الضباط الأحرار ، وبدأ « الاستاذ احسان » فى اثارة الموضوع فى يوليو ١٩٤٩ ٠ وقدم له (الضباط الأحرار) عددا من الوثائق تشـير الى بعض الأمراء ، وبعض كبار الضباط ، وزوجة أحد كبار الضباط ، وبعض رجال الأعمال ٠٠ كلهم متورطون فى صفقات مشبوهة للأسلحة وهذا كله يمكن ادراكه سياسيا حتى بدون وثائقه ٠٠ ولكن النقطة الرئيسية هى أن الأسلحة لم تكن فاسـدة كما أشـيع وقتذاك تضربها الى الأمام فيرتد الرصاص الى الخلف ! ويجدد « احسان » الحملة فى يونيه ١٩٠ بعد أن قدم رئيس ديوان المحاسبة التقرير

الستوى ، وبعد أن استقال فى (ابريل ١٩٥٠) كما اسلفنا ، وبعد ان ترك مصطفى مرعى الاستجواب ليتبناه الدكتور ابراهيم بيومى مدكور وسافر الى أوروبا .

والنقطة الهامة هنا هى موقف حكومة الوفد من هذه القضية الخطيرة وهنا أشير الى مذكرات حسن يوسف رجل الملك ص ٢٨٦ ـ ص ٢٩٠ يقول : (بدأت القصة بما نشرته مجلة روز اليوسف فى شهر يونيه ١٩٥٠ من أنباء خطيرة عن توريد أسلحة فاسدة للجيش المصرى أثناء حرب فلسطين اذ اتصل بى مصطفى نصرت وزير الحربية والبحرية وقال انه سوف يبلغ النائب العام .. واستدعت النيابة رئيس التحرير الأستاذ احسان عبد القدوس لسماع أقواله فيما نشرته المجلة .. وبعد ثلاثة أشهر من بدء التحقيق زارنى فى مكتبى عبد الفتاح الطويل وزير العدل وفؤاد سراج الدين وزير الداخلية وقالا ان النائب العام أخبرهما بوجود قرائن بنسبة ٨٠٪ تدل على ان لبعض أفراد الحاشية الملكية صلة بصفقات الأسلحة التى ظهر فسادها . وانه يطلب التصريح بتفتيش منازل خمسة أشخاص من الموظفين ومراقبة تليفوناتهم ..)

ثم يقول حسن يوسف : (وضع النائب العام تليفونات المذكورين تحت المراقبة وراح يفتش منازلهم .. وقام جهلان ـ متعهد التوريدات للخاصة الملكية ـ بفتح الخزانة بحضور رئيس النيابة . واصل النائب العام تحقيقاته الى أن طلب تسهيلا لعمله ، ضرورة تنحية حيدر باشا القائد العام للقوات المسلحة عن منصبه . كذلك طلب النائب العام اقالة عثمان المهدى رئيس هيئة أركان الحرب من منصبه ، واحالة ١٢ ضابطا الى المعاش . وكان له ما أراد .

لقد سمحت حكومة الوفد بنشر المقالات فى هذا الموضوع

الحساس ، وتم ابعاد القائد العام للقوات المسلحة عن منصبه ، وتمت اقالة رئيس هيئة أركان الحرب من منصبه ، وتمت احالة ١٢ ضابطا كبيرا الى المعاش • وتم تفتيش منازل رجال الحاشية الذين امتد اليهم التحقيق •• وبعد ذلك في ٢٨ مارس ١٩٥١ صدر قرار بحفظ التحقيق • وقبل ان يسرع القارىء الى أى تعليق نسجل ان النيابة بعد استيلاء الضباط الأحرار على السلطة فى يوليو ١٩٥٢ أعادت التحقيق فى أمر الأسلحة الفاسدة وانتهى التحقيق الى الحفظ مرة أخرى •

رجال لاملائكة

وفى النهاية قد نختلف أو نتفق حول مصطفى مرعى الذى جاء من تراب الدلتا سنة ١٩٠٢ وعاد اليه فى ٧ نوفمبر ١٩٨٧ • ولكننا لانختلف حول صدقه مع نفسه وحول اخلاصه ، وحول شجاعته • اشترك فى وزارة « ابراهيم عبد الهادى » الأولى من ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ــ ٢٥ يوليو ١٩٤٩ ، الوزارة التى اشتهرت بمطاردتها للاخوان المسلمين وللشيوعيين ، واشتد السخط الشعبى على ابراهيم عبد الهادى ، ومع هذا فان « مصطفى مرعى » بضمير القاضى وهو وزير فى وزارة حسين سرى (٢٥ يوليو ــ ٣ نوفمبر ١٩٤٩) يعترض على قسوة الحكم الذى صدر ضد أحد زعماء الحركة الشيوعية ومع هذا أيضا يتقدم مصطفى مرعى المحامى الشجاع للدفاع عن ابراهيم عبد الهادى أمام محكمة الثورة •• وقف يدافع عن سياسى لايتمتع بعطف شعبى • ويقارع الثورة فى عنفوان جموحها وبطشها •

لقد كان لمصطفى مرعى موقف واضح ومحدد من ثورة ٢٣ يوليو ومن ممارساتها ومن تجاوزاتها • وهو فى هذا الموقف

صادق مع نفسه . كان صادقا مع نفسه عندما قاد حملة ضد فساد حاشية الملك وضد فساد الملك فلماذا يهاجمه البعض اذا كان صادقا مع نفسه وهو يختلف مع ٢٣ يوليو ؟

ويبدو أن الأستاذ أحمد أبو الفتح قد اقترب منه كثيرا وهو يشهد له بالوطنية والعلم والعدالة والانسانية والصدق فى العقيدة الدينية والوفاء وحرصه على أداء حق الناس فى ماله الذى هو مال الله ، وعن صلابته فى مواجهة الطغاة وأذناب الطغاة ..

انصرف فى آخريات حيـــاته الى المشاركة فى أعمال مجمع اللغة العربية (١٩٧٣ ـ ١٩٨٧) وأسهم فى لجان القانون والشريعة والاقتصاد ، والألفاظ والأساليب .. ماذا نريد من رجـال مصر أكثر من هذا ؟ هل نريدهم ملائكة ؟ دلونا عليهم ونحن نكتب عنهم .

أسانيد المقـال

● احمد ابو الفتح	جريدة الوفد ١٩٨٧/١١/١٢
● احسان عبد القدوس	مجلة روز اليوسف (يوليو ١٩٤٩ ـ يونيه ١٩٥٠)
● جمال بدوى	جريدة الوفد (٨٤/١٢/٢٧ ـ ٨٥/١/٣ ـ ١٩٨٥/١/١٠ .
● حسن يوسف	مذكرات
● مصطفى امين	جريدة الاخبار ١٩٨٧/١١/٩ .
● محسن محمد	جريدة الجمهورية ١٩٨٧/١١/٩ .
● د. مهدى علام	المجمعيون فى خمسين عاما .



محمود أبو الفتح

- أول نقيب للصحفيين فى مصر •
- سعد زغلول يمنح محمود ابو الفتح الدرجة النهائية رغم اعتراض دانلوب •
- ديجول يسلمه محطة من اذاعات المقاومة السابقة ضد النازى •

كلما جلست اليـــه ، زاد احترامى لذلك الجيل العظيم الذى يسبق جيل •

يحلو له دائما أن يحدثنا عن « مصطفى النحاس » وعن سلوكه القويم النادر •

وندرك ونحن نستمع اليه لماذا حرص رجال يوليـــو على أن ينتقموا من « مصطفى النحاس » فى شخص « ابراهيم فرج » •

مصطفى النحاس كان (ولى أمـــر) ابراهيم فرج ، وابراهيم ـ مد الله فى عمره ـ لم يزل محبا ووفيا ومخلصا لذكرى الزعيم العظيم مصطفى النحاس •

كلما جلست اليه ، احرص على أن اعرف رايه ـ وهو قارىء ممتاز ـ فيما اكتب هذا (هذا الرجل من مصر) وان اعرف منه مالم اكن اعرف •

فى الأيام القليلة الماضية ‥ وبنظرات عتاب قال ‥ « محمود أبو الفتح » : قلت طبعا ، ضرورى ، فى ذهنى وأردف قائلا وهو يدير أرقام التليفون ‥ أول تعقيب للصحفيين وقلت بلهجة دفاع عن النفس ‥ نعم انه أول من طلب من الحكومة سنة ١٩٤١ انشاء نقابة للصحفيين ، فوافقت الحكومة بشرط توفير مقر ، وتبرع « محمود أبو الفتح » بشقته فى عمارة الايموبيليا واختاره الصحفيون اول نقيب لهم فى عهد حكومة الوفد (٤٢ ـ ١٩٤٤) خصصت الحكومة الأرض الحالية للنقابة ، وتبرع هو بالجزء الأكبر من نفقات المبنى وحينما تقرر افتتاح مبنى النقابة كان « محمود أبو الفتح » قد استنفد مرات انتخابه كنقيب فاختار الصحفيون أخاه « حسين أبو الفتح » نقيبا بالتزكية ‥ وسمعته ينهى المكالمة ‥ أحمد ‥ لمعى سيمر عليك غدا ‥ وودعنى فى أبوة آمرة ‥ أحمد أبو الفتح فى انتظارك غدا ‥ وودعته وانا اتمنى ان يكون لجيلنا والأجيال التالية لنا بعض النقاء والعزيمة والصدق لدى ذلك الجيل .

سعد ودنلوب

عندما كان سعد زغلول ناظرا للمعارف (١٩٠٦ ـ ١٩٠٨) ذهب اليه « الشيخ أحمد أبو الفتح » مفتش اللغة العربية ومن أبناء دار العلوم وأستاذ الشريعة الاسلامية لأكثر من ثلاثين عاما فى (الحقوق) فيما بعد . ذهب يعرض مشروعا لنشر (الكتاتيب) ويطلب دعمها ‥ وقال سعد انت والد التلميذ « محمود أبو الفتح» نعم ، وماذا فى الأمر ؟! وقال سعد ‥ لقد أيدت رأى المدرس المصرى الذى منح ‥ محمود الدرجة النهائية فى موضوع كتبه باللغة الانجليزية بروح وطنية وعلى غير رغبة المدرس الانجليزى الذى أعطى محمود صفرا تنفيذا لتعليمات « دنلوب » المستشار الانجليزى للتعليم فى مصر ‥ وقاد محمود مظاهرة ضد سياسة

دنلوب ففصل من المدرسة استنادا الى شهادة بحسن نية من زميله أحمد عبد الغفار وحصل على البكالوريا بنظـام (المنازل) وفى مدرسة الحقوق جاء دنلوب يزور المدرسة ليواجهه محمود أبو الفتح بمظاهرة ويتقرر فصل محمود مرة أخرى ..

وسنة ١٩١٤ وكان محمود أبو الفتح قد تجاوز العشرين من العمر (ولد بالزقازيق فى ١٥ أغسطس ١٨٩٣ - وتوفى فى ١٥ أغسطس ١٩٥٨) اتصل بجريدة وادى النيل وهى جريدة موالية للحزب الوطني أصدرها محمد الكلزه فى الاسكندرية فى ٢ مايو ١٩٠٨ ، واستمرت الى ٣١ ديسمبر ١٩٣٦ وكتب فيها .. « أحمد عبد الغفار ومحمود أبو الفتح وتوفيق دياب ، وعبد اللطيف النشـار ؛ ومحمد حمدى ، ومحمود عزمى ، وأحمـد حسين ، وفتحى رضوان » .. وكانت ذات اتجاه معتدل وعلى صلة قوية بأحمد لطفى السيد رغم تأييدها للحزب الوطنى ..

مع الوفد المصرى

ترك محمـود أبو الفتح كتابين .. (مع الوفد المصرى) (والمسألة المصرية والوفد) .. وفيهما تسـجيل دقيق لحركة الوفد المصرى فى أوروبا وما اتصل بالحركة من ملابسات ويظهر فى الكتابين اسلوب الصحفى محمود أبو الفتح وكان أول اتصال له بالوفد المصرى فى فبراير ١٩١٩ فى الاسكندرية عندما عرض على « محمود أبو النصر » عضو الوفد ما تنشره الصحف الأجنبية عن الوفد وعن المسألة الوطنيـة واقترح ان تتم ترجمـة لهذه التعليقات واقترح الرد عليها وكان محمود أبو الفتح يجيد اللغتين الانجليزية والفرنسية ووافق سعد باشـا على الاقتراحات على ان

يقيم أبو الفتح فى القاهرة ومقابل عشرة جنيهات من أول مارس ١٩١٩ ٠

وفى مساء ٣١ مارس ١٩١٩ حصل أبو الفتح على أول حديث من اللورد اللنبى ونشرته جريدة وادى النيل وفى ١١ ابريل ١٩١٩ رافق محمود أبو الفتح الوفد المصرى السفر الى باريس مندوبا عن جريدة وادى النيل ، وطلب منه « داود بركات » ان يوافى (الأهرام) بأخبار الوفد المصرى فى باريس ويصف لنا المظاهرة التى ودعت الوفد المصرى فى بورسعيد الى أوروبا ووصلت السفينة قبل ظهر الجمعة ١٨ ابريل ، وهناك فى باريس يتصل بجمعية الطلبة المصريين ٠ وفى ٢٥ ابريل يكتب « أبو الفتح » مذكرة عن الحركة المصرية ، وعن مطالب المصريين ويرسلها الى أعضاء مجلس العموم ، وأعضاء مجلس اللوردات والى أعضاء حزب العمل وبتوقيع محمود أبو الفتح صحفى مصرى يرسل فى ١٥ مايو برقية الى مجلس العموم وتعرف هناك الى الصحفيين الفرنسيين الذين يعملون سرا من أجل استقلال بلادهم ولم يذكر أسماءهم خوفا من بطش السلطات بهم ٠

واهتم « أبو الفتح » فى باريس بالحصول على تأييد اليسار الفرنسى للمطالب المصرية وقد عانى أبو الفتح فى باريس كثيرا خاصة من الناحية المالية وان كان فى موضع آخر من الكتاب يسجل ان محمود الكلزه سلمه بعد رجوعه كل مستحقاته المالية ٠ وكان قد سافر مقترضا من أصدقائه وعاد من باريس مقترضا من عبد العزيز فهمى ومحمود أبو النصر ٠

ما قبل المصرى

واذا كان اسم محمود أبو الفتح قد ارتبط بجريدة المصرى (أكتوبر ١٩٣٦ ـ مايو ١٩٥٤) فان نشاطه قد امتد الى مجالات مختلفة بعد عودته من أوروبا فقد أصدر جريدة (الجمهور) كجريدة مصرية تتولى الدفاع عن القضايا الوطنية والحرية والاستقلال وتم تعطيلها ، وفى ٢٨ نوفمبر ١٩١٩ تعاقد على الاشتراك فى تحرير الأفكار وكانت من قبل يصدرها عبد العزيز الصوفانى واشترك فى تحريرها الدكتور زكى مبارك الذى كتب انه كان يحررها من أولها الى آخرها ! وتم الاتفاق بين الصوفانى وعبد القادر حمزة على ان تصدر موالية للوفد . وكتب فيها سينوت حنا . وقررت السلطات تعطيلها بعد ثلاثة أشهر بسبب مقالات سينوت ..

ويقول محمود أبو الفتح فى كتابه الذى يقترب من المذكرات انه سافر مرة أخرى الى أوروبا الى ايطاليا وبلجيكا وجنوب فرنسا وتوطدت علاقته بجريدة الأهرام فى عهد ولاية داود بركات وكان الصحفى المصرى الوحيد الذى يشارك طاقم المنطاد (زبلن) رحلته والصحفى المصرى الوحيد بل انه أول صحفى يذيع خبر اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون سنة ١٩٢٢ . واشترك مع عبد الله حسين فى تغطية مفاوضات محمد محمود ـ هندرسون .

وقد ظل محمود أبو الفتح المحرر الأول فى الأهرام . وكان داود بركات رئيسا لتحرير الأهرام (١٨٩٨ ـ ١٩٣٣) وفى ٥ نوفمبر ١٩٣٣ توفى داود بركات ورنا محمود أبو الفتح ببصره الى كرسى رئاسة التحرير ، غير ان أصحاب جريدة الأهرام وضعوا « انطون الجميل باشا » رئيسا للتحرير ومنذ ذلك اليوم تأكد محمود أبو الفتح انه يلزم لمصر جريدة يومية مصرية تعبر عن

الحركة الوطنية المصرية وكان هذا الحدث فى حياته نقطة تحول رئيسـية ٠

جريدة المصرى

واتفق ثلاثة محمود أبو الفتح ومحمد التابعى ، وكريم ثابت، على أن يصدروا جريدة يومية اقترح لها كريم ثابت اسم المصرى والآن أصبح الثلاثة فى ذمة الله ، وأصبح المصرى فى ذمة الشعب ٠

باع محمد التابعى حصته للوفد واشترى محمود أبو الفتح حصة كريم ثابت ثم اشترى حصـة الوفد ٠٠ وأصبحت جريدة المصرى ملكية موحدة لآل أبو الفتح ٠٠

ولعل السياسة التى سـار عليها المصرى فى عهد رئيس تحريره أحمد أبو الفتح منذ أول يوليو ١٩٤٦ هى ذاتها سياسته فى فترة حسين أبو الفتح عامى ٤٤ ـ ١٩٤٥ وكلتاهما امتـداد للسياسة التى سـار عليها المصرى أيام محمود أبو الفتح من ١٩٣٦ ـ ١٩٤٤ ، وهى فى مجملها ان تكون الجريدة عامة وليست حزبية بالمعنى الضيق ٠٠ وان تتجه الى الخبر قبل المقال ، وان تكتفى بكلمة المصرى بدلا من المقالات الحزبية الحادة ٠ وفى تقديرنا ان هذه السياسة تتفق وافتتاحية محمد التابعى التى قدم بهـا الجريدة الى القارىء : وعدا واحدا فقط هو الذى نتقدم به الى القراء ٠٠ ان نحاول ما استطعنا ان ندخل على المصرى دائما لونا من روح العصر الذى نعيش فيه ٠٠ عصر الاختزال والسرعة والقصور الى الهدف من أقصر طريق عصر الأخبار والأخبار ودائما الأخبار فلن تجـدوا فى المصرى صفحة كاملة عن ايهما أفضـل البحترى أو أبو تمام ؟ كلاهما عندنا رجل فاضل نرضى أن نقرأ على روحه الفاتحة ولكننا لن نقرأ له سبعة أعمدة ٠٠

وهذا لاينفى ان المصرى قد مرت عليها أيام كانت فيهـــا وفدية حزبية وكانت القيادات داخل الوفد تتجاذبها • وقد لمع مصطفى أمين وعلى أمين فى جريدة المصرى وقدم مصطفى أمين حديثا مع مصطفى النحاس عن معاهدة ١٩٣٦ واهتم أحمد أبو الفتح فى فترته ٤٦ ــ ١٩٥٤ بتقديم الشـــباب أمثـــال محمد خـالد ومحمـد حمزة ، وعبد القـادر حمزة ، وعبد المنعم الصـاوى ، ومحمود عبد المنعم مراد •

يوليو والمصرى

كى ندرك حقيقة موقف ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من جريدة المصرى ينبغى ان نقلب صفحات الجريدة قبل ذلك بسنوات فى ضوء ملفات الخارجية البريطانية والتى اوردتها الدكتورة لطيفة سالم فى كتابها (الصحـافة والحركـة الوطنية المصريـة ــ من ملفـات الخارجيـة البريطانية) • وينبغى ان نضع فى الاعتبار الاتصالات التى تمت بين رجال يوليو ، ورجال السفارة الأمريكية فى الاسبوع الأول من انقلاب الجيش والتى كشف عنها النقاب أخيرا ونشرتهـا مجلة المصور المصرية ، وينبغى أيضـــا وهو الأهم ادراك حقيقة دور « محمود أبو الفتح » فى تحرير جريدة المصرى ، وينبغى أخيرا ان نعرف العلاقة بين « جمال عبد الناصر » و « أحمد أبو الفتح » •

و « محمود أبو الفتح » • كان له صوت الخبرة فى الجريدة ، كانت له بصمات تجربة سابقة فى جريدة الأهرام • وسواء تولى رياسة التحرير « حسـين أبو الفتح » أو « أحمـــد أبو الفتح » فله دائما الاشراف العام واليومى •

وأشار ملفات الخارجية البريطانيـــة (٤٥ ــ ١٩٥٢) الى ما كتبه « محمود أبو الفتح » (المصرى فى ١٦ يوليو ١٩٤٩)

بعنوان (يا زعماء مصر اقرأوا الكتـابة على الحائط) ويحذر من تخطيط بريطانيا ضد مصر اذ ان وصى العراق وملك الاردن وأمير ليبيا مجتمعون فى لنـدن ، ويحذر من التدخـل فى الانتخابات القادمة • وفى ٢٩ مارس ١٩٥١ يرسل مسئول النشر بالسفارة البريطانية الى حكومته بما يقوم به « محمود أبو الفتح » فى جريدة المصرى ويشير الى احتمال ان تكون حكومة الوفد خلف الحملة الوطنية التى تقوم بها • ويشير الى حملة « المصرى » على أمريكا لدورها فى مساندة بريطانيا (٢٥ أكتوبر ١٩٥١) •

والعلاقة بين « جمال عبد الناصر » وأعضاء الهيئة الوفدية (الدكتور عزيز فهمى ، وابراهيم طلعت ، وأحمد أبو الفتح ، ورفيق الطرزى) أصبحت الآن معروفة وشبه مؤكدة ، ولا يخفى أن « أحمد أبو الفتح » لظروف خاصـة أسـهم فى تحذير « جمال عبد الناصر » من موقف القصر ازاء محـاولة اجهـاض (٢٣ يوليو) فسارع « جمال عبد الناصر » الى تقديم موعد الحركة•

هذه العناصر الثلاثة تؤكد ان الضباط الأحرار استولوا على السلطة ليلة ٢٣ يوليو وقد أسهم « أحمد أبو الفتح » بدور فى حمايتها ، وأسهم « محمود أبو الفتح » بدور وطنى ضد بريطانيا ، وأسهم « المصرى » بدور هام فى الحركة الوطنية • فاذا ما جاءت (الوثائق الأمريكية التى قدمها « الدكتور رضا شحاته » الوزير المفوض بالخارجية المصرية ونشرتهـا مجلة المصور المصرية لتشير الى ان مندوب الضباط الأحرار فى (٢٤ يوليو ١٩٥٢) أكد لممثل السفارة الأمريكية ان الصحف المصرية اليسارية سوف يوقف اصدارها ، ومن المنتظر اغلاق (جريدة المصرى) يكون الأمر موضع أكثر من علامة استفهام •

موقفـــان

والآن وقد رحل « محمـــود أبو الفتح » فى ١٥ أغسطس (يوم مولده) ١٩٥٨ ، ورحل « جمال عبد الناصر » فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، وابتعدت الصورة فأصبحنا نرى منحنياتها أكثر وضوحا فاننا نرى بوضوح موقفين (جريدة المصرى) وبها أسرة أبو الفتح والمحررون الوطنيون الشبان تتمسك منذ اليوم الأول (٢٣ يوليو) بالجمهورية البرلمانية ، وبالدستور وبالنظام النيابى ، وبموقف محدد من الولايات المتحدة الأمريكيـــة التى تزحف لترث النفوذ البريطانى ٠٠ من أجـــل هذا ينطلق قلم « رئيس التحرير » ـ أحمد أبو الفتح ـ يوميا تقريبا يؤذن بهذا الاتجاه ، ويفتح صفحات المصرى لأصـحاب الاتجـاه الوطنى الديمقراطى من العســكريين والمدنيين على السواء ٠٠ وعلى الواجهة الأخرى « جمال عبد الناصر » ومجموعته تتحدث بهذا كله مجرد حديث ٠٠ وفى التنفيذ يعمقون اتجاه الجمهورية الدكتاتورية ، والغاء الدستور ، وحل الأحزاب ، والاعلان عن « هيئة التحرير » واعتقال الشيوعيين والوفديين ، ومهادنة الاخوان المسلمين مرة وضربهم مرات ، ومطاردة شرسة لكل العناصر التى تأتى بكلمة الديمقراطية على ألسنتها ٠٠

وســـافر « محمـــود أبو الفتح » الى الخارج ، وبقى « أحمد أبو الفتح » يدفعه شبابه الى الاصرار على الاتجاه الوطنى الديمقراطى ، والأمل فى اقناع « جمـــال عبد الناصر » لم يزل يراوده ٠٠ والاجتمـاعات تعقد وتنفض بينــه وبين عبد الناصر ٠٠ والطريقـــان يتباعدان ٠٠ عبد الناصر مستمر فى الاعتقالات وتصفية المعارضين له ويريد ان تكون المصرى ورجالها كتيبة ضاربة للتنظيم الواحد ٠٠ وأحمد أبو الفتح يريد الدســـتور والحريات

وهو كفيل بتأييد واسع لعبد الناصر من كل العناصر التي وضعت الأمل فى (٢٣ يوليو) قبيل وبعيد وقوعها ٠

وتباعدت السبل بين « عبد الناصر » و « أبو الفتح » و « أحمد أبو الفتح » عزوف عن مقابلات لا جدوى منها الى أن هدده « عبد الناصر » باعتقال العناصر الأساسية فى (جريدة المصرى) وبذلك تتوقف الجريدة ، وتحت هذا التهديد كان اللقاء العاصف والأخير بين « جمال عبد الناصر » و « أحمد أبو الفتح » فى ١٤ مارس ١٩٥٤ الذى طال لست ساعات وحضره «أحمد أنور» الذى كانت تربطه بالوفد صلات قديمة ، ويربطه بأحمد أبو الفتح ود خفى ٠٠

وفى نهاية الاجتماع عرف « أحمد أبو الفتح » بطريقة ما من « أحمد أنور » ان « عبد الناصر » قرر ان يهدر دمه ضمن قائمة من المعارضين لسياسته ، فكان ان سافر الى بيروت صباح ١٥ مارس ١٩٥٤ ولم يعد الى مصر الا فى عهد « أنور السادات » ٠

الاستيلاء على المصرى

كان « جمال عبد الناصر » ينظر الى الأمور من زاوية سياسية وهذا هو سر تفوقه على أقرانه في اللجنة التأسيسية وفي مجلس قيادة الثورة ٠ يروى « عبد اللطيف البغدادى » فى الجزء الأول من مذكراته على صفحتى ١٢٢ ، ١٢٣ ان محكمة الثورة برئاسته حكمت فى تلك الفترة على (أصحاب جريدة المصرى محمود وأحمد أبو الفتح بدفع مبلغ ٢١ ألف جنيه فروق ضرائب مستحقة عليهم) ولكن « جمال عبد الناصر » اعترض وطالب بتقسيط المبلغ ! فقال لهم البغدادى فى مجلس قيادة الثورة : منذ متى كانت جريدة

المصرى مؤمنة بكم ؟! اليس أصحاب المصرى هم الذين تكلم عنهم صلاح فى المؤتمر الشعبى يوم ١٥ سبتمبر ١٩٥٣ ؟! اليس هو أحمد أبو الفتح الذى يهاجمكم وخاصة صلاح ؟!

هذه جزئيات صحيحة ، ولكن « جمال عبد الناصر » ينظر الى الأمور من زاوية أخرى ٠٠ كان مجلس قيادة الثورة أثنـــاء جولة من جولات أزمة مارس قد قرر الغـــاء الرقابة على الصحف اعتبارا من السبت ٦ مارس ١٩٥٤ وتولى « عبد الناصر » اعلان ذلك فى مؤتمر صحفى يوم الأحد ٧ مارس فى مبنى مجلس قيادة الثورة ٠٠ ولهذا فعندما عرض موضوع (المصرى) قال عبد الناصر ٠٠ هل أنتم مستعدون للدخول فى معركة مع جريدة المصرى خاصة بعد الاعلان عن حرية الصحافة ؟ ولكن بعد سحب قرارات ٢٥ مارس المعروفة ، واعادة الرقابة على الصحف فى ٢٩ مارس ١٩٥٤ ، فى اجتماع مجلس قيادة الثورة فى ٣٠ مارس تم الاعلان عن محاكمة « محمود أبو الفتح ، وعن مصادر أمواله ، واحالة ٨ من أساتذة الجامعة الى المعاش ، والاعتداء على الدكتور السنهورى فى مجلس الدولة ، وطالب عبد الناصر باصـــدار قانون لتطهير الصحافة ٠ وكلف « صلاح سالم » فتحى رضـــوان بوضع هذا القانون ٠ وفى اجتمـــاع ٤ ابريـــل ١٩٥٤ تـم الاعـلان عن محاكمـــة « محمود أبو الفتح » ومصادرة جريدة المصرى ٠ وتم الاستيلاء عليها وعلى مبانيها وعلى ملحقاتها فى ٥ مايو ١٩٥٤ ٠

صوت مصر الحرة

وسألت الأستاذ « أحمد أبو الفتح » عن الاذاعة المســماة بصوت مصر الحرة ، وعن طبيعتها وعن حقيقتهـا ٠٠ فأوضح ان اذاعة شبيهة بهذا الاسم كانت تصدر ربما من قبرص ويحتمل

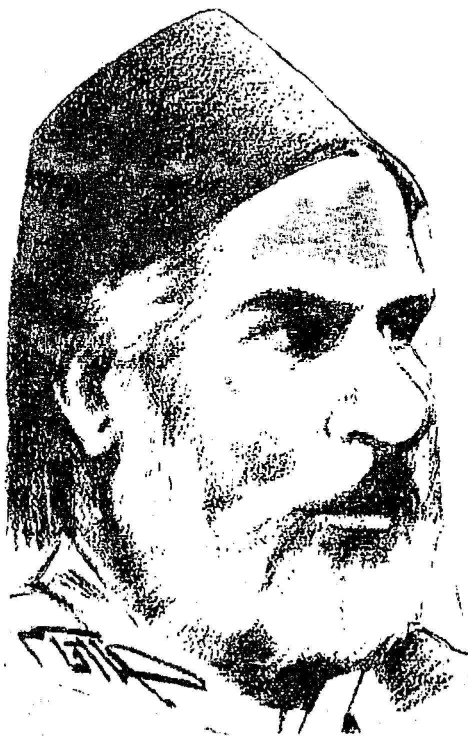
أن يكون الانجليز وراءها .. وكانت هذه اذاعة (بذيئة ومبتذلة) على حد قوله . وليس لأى أحد من أسرة « أبو الفتح » صلة من قريب أو من بعيد بهذه الاذاعة .. وانما الذى حدث بعد الاستيلاء على (المصرى) وأموالها ومطابعها وملحقاتها .. ظل « محمــــود أبو الفتح » يتنقل بين لبنـــان وأوروبا .. وقبيل وفاته بشهور قليلة وعن طريق « شارل ديجول » وليس عن طريق أحد غيره ، سلمته فرنسا محطة اذاعة وهى احدى محطات الاذاعة القديمة التى كانت « حركة المقاومة الفرنسية » تستخدمها ضد النازى . كان ديجول يرقب تحركات الاسطول الأمريكى فى المتوسط وقت ذاك، ويرقب النفوذ السوفيتى المتصاعد فى المنطقة .. فى هذا المناخ وضعت فرنسا محطة الاذاعة تلك ، تحت تصرف «محمود أبو الفتح وأحمد أبو الفتح » وأربعة من زملائهما ومعاونيهما .

يبقى أن أسجل أن « أحمد أبو الفتح » أكد فى حديثه معى انهم اشترطوا بحزم على السلطات الفرنســية عــدم التدخل فى سياستهم .. وكانت فترة البث ٣ ساعات يوميا .. تدافع عن حق الجزائر فى الاستقلال ، وتهاجم اسرائيل وأساليبها ، وتدافع عن حق الشعب المصرى فى الحرية والديمقراطية .

وبعد تشغيل اذاعة (صوت مصر الحرة) بشهور قليلة توفى « محمود أبو الفتح » ابن « الشيخ أحمد أبو الفتح » صاحب ورئيس تحرير (جريدة المصرى) الوطنية الديمقراطية .. وكان رحيله فى ١٥ أغسطس ١٩٥٨ ، ودفن ولم يزل جثمانه فى تونس .

أسانيد المقال :

● أحمد أبو الفتح	لقاء معه
● انور الجندى	الصحافة السياسية
● عبد اللطيف البغدادى	المذكرات جـ ١
● د. لطيفة سالم	الصحافة والحركة الوطنية المصرية
● محمد التابعى	أسرار الساسة والسياسة
● محمود ابو الفتح	مع الوفد المصرى
● د. يواقيم رزق	صحافة الحزب الوطنى



محمود حمدى الفلكى

- عمل مع محمد على وسعيد واسماعيل وتوفيق •
- ١٨ يوليو ١٨٨٥ أعد قبره وتوفى فجاة فى ١٩ يوليو •

لم يكن اسمه هكذا فى البداية ، بعد مولده سنة ١٨١٥ ببلدة الحصة مديرية الغربية كان اسمه « محمود أحمد » ، وبعد أن ذاع صيته فى مجال الفلك والعلوم اشتهر باسم « محمود حمدى الفلكى »• وعندما اصبح ناظرا للنافعة (وزيرا للأشغال) من ١٨ يونية ١٨٨٢ ـ ٢١ اغسطس ١٨٨٢ فى نظارة اسماعيل راغب باشا او وزارة الأزمة كما يطلق عليها « الدكتور لويس عوض » ، وعندما أصبح ناظرا للمعارف العمومية بعد الاحتلال فى نظارة (نوبار باشا الثانية) من ١٠ يناير ١٨٨٤ ـ ٩ يونية ١٨٨٨ كان قد اشتهر باسم « محمود الفلكى باشا » وهو الاسم الذى دخل به القمر فى ١٩ يوليو ١٨٨٥ • ويخبرنا « احمد سعيد الدمرداش » فى كتابه عنه •• أن « محمود الفلكى باشا » ناظر المعارف العمومية توجه الى الجبانة فى ١٨ يوليو ١٨٨٥ وحث العمال على سرعة الانتهاء من استكمال القبر الذى كان قد رسمه لنفسه ، وبعد أن اطمأن الى أن القبر أصبح جاهزا عاد الى مكتبه فى اليوم التالى ليموت فجأة وهو صحيح وبعافية •

المهم أن « محمود احمد » هذا أو « محمود حمدى الفلكى » أو « محمود الفلكى باشا » لم يبق من سيرته فى أذهان الناس سوى

ميدان أو شارع الفلكى وفى الفترة الأخيرة أشيع أن جهة ما فى سبيل أن تغير اسم الميدان أو اسم الشارع . وجاءنى الصديق الكاتب « مختار السويفى » يستحثنى أن يحتل « محمود الفلكى » واحدة من حلقات (هذا الرجل من مصر) وبعد حاضر .. حاضر دون تنفيذ . وضع أمامى كتابا من تأليف « محمود الفلكى » بالفرنسية ونقله الى العربية حفيده « محمود صالح الفلكى » وفى هذا الكتاب ترجمة ضافية لحياة « محمود الفلكى باشا » كتبها الحفيد الوفى مستندا الى عدد من المراجع الدقيقة ، ووضع (السويفى) أمامه أيضا دراسة له عن (العبقرى المصرى محمود الفلكى) كان قد نشرها فى جريدة الأخبار فى أواخر عام ١٩٨٥ . وحماسة « مختار السويفى » لمحمود الفلكى باشا تعادلها حماسة الزميل الكبير « كامل زهيرى » النقيب الأسبق للصحفيين الذى حكى لى أنه عندما كان فى (باريس) منذ سنوات قضى أياما كثيرة يبحث عن آثار « الفلكى باشا » هناك اذ أنه سافر فى بعثة سنة ١٨٥٠م الى باريس وهو برتبة (الصاغ) واتخذ المرصد الفلكى مقرا له . ودرس على أيدى علماء الطبيعة والفلك مدة تسع سنوات كاملة .. ويستعيد « كامل زهيرى » سعادته وهو يبحث عن محل اقامة (الفلكى) وعن بحوثه ودراساته التى وضعها بالفرنسية ، وعن المعاهد التى درس فيها فى باريس .

ووعدت بالكتابة عنه ، وهاأنذا أفى بالوعد .. وأرجو أن يقرأ هذا الموضوع الذين يركبون الخنازير وهم يفكرون فى اسم (مودرن) لميدان الفلكى ..

العهود الخمسة

واذا كنا قد عرفنا أن « محمود الفلكى باشا » قد ولد سنة ١٨١٥ م ورحل سنة ١٨٨٥ م ، فمعنى هذا انه شهد عصر محمد على ، وعباس الأول ، وسعيد ، واسماعيل ، وتوفيق . وعند وفاة محمد على (٢ أغسطس ١٨٤٩ م) كان المهندس « محمود أحمد »

يقوم بتدريس الرياضيات والفلك فى مدرسة المهندسخانة ومديرا للمرصد الفلكى الملحق بالمدرسة ٠ وعندما توفى « محمود الفلكى » عام ١٨٨٥ فى عهد الخديو توفيق ، كان كما عرفنا ناظرا (وزيرا) للمعارف العمومية ٠

ونقف فى عصر اسماعيل (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) عند حركة الترجمة ٠ وكانت رغبة اسماعيل فى الاستقلال عن تركيا تقوده الى زيادة التمصير وبدأت اللغة العربية تحتل مكانتها ٠ وقد صدر أمر لوزير الداخلية فى عام ١٨٦٦ ينص على استخدام اللغة العربية فى تحرير المراسلات الداخلية ٠

واتخذ « اسماعيل » عددا من الخطوات للاهتمام بالترجمة ، والاهتمام بتعليم اللغـــات الأجنبية ، واعادة فتح مدرســة الألسن ١٨٦٧ ، وتنوع اللغات الأجنبية فى المدارس ، وكان تعليم اللغة الفرنسية اجباريا ٠

نشطت حركة الترجمة فى عهد اسماعيل ٠ وتأتى العلوم والرياضات وفنون الهندسة على رأس القائمة ، وتأتى بعدها العلوم العسكرية ، وفى المرتبة الثالثة الآداب ، وفى المرتبة الرابعة التاريخ والجغرافيا ، وفى المرتبة الخامسة القانون ، وأخيرا (الطب والديانات والاحصاء والشئون المنزلية) ٠

يهمنا هنا أن ترجمة (العلوم والرياضيات والهندسة) كانت تحتل المقام الأول فى عصر اسماعيل وهذا يدل على عقلية ناضجة متقدمة ٠٠ ولا بأس هنا ان نذكر قائمة بأسماء المترجمين أو أهم المترجمين فى عهد اسماعيل فى الفروع المختلفة :

العلوم والرياضيات : محمود حمدى الفلكى ، وصالح مجدى ، وعبد الله أبو السعود ، ومحمود سليمان ، وجرجس حليا ، ومحمود

فهمى ، واسماعيل مصطفى الفلكى ، وأحمد نادى ، وعلى عزت ، وابراهيم مصطفى .

العلوم العسكرية : أحمد عبيد الطهطاوى ، سليمان سليمان ، سليمان رؤوف ، عبد الرحمن على ، حسن مظهر ، أحمد حمدى ، محمد عثمان .

الآداب : محمد عثمان جلال ، أحمد نجيب ، بشارة شديد ، حسين حسنى ، نجيب بحرى ، مراد مختار .

التاريخ والجغرافيا : حزين نعمة الله الخورى ، محمد أحمد عبد الرازق ، خليفة محمود عبد الله ، أبو السعود الطهطاوى .

القانون : رفاعة الطهطاوى ، عبد الله أبو السعود ، محمد قدرى ، أحمد زكى .

المعارف الأخرى : حسن عبد الرحمن ، هليلة تمرهان ، حسن محمود ، نخلة صـــالح ، حسن عاصم ، حسين ندور ، سـعيد البستانى ، محمد أحمد بن صدقى .

عصر محمد على

وعلى الرغم من ان « محمود الفلكى » حرص على أن يبتعد عن (السياسة) وربما هذا كان من عوامل عدم شهرته ، الا ان طبيعة كل فترة من الفترات الخمس من محمد على الى توفيق انعكست على أعماله بطبيعة الحال ..

كان مولده كما عرفنا عام ١٨١٥ فى أسرة فقيرة ، وسنة ١٨٢٤ وهو فى التاسـعة من عمره اصــطحبه شـقيقه الأكبر الى الاسكندرية حيث ألحقه باحدى المدارس الابتدائية ، وبعدها لحقه بالمدرسة البحرية وكانت تسمى (مدرسة الترسخانة) ويديرها مهندس فرنسى خبير فى بناء السفن يعاونه عدد من الخبراء الفرنسيين

والايطاليين . وكانت (الترسخانة) في مستوى المعاهد المتوسطة ، وتخرج فيها برتبة (البلوك أمين) سنة ١٨٣٣ . وجاء سنة ١٨٣٤ الى القاهرة ليلتحق بمدرسة (المهندسخانة) ببولاق وتخرج منها سنة ١٨٣٩ برتبة الملازم . واتقن اللغة الفرنسية فترجم الى العربية كتابا في (التفاضل والتكامل) الذى طبع بمطبعة بولاق سنة ١٨٤٢ بموافقة « محمد على » الكبير . وصدر قرار بتعيينه مدرسا في مدرسة (المهندسخانة) لتدريس الرياضيات ، وعلم الفلك ، ومديرا للمرصد الفلكي الذى ألحق بالمهندسخانة ، ووضع رسالة باللغة العربية بعنوان (نبذة مختصرة في تعيين عروض البلاد وأطوالها) . وكان « محمد على » تحت ضغط مشروعات الحزبية خارج البلاد في حاجة لجباية الخراج ، فأراد تحديد مساحات الأرض المنزرعة ليقيم الخراج على أساسها ، فاستعان بعناصر أجنبية وأرمنية ، ولكن « محمود الفلكي » كان من العناصر المصرية التي قامت بدور هام في قياس المساحة المنزرعة على أسس علمية واستطاع ان يعين خطوط الطول والعرض لنحو ثلاثين نقطة في الدلتا والوجه القبلي .

ومن الطريف أن « محمود الفلكي » كان مدرسا لعلى مبارك عندما التحق « على » بمدرسة المهندسخانة . وعلى مبارك أصغر في العمر من محمود الفلكي بثمانية أعوام ولكنه سبقه في الترقى الى الوظائف العليا وفي الرتب .

حركة الانكماش

ويقصد بحركة الانكماش تلك التي صاحبت عهد « عباس الأول » الذى تولى حكم مصر (٢٤ نوفمبر سنة ١٨٤٨ م) في حياة محمد على الذى كان قد ترك الحكم لابنه « ابراهيم باشا » الذى توفى ١٠ نوفمبر ١٨٤٨ . وبدأ عباس الأول في حركته الانكماشية ونفى « رفاعة رافع الطهطاوى » الى السودان وأغلق

مدرسة الألسن وصفى الكثير من المدارس وسرح تلاميذها ، وطرد الكثير من المثقفين والعلماء ونفى بعضهم الى الآستانة ، واستدعى « على مبارك » من باريس الذى كان يتدرب فى الجيش الفرنسى وقربه اليـه · وفى أكتوبر ١٨٥٠ م أراد الخديو تقليص حجم التعليم وميزانيته ، فطلب سرا من « على مبارك » وزميليه « حماد عبد العاطى وعلى ابراهيم » اعداد المشروع ، فأعد « على مبارك » مشروعا استحق عليه رتبة (اميرالاى) واستحق منصف (نظارة المدارس) ·· وأصبحت لعلى مبارك منزلة عند « عباس الأول » وتراجعت اسهم « رفاعة الطهطاوى » ·· على أية حال هناك دفاع ممتع عن عدم مسئولية « على مبارك » فى حركة الانكمـاش مع « عباس الأول » فى كتاب الدكتور محمد عمارة من على مبارك ولم ينس « على مبارك » أستاذه السابق فى مدرسة (المهندسخانة) ونعنى به « محمود الفلكى » فأرسله مع زميليه « اسـماعيل مصطفى الفلكى » و « حسين ابراهيم » فى بعثة الى باريس لدراسة علوم الفلك لتولى مدرسة (الرصدخانة) التى الغيت فى مشروع الانكماش لعدم وجود من يتولى أمرها ، وكان سفر البعثة فى ٨ أكتوبر ١٨٥٠ · وفى ١٥ يوليو سنة ١٨٥٤ م يلقى « عباس الأول » مصرعه بطريقة غامضة على ايدى الخدم ويتولى أمر البلاد « الوالى سعيد » ابن « محمد على » فيقرب « رفاعة الطهطاوى » اليه ويبعد « على مبارك » عنه وسوف نرى ماذا كان شأن « محمود الفلكى » فى عهد « سعيد » ولكن بعد أن نوجز حالة فى فترة «عباس الأول» ·

فى باريس اتخذ المرصد الفلكى مقرا له ، ودرس على أيدى علماء الطبيعة والفلك مدة تسع سنين كاملة ، وفى سنة ١٨٥٤ قام برحلات الى ألمانيا وبلجيكا لزيارة مراكز الارصاد · وقدم رسالة الى أكاديمية العلوم البلجيكية ، نشرتها سنة ١٨٥٤ ·

واذا كان « على مبارك » فى فترة الانكماش قد أرسل « محمود الفلكى » بعثة الى باريس ، فان « رفاعة الطهطاوى » الذى أصبحت له الحظوة عند « سعيد » بدلا من « على مبارك » الذى أرسلوه الى ميدان الحرب فى القرم لأنه يحمل رتبة (اميرالاى) ·· رفاعة الطهطاوى كان وراء ان ترسل الحكومة المصرية الى « محمود الفلكى » فى باريس – بعد ان اشتهر فى الأوساط العلمية – لكى يواصل بحوثه فى بريطانيا ، يزور مراكز الرصد فيهما · ونشرت له أكاديمية العلوم البلجيكية سنة ١٨٥٥ (رسالة فى التقويمين الاسلامى واليهودى) ونشرت له أيضا سنة ١٨٥٦ رسالة عن (شدة المجال المغناطيسى فى بريطانيا وهولندا وبلجيكا وفرنسا) ·· وفى السنة ذاتها نشرت له أكاديمية العلوم الفرنسية (رسالة عن المواد المغناطيسية الأرضية فى باريس) · ونشرت له أكاديمية العلوم البلجيكية سنة ١٨٥٨ · (رسالة فى التقويم العربى قبل الاسلام ، وفى ميلاد النبى وعمره عليه السلام) ·

وفى سنة ١٨٥٩ عاد محمود الفلكى الى مصر بعد أن قضى فى المحافل العلمية فى أوروبا تسع سنوات ·· وكان رائد النهضة الفكرية « رفاعة الطهطاوى » فى يده مقاليد الأمور التعليمية والثقافية · منحت الحكومة رتبة (الاميرالاى) ورتبة (البكوية) للفلكى ، واختير عضوا بالمجمع العلمى المصرى ، وانتخب وكيلا للجمعية الجغرافية المصرية منذ تأسيسها وأصبح رئيسا لها فى آخريات أيامه · وعمل على استكمال أجهزة المرصد التى وصلت بعد وفاة « سعيد » · وبدأ سنة ١٥٨٩ فى رسم خريطة كاملة للقطر المصرى وأنجزها فى عهد اسماعيل سنة ١٨٦٩ · ووضع رسالة فى وصف الكسوف الكلى للشمس فى دنقلة يوم ١٨ يوليو

١٨٦٠ ، وقدمها الى أكاديمية العلوم فى باريس ، وطبعت سنة ١٨٦١ ، ونشرت له أكاديمية العلوم البلجيكية سنة ١٨٦٢ (رسالة فى عمر الأهرام) وفى تلك الرسالة انتهى الى ان الأهرام بنيت سنة ٣٣٠٣ قبل الميلاد مع احتمال الخطأ فى مائة أو مائتين من السنين ٠٠ وعندما زار « امبراطور البرازيل » مصر فى تلك الفترة قال له : لقد أحسنت فى جميع ما فعلت وأتت بأدلة بارعة ، وفى سبيل اعداد بحثه هذا يقول : ذهبت الى الأهرام قبل الاعتدال الربيعى بيومين ، ونصبت خيمتى أسفل أكبر الأهرام ، ومكثت أربعة أيام بلياليها وصحبنى اثنان من اخوانى « أحمد بك فايد » أستاذ الكيمياء بالمهندسخانة ، و « مصطفى شوقى » أفندى ٠ وبينما أنا فى احدى هذه الليالى شاخص الى السماء ، جامع حواسى ومستعمل أفكارى فى البحث ٠٠ اذ وقع بصرى على كوكب « الشعرى اليمانية ـ السيروس » اذ هو أنور الكواكب الثوابت فوجدت اشعته عند التوسط تسقط على الوجه الجنوبى من الهرم الأكبر ، وعلى الوجه المماثل من بقية الأهرام عمودية) ٠

ووصل الى نتائج أهمها ان أضلاع الأهرام متجهة اتجاها صحيحا نحو الجهات الأربع الأصلية وان نسبة ارتفاع الهرم الى محيط كرة الأرض ١ : ٢٧٠ مليونا ٠

وفى سبيل أن يرصد كسوف الشمس فى دنقلة فى ١٨ يوليو ١٨٦٠ سافر تحت الشمس المحرقة على ظهور الجمال لأيام كثيرة ٠ ورغم تلف بعض الأجهزة رصد هذه الظاهرة ٠ وأثنت أكاديمية العلوم فى باريس على هذا العمل العلمى ٠

عصر الازدهار

ويأتى عهد « الخديو اسماعيل ١٨٦٣ ـ ١٨٧٩ وهو عهد ازدهار على المستوى الفردى لرفاعة الطهطاوى وعلى مبارك ومحمود الفلكى ،

وعهد ازدهار على مستوى النشر والترجمة والتعليم والنهضة الفكرية الحديثة .. وقدر لرفاعة الطهطاوى أن يرحل عام ١٨٧٣ ، ولمحمود الفلكى أن يرحل عام ١٨٨٥ ، أما على مبارك فقد عاش الى عام ١٨٩٣ ليتألق نجمه أكثر وأكثر ..

فى تلك الفترة أخذ « محمود الفلكى » يستكمل مشروعاته التى بدأها أيام « سعيد » ووصلت أجهزة المرصد سنة ١٨٦٤ ، ونقل المرصد من مكانه القديم سنة ١٨٦٤ ، ونقل المرصد من مكانه القديم فى بولاق الى العباسية سنة ١٨٦٥ ، وظل يشرف على المرصد لسنوات عديدة .

وفى سنة ١٨٦٩ استكمل اعداد خريطة فلكية طبوغرافيـــة للقصر المصرى ، وكان قد بدأ العمل فيها سنة ١٨٥٩ . واكتشف مقياس النيل القديم عند « ادفو » سنة ١٨٧٠ ، ومقياس النيل بجهة أسوان ، وموقعه أمام أسوان على النيل من الطرف الجنوبى الشرقى من جزيرة أنس الوجود (والمقياس موجود فى بئر .. سلم مستقيم يمينا ، وينزل ١٢ درجة وهناك يتصل البئر بمياه النيل التى تدخل اليــه من باب ومن فتحات أخرى فى الحائــط . وفى ديسمبر ١٨٧٤ رصد مرور كوكب الزهرة على قرص الشمس) وفى تلك الفترة وضع رسالة باللغة العربية (فى التنبؤ عن مقدار فيضان النيل قبل فيضانه) والقى عدة محاضرات بالجمعية الجغرافية المصرية عن أعالى النيل وزيادة مياه الفيضان ونشر ملخصا للأرصاد الجوية من ١٨٦٨ ــ ١٨٧٧ . وقام بتمثيل الحكومة المصرية فى المؤتمر الجغرافى الدولى بباريس سنة ١٨٧٥ . ونشرت فى (كوبنهاجن) سنة ١٨٣٧ رسالة (فى المقاييس والمكاييل) .

فتـرة الرحيل

تولى توفيق بعد عزل اسماعيل فى فترة مضـطربة سـنة ١٨٧٩ ، ويبدو ان « محمود الفلكى » كان حريصا على ألا ينغمس فى الأحداث السياسية ، وان ينصرف الى نشاطه العلمى • وبعد استقالة البارودى فى ٢٧ مايو ١٨٨٢ رفض « مصطفى فهمى وعمر لطفى » رئاسة النظارة فأسند الى « اسماعيل راغب » فى ١٩ يونيه الذى أسند « نظارة النافعة » لمحمود الفلكى باشا واستقالت الوزارة فى ٢١ أغسطس • وفى نظارة نوبار باشا الثانية (١٠ ينـاير ١٨٨٤ ـ ٩ يونيه ١٨٨٨) تولى « محمـود الفلكى » نظارة المعارف العمومية حيث توفى فجأة فى ١٩ يوليو ١٨٨٥ ، وقد ترك لمصر أعمالا علمية لا تقل أهمية عن الجهود السياسية لغيره •• وهـذه الأعمال العلمية العظيمة قد تشفع له عند الذين يركبون الخنازير فيتركون اسمه على الميدان والشارع •

أسانيـد المقـال :

- أحمد سعيد الدمرداش — محمود الفلكى
- انور عبد الملك — نهضة مصر
- د• لويس عوض — تاريخ الفكر المصرى الحديث
- د• محمد عمارة — على مبارك
- مختار السويفى — جريدة الأخبار ١٩٨٥/١١/٢٦
- محمود الفلكى — رسالة عن الاسكندرية القديمة
  ترجمة : محمود صالح الفلكى

فهرس

● **صدر من هذه السلسلة :**

١ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ
د. عبد العظيم رمضان

٢ ـ على ماهر
اعداد : رشوان محمود جاب الله

٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة
اعداد : عبد السلام عبد الحليم عامر

٤ ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة
د. محمد نعمان جلال

٥ ـ غارات أوربا على الشواطىء المصرية في العصور الوسطى
علية عبد السميع

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر ج ١
لمعى المطيعى

٧ ـ صلاح الدين الأيوبى
د. عبد المنعم ماجد

٨ ـ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية
د. على بركات

٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل
د. محمد أنيس

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية
محمود فوزى

١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية
شكرى القاضى

١٢ ـ هدى شعراوى وعصر التنوير
د. نبيل راغب

١٣ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان
د. عبد العظيم رمضان

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة
د. سيدة اسماعيل كاشف

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الاسلامى
د. على حسن الخربوطلى

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر
د. حلمى أحمد شلبى

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى
د. محمد نصر فرحات

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية
د. على السيد محمود

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين
د. أحمد محمود صابون

٢٠ ـ المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى
د. محمد أنيس

٢١ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ١
توفيق الطويل

٢٢ ــ نظرات فى تاريخ مصر
جمال بدوى

٢٣ ــ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ٢
توفيق الطويل

٢٤ ــ الصحافة الوفدية
د٠ نجوى كامل

٢٥ ــ المجتمع الاسلامى
ترجمة : د٠ عبد الرحيم مصطفى

٢٦ ــ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة
د٠ سعيد اسماعيل على

٢٧ ــ فتح العرب لمصر ج ١
ترجمة : محمد فريد أبو حديد

٢٨ ــ فتح العرب لمصر ج ٢
ترجمة : محمد فريد أبو حديد

٢٩ ــ مصر فى عصر الاخشيديين
د٠ سيدة اسماعيل كاشف

٣٠ ــ الموظفون فى مصر
د٠ حلمى أحمد شلبى

٣١ ــ خمسون شخصية وشخصية
شكرى القاضى

٣٢ ــ هؤلاء الرجال من مصر
لمعى المطيعى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٩/٨٤٦٦

ISBN ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ٢٢٨٦ ـ ٨

●● هذا الكتاب يقدم رؤية فكرية تقدمية لعدد من رجال مصر ، وهى رؤية قد يتفق معها القارىء ،أو يختلف ،ولكنها رؤية مطلوبة لما تحتويه من تجديد الصورة وتقديم زوايا وجوانب لم يسبق تقديمها .

وقد اعتمد المؤلف على عدد من المراجع الكافية لاستقاء مادته العلمية ،وقد الحق بها كل ترجمة لشخصياتة ليتسنى للقارىء الاطلاع عليها إذا أرادالمزيد .

ولعل هذه الخدمة العلمية ، التى تهتم بالشخصيات المصرية بقدر اهتمامها بالأحداث التاريخية المصرية . أن تنال تقدير المثقف العام كما تنال تقدير المثقف الخاص .

٢٧٠ قرشا